



ديوان سيد قطب

جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين



جمعه ووثقه وقدم له

عبد الباقي محمد حسين

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٨٩ م

صححه وضبطه وفسّر غريبه

لجنة النشر بدار الوفاء

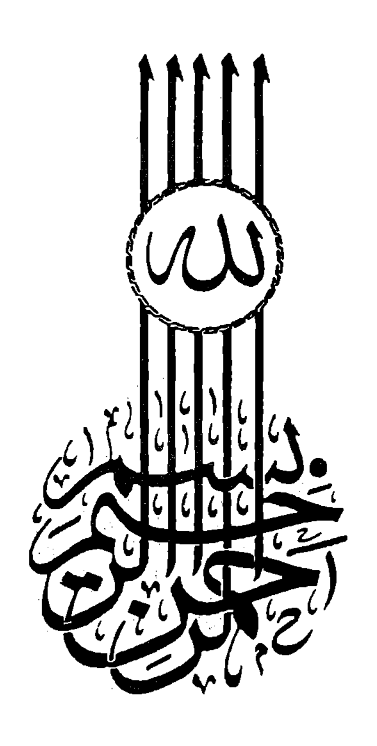




الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣٠ تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧ / ٣٩٣٤٥١٨ / ٣٩٢٤٦٠٦


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــداء

أخـــى أنْتَ نَفْسِى حينما أنْتَ صُورَةٌ
لآمَـــالِىَ القُصْـــوى التى لَـــمْ تُشَـــارِفِ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

الإهداء[1]

« أخي » ذلك اللفظُ الذي في حروفِه
رُموزٌ ، وألغازٌ ، لِشتّى العَواطِفِ

« أخي » ذلك اللَّحْنُ الذي في رَنينِه[2]
تَرانيمُ[3] إخلاصٍ ، وَرَيًّا[4] تآلُفِ

« أخي » أنت نَفْسِي ، حينما أنتَ صُورةٌ
لِآمَالِيَ القُصْوَىٰ التي لم تُشارِفِ[5]

تمنيتُ ما أعيا المقاديرَ ، إنما
وجدتُكَ رَمزاً للأماني الصَّوادِفِ[6]

فأنتَ عَزائِي في حياةٍ قصيرةٍ
وأنتَ امتدادِي في الحياةِ وخَالِفي

تَخِذْتُكَ لي ابناً ، ثم خِدْناً[7] ، فياتُرىٰ
أعيشُ لأُلْقَى منكَ إحساسَ عاطِفِ ؟

على أيّما حالٍ أراكَ مُخَلِّدِي
وباعثَ أيام العِذَابِ السَّوالِفِ

فدونَكَ أشْعارِي التي قد نَظَمْتُها
لِتبقَىٰ على الأيامِ رمزَ عواطِفي

---

١ ــ إهداء ديوانه الشاطيء المجهول . ٢ ــ الرنين : الصوت .

٣ ــ تَرانيم : كل ما استُلِذَّ صوته ، والمراد إخلاص عن رضا وقبول دون هدف أو غرض .

٤ ــ رَوِى من الماءِ رَيًّا : شَرِب وشبع ، والمراد تآلفٌ صافٍ محبوبٌ .

٥ ــ شَارَفه : فاخره في الشرف .

٦ ــ الصوادف : المراد الأماني التي تنتظر دورها كما جاء في لسان العرب .

٧ ــ خدنا : صديقا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الديوان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،

وبعد .

فمملكة الإبداع الأدبى عطاء من الله ، يهبه لمن يشاء من عباده ، ولهذا سميت موهبة ، وهى تكمن فى القدرة على استخدام اللغة استخداما جميلا قادراً على حمل الأفكار والمشاعر .

إن الأديب يرى الكون والحياة رؤية متميزة خاصة ، وتتوفر له القدرة على التعبير عن هذه الرؤية تعبيراً دقيقاً وجذاباً . فإدراك الحياة والقدرة على التعبير عن هذا الإدراك سمتان لازمتان للأديب .

والمواهب كثيرة ومتنوعة ، والله أعطى لكل مخلوق موهبة خاصة به ، ولكن المواهب تتفاضل ولا تتساوى ، ويقع الإبداع الأدبى فى أعلى المنازل ، والشعر فى أرق مراتب الإبداع ؛ لأن الأصوات تتآلف فيه وتترابط فى إيقاع جميل تطرب له الآذان ، وتهتز له النفس والمشاعر ، وتلك مزيته . وهو من المواهب النادرة التى لا يُلَقَّاها إلا القليل ، فمن رُزِقَه بلغ به مقاماً عالياً ، وأصبح موضع إعجاب وإكبار ؛ ولهذا كانت نظرة العرب للشاعر قديما على أنه من طينة الجن ، يأتى بما لا يقدر عليه غيره ؛ فقدموه على كل أفراد القبيلة ، واعتبروه ضرورة من ضرورات العيش فى الحياة ، حتى أن القبيلة التى لا شاعر لها كانت تُعيَّر ، وتبقى فى المؤخرة حتى يخرج من بين أبنائها من يعلى شأنها ، ويرفع ذكراها .

وموهبة الشعر عطاء تحفه الفتنة والغواية من كل جانب ، مثل فتنة المال والصحة والولد ... ولا يقدر عليها إلا من خشى الرحمن وجاء بقلب منيب ، وهذا

يتفق فى أساسه مع حكمة الخلق : من العبادة والطاعة مع القدرة على المعصية والغواية : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظُلموا وسيعلم الذين ظلموا أىَّ منقلب ينقلبون** ﴾(١)

إذن الشعر عطاء ، مسئوليته عظيمة فى توجيه الناس إلى الحق والتعرف عليه ، وتربية أذواقهم ، وتعظيم الفضائل ، وتحقير الرذائل وأهلها ، وترقية الحياة والنهوض بها إلى المستوى الذى أراده الله لبنى آدم ... ولنا فى القرآن الكريم وهو نص عربى مبين آية فى الإبداع الأدبى والبيان اللغوى ، ترشد الناس إلى الحق ، وترسم لهم منهجا فى الحياة متكاملاً . إن دور الشاعر فى ريادة الناس وتهذيب مشاعرهم وأذواقهم لا يُنكَر إذا أدرك حدود هذه المسئولية وتبعاتها ، وهذا لا يتأتى إلا أن يكون لديه إيمان قوى وتصور جلى عن الحياة والناس والكون ، ينبع من عقيدة صحيحة قويمة ، تعصمه من الزلل ، وتحدد معه الغاية وترسم له الهدف . والإسلام ــ كعقيدة ــ « لا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ فى الآية الكريمة السابقة ، إنما يحارب المنهج الذى سار عليه الشعر والفن ، منهج الأهواء والانفعالات التى لا ضابط لها ، ومنهج الأحلام المهومة التى تشغل أصحابها عن تحقيقها » .

وحدود هذه المسئولية متفاوتة ، كشف الرسول الكريم ﷺ عن بعض ملامحها حين قال لحسان بن ثابت : « اهجهم وروح القدس معك » ، بينما فهم لها حدوداً أخرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الموقف التالى : « ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد فى الطبقات أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان من أرض البصرة ، وكان يقول الشعر فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم(٢)
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تحدو على كل مبسم

(١) سورة الشعراء : ٢٢٤ ــ ٢٢٧ .

(٢) الحنتم : الجرة الخضراء .

فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى
ولا تسقنـى بالأصغـر المتثلـم
لعــل أمير المؤمـــنين يسوؤه
تنادمنــــــا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إى والله إنه ليسوؤنى ذلك ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وكتب إليه عمر : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾[1] أما بعد فقد بلغنى قولك !

لعل أمير المؤمنين يسوؤه   تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله إنه ليسوؤنى وقد عزلتك . فلما قدم على عمر بكته بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ما شربتها قط وما ذاك الشعر إلا شىء طفح على لسانى » .

نعم لم يتعاط النعمان بن عدى الخمر ولكن الشعر غلبه وطفح على لسانه ، وتلك هى الفتنة التى تتطلب عزيمة وإرادة تكبحها وتردها إلى صوابها ، لا سيما إذا كان صاحبها فى موضع المسئولية يرعى شئون البشر كما كان النعمان .

إن الكثير من أصحاب المواهب ــ وعلى رأسهم الشعراء ــ تغرهم مواهبهم ، فلا يؤدون حقها ، ويخونون أمانتها ، فيسعون بها سعيا أنانيا محصورا ، ويشترون بها ثمنا قليلا ، فيفقدون ذواتهم ، وتمسخ صورهم . يوماً يكتبون عن الحق فتجد لكلماتهم بريقا وأسلوبهم حلاوة فتحسبهم من أهله ، وآخر يكتبون عن الهوى والباطل فلا ترى فيهم إلا شياطينا ، فترتد إلى نفسك يائساً ضائعاً .. وهؤلاء قد لا يريدون الإفساد لذاته ، ولكن الفساد يأتى تبعا لهواهم وشهواتهم ..

وهناك نوع آخر من ذوى المواهب يُلبِس الباطل ثوب الحق ، ويمتطى صهوة الإصلاح متجها إلى الفساد والفاحشة ، ويعجبك قوله ولكن إذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، وهؤلاء أشرهم .

---
(١) سورة غافر : ١ ــ ٣

دار حوار بينى وبين أحد الزملاء المهتمين بالأدب عندما بالغ فى إطراء شاعر ماجن من شعراء العربية ، ووصفه بأنه أسوة تتبع ، ومثل يحتذى فى الشجاعة وتخليص الناس من الهوان ، لأنه كتب قصيدة سياسية يعرى فيها حكام الأمة العربية ويفضح سيرتهم . فقلت لصاحبى إن هذا الشاعر الذى زدت فى مدحه سبب من أسباب الهوان الذى ينتقده فى أمة العرب ، سواء فى اتجاهه الفكرى والسياسى أو مضامين شعره الأخرى التى تفيض بالإباحية والفجور ، وإلى عهد قريب كان صاحب رأى وشأن ، وأنه لم يفعل ذلك إلا لما أصابه ، وأنه لو ملك زمام الأمور لمال بالناس فى مستنقع الفساد ميلا شديدا . وأضفت إننى لا أحاسبه لأنى لست إلهاً ولا ولى أمر وكل نفس بما كسبت رهينة ، ولا أنكر عليه شيطان شعره ، ولا أنقصه حقه فهو شاعر ، وأن له الحق فى أن يغار على أمته وأن يحزن لهوانها .. ولكن ينبغى أن تزن الأمور بميزان واضح ، وتكون الصورة أمامنا عند السماع لهؤلاء بينة : هو شاعر . نعم . وقصيدته جيدة موافق . لكن لا ننسى أن مثل هذا الشاعر ليس هو المرتجى للخلاص من الذل والضياع الذى عليه الأمة ، وليس هو الأسوة التى نقتدى بها ، ولا المثل الذى نضربه للناس . يجب أن يكون هناك وضوح فى الرؤية والكلمة ، وأحيانا يكون الصمت أبلغ فى الإصلاح من الكلام ، وإلا كان ذلك دليل عجز وهزيمة حيث صرنا نهلل ونعتقد فى كل من هب ودب . إنها الفتنة ، فتنة الموهبة التى تنطلى على خاصة الناس وعامتهم !!

وسيد قطب سبقت لنا دراسة نشرت عن حياته وتراثه الأدبى ، وتناولت بشىء من التفصيل شعره وملامح شاعريته ، وانتهت إلى عدة حقائق هى :

سيد قطب شخصية سوية التكوين ، متماسكة البناء ، نمت نموا طبيعيا بعيدا عن الشذوذ والمفاجآت ، وجاءت نهايتها أمرا محتمل الوقوع فى مثل ظروف العصر الذى عاش فيه . له قلب كبير ، وهمة عالية ، وشهامة فى الطباع ، ونفس ودودة ، وهدوء فى الملامح ، وحديث جذاب ، وقلة فى الكلام ، وصوت منخفض ... ولا أدل على نبله وحنانه من أنه وهب حياته لأسرته ، يرعاها ، ويتكلف فى سبيل ذلك الشىء الكثير ؛ فلم يتزوج حتى لا تشغله الزوجة أو الأولاد عن تلك المهمة التى وجد نفسه مسئولا عنها . ويتعدى عطفه وكرم شمائله دائرة أهله الأقربين إلى الناس

الآخرين من حوله . يروى الأستاذ محمد خضير[1] ، وكان من تلاميذ سيد قطب فى تحضيرية الداودية سنة ١٩٣٣ : أن سيد قطب ــ رحمه الله ــ كان يرعى الفقراء من التلاميذ ، يشترى لهم الكساء ، ويدفع لهم النفقات ، وأنه كان رحيم القلب حانى النفس . ويؤكد هذا أيضا الأستاذ زاهر حميدة[2] فيما يحضره من صفات سيد قطب قائلا : « كنت أيام الطلب رقيقْ الحال ، لا تفارقنى الحاجة ، وكانت اللحم بالنسبة لى وبعض الزملاء الآخرين شيئا عظيما ، ثم رزقنا الله بصحبة فتحى بن أخت سيد قطب عليه رحمة الله ، فلم يتردد فى أن يذكرنا عند خاله ، ويعود لنا منه بدعوة مفتوحة إلى بيته ، فصرنا نذهب عندهم كل يوم جمعة لنصيب من طيب الطعام ما لم نقدر عليه ، بل اتخذنا البيت مثابة نهرع إليه كلما ضاقت بنا السبل وعز علينا العيش » . إن سماحة النفس تلك ولين الجانب هذا استعداد واكتساب ، استعداد وهبه الله له ، واكتساب أخذه من البيت الذى نشأ فيه ، فلقد كان والده ــ رحمه الله ــ كريم النفس جواداً ، وقورا رزينا ، رحيما عطوفا ، لين الجانب حى القلب ، ديِّناً فى سلوكه وأخلاقه .

سيد قطب أديب شاعر يملك الموهبة ، موهبة الإبداع والتذوق ، وإن هذا العطاء الإلهى هو الذى فرّخ لنا سيد قطب صاحب الظلال والتصوير الفنى ومشاهد القيامة فى القرآن . إن التذوق الرفيع للغة ، والتعبير الجيد عنه هو السمة البارزة التى تميز بها الرجل وجعلت لفكره جاذبية وتأثيرا ، يضاف إلى ذلك إيمانه القوى بفكره والتزامه بكل ما يصدر عنه ؛ ولهذا نسمعه يقول : « إن الفكرة شيء جميل قيم ثمين ، لكنها لا تؤثر إلا حين ينبض بها الشعور من الداخل حتى لينساها الفكر الواعى ، حتى لتكون جزءا من حياة صاحبها » .

« إن السر العجيب ــ فى قوة التعبير وحيويته ــ ليس فى بريق الكلمات وموسيقى العبارات ، وإنما هو كامن فى قوة الإيمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات ، وأنه فى ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة إلى حركة حية ، والمعنى المفهوم إلى واقع ملموس » **« إن كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان ، أما الكلمات التى وُلدت فى الأفواه ، وقذفت بها الألسنة ، ولم تتصل**

---

(١) مهندس بالمعاش .

(٢) مدير عام شئون الأفراد بوزارة التربية والتعليم .

بذلك النبع الإلهي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرًا واحداً إلى الأمام، وأن أحداً لن يتبناها، لأنها ولدت ميتة، والناس لا يتبنون الأموات ... » لقد فهم سيد قطب أمانة الموهبة والكلمة، وعلم أن الصدق فيها أمر ضرورى للتأثير والتعبير، فنجده يقول: « **إن أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئاً كثيرا، ولكن بشرط واحد أن يموتوا لتعيش أفكارهم، وأن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم، وأن يقولوا ما يعتقدون أنه حق، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق.**

إن أفكارنا وكلماتنا تظل جثثاً هامدة، حتى إذا متنا فى سبيلها أو غذيناها بالدماء انتفضت حية وعاشت بين الأحياء ».

ويتوجه بالنصيحة إلى أصحاب المواهب: « فإلى الذين يجلسون إلى مكاتبهم، يكدون قرائحهم لينتقوا اللفظ الأنيق، وينمقوا العبارة الرنانة، ويلفقوا الأخيلة البراقة، إلى هؤلاء أتوجه بالنصيحة: وفروا عليكم كل هذا العناء؛ فإن ومضة الروح وإشراق القلب بالنار المقدسة، نار الإيمان بالفكرة هو وحده سبب الحياة، حياة الكلمات وحياة العبارات ».

سيد قطب يعطينا مثلا للأديب الذى غرس فيه الطموح والاعتداد بالنفس وتسلح بقوة الإرادة والصبر والعمل الدائب كى يحقق ذاته وأمله. الأديب الذى تحددت معالم نفسيته فى الوضوح والصراحة والمجابهة والثبات على الفكرة التى يؤمن بها مهما كانت النتيجة. فلا نجد من سماته المكر أو الدهاء، ولا من قيمه الازدواجية أو الانتهازية. الأديب الذى اتصل بالعقاد ليستفيد فى وعى واتزان واستقلالية تحفظ عليه كيانه وتحقق ذاته.

الأديب الذى لم تفتنه الحضارة الغربية عن الصواب وإدراك ما فيها من خير وشر، وحق وباطل، وزيف وضلال، بل منحته فرصة المقارنة بينها وبين حضارة الفكر الإسلامي الصحيح، وكانت النتيجة أنه آمن بالأخيرة عن يقين وثبات، ونقد الأولى وهاجمها انتقاد خبير وهجوم بصير. الأديب الذى استطاع بالكلمة المكتوبة الصادقة أن يؤثر ويوجه الكثير من الرجال والشباب الذين التفوا حوله رغم كل العقبات والأخطار التى أحاطت بهم. الأديب الذى قدم حياته فى سبيل الدعوة التى آمن بها.

لقد حققت الدراسة السابقة شعره تحقيقا دقيقا ، وتناولته تناولا موثقاً ، يقوم على الإحصاء والتسجيل ، وتحدثت عن روافد شاعريته ، وطبيعة البيئة التى نشأ فيها ، والظروف التى أحاطت به ، ونوعية المعارف والعلوم التى تركت بصماتها عليه . كما صنفت شعره حسب الموضوعات التى يعالجها ، وخرجت من تحليلها لتلك الأغراض إلى نتائج هى :

خلو شعر سيد قطب من المدح والفخر والهجاء ، بعده عن الغزل الحسى الفاحش ، الذى يصدر عن شهوات النفس وملذاتها وعبث الشباب ومجونه ، ويتركز حول وصف مفاتن المرأة الجسدية، والحديث عن لقاءاتها المحرمة .. على العكس من ذلك تماماً نجد فى غزله الحب الطاهر العفيف ، الخالد الذى يرتفع — كما قال — بالإنسان عن خطل الجسم إلى عالم النور والضياء . بل نجد نوعاً آخر من الحب ، حيث يحدثنا عن نفسه كواحد من شعراء الشباب فى مقالة كتبها فى مجلة الأسبوع سنة ١٩٣٤ ، فيقول : « نفسه خيرة محبة ، يغمر الحنان جوانبها تريد — لو استطاعت — أن تبسم لكل شيء وأن يبسم لها كل شيء ، وهى تعشق الرضا والهدوء وتتلمسه فى كل ناحية وفى كل مظهر من مظاهر الحياة ، وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة لا عوج فيها ولا نتوء .

تصطدم هذه الطبيعة بالواقع فتحار وتتألم وتشكو ، وقد تغضب وتنفعل ، وقد تسخر وتهدد بالانتقام ، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها فى أشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية ، وهى تود ألا تغضب وألا تنفعل فى يوم من الأيام ، حتى إذا انتهى ذلك الموقف عاد إليها حنانها ، وعادت تبحث عن مظاهر الود والمحبة بحث اللاهث المستزيد .

وكل ذلك فى غرارة بريئة مندفعة فى رضاها وسخطها على السواء ، وفى طفوله كبيرة لاتخرج منها إلا وهى تحن إليها ، وتسخط على الحوادث والتجارب التى فجعتها فيها .

ولو تهيأ لصاحبنا أن يتخيل الكون من جديد ما أحسبه كان يتخيله إلا حدائق ومتنزهات تجرى من تحتها الأنهار ، وتغرد فيها الأطيار ، وتجمع فيها الأصدقاء والخلان والمحبون للتناجى والسمر الهامس اللطيف ، ولا ضجيج ولا اضطراب ، ولا تجنى

ولا تزاحم فى ذلك النعيم المقيم .

وهذا الحب الذى يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصورا على حب المرأة ولا حب الأصدقاء ، وما أردت ذلك فقط حين قلت إن نفسه محبة ، وإنما قصدت إلى معنى أشمل هو معنى الحب العام الذى يغمر النفوس ، فلا يدع فيها مكانا للبغضاء أو الحقد ، والذى يجعلها نزاعة أبدا إلى الاجتماع والعطف ، وتلقى كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق ، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان ، وأن يشمله كل شيء فى الكون بالحنان كذلك ، يكون بينهما تعاطف وتراحم وتواد ، وهذا الحب يظهر فى حب المرأة ، أو فى حب الأصدقاء ، أو حب العهود الماضية والدروب البالية ، والأشجار الناضرة الذابلة ، والطيور المغردة والنائحة .. فيكون كل أولئك منصرفاً لذلك الحب الشامل ومظهراً له ، لا تستوعبه ، ولكن تدل عليه ، لأنه أكبر من أن ينحصر فى بعضها أو فيها جميعها :

هو قلب ما درى كيف السرور لا ولا كيف يرائى أو يخون
يحفظ الود وحاشا أن يجور ولكم يبكى لمرأى البائسين

وهو قد يصبر ويتجلد حين يصاب فى نفسه ، ولكنه يأسى لمصاب غيره ، لأن هذا المصاب ، يهيج فيه عاطفة الحنان الدفينة :

عجبت لنفسى لا تراع من الأسى ويقتلها خطب ينيخ على غيرى
ويا ربما أبكى لمن خلت بائساً على حين يقضى ليله باسم الثغر

والقارىء لهذا الشاعر يجد حب المرأة ، وحب الصديق ، وحب الطبيعة ــ ولا سيما الأشجار والأطيار ــ وحب الذكريات والعهود والأطياف ، وكل ذلك يسير معاً فى تيار واحد ، وبقوة تكاد تتماثل لأنها جميعها ترجع إلى معين واحد وهو معين الحب العام فى تلك النفس الحانية الرءوم »

ويقل الرثاء فى شعر سيد قطب ، مخافة أن يندرج تحت اسم (شعراء المناسبات) ، وقلّت وطنياته للسبب نفسه ، ولسبب آخر هو الكبت الذى فرضه المحتل ، وقلة الأعمال البطولية والوطنية التى تحرك قرائح الشعراء وتلهب مشاعرهم .

إن شعره فى مجمله يقدم صورة فعلية للشباب الذى تلتهمه الحياة المعاصرة

بواقعها المر ، الشباب الممزق الذى تداعبه آماله وطموحه ، ويرده واقع الحياة خائبا خاسرا ، فيسقط فريسة الضياع والتمرد والشكوى ، ويبحث عن نفسه هنا وهناك ، فيضل وينحرف ، ولا ينجو من ذلك إلا من رحم . وهنا يأتى دور العقيدة الصحيحة التى تعصم الإنسان من الزلل وتبصره بذاته وغايته .

وأشير إلى مسألة مهمة هى : **ليس فى أدب سيد قطب ما يشين أو يشكل مغمزًا فى حياته، أو يضع من قدره كعلم بارز فى الفكر الإسلامى المعاصر ، أو يحط من جهده فى مجال الدعوة والإصلاح.. حتى نسمع كثيراً من التحفظات حول نشر تراثه الأدبى** ، بدعوى أن سيد قطب قد تبرأ منه وتخلى عنه ، والحقيقة أن كل هذه التخوفات لا مبرر لها ولا دليل عليها . **فهذا التراث ليس فيه ما يعارض تراثه الإسلامى أو ينقضه**، وما هو إلا نتاج مرحلة من حياة الرجل عبرت عنه تعبيراً صادقا ، ولا يمكن إسقاطها حين نريد أن نعطى صورة متكاملة عن مبادئه ؛ بواعثها ومكوناتها . زد على ذلك أن لهذا التراث أهمية بالغة فى حياة سيد قطب بعد ذلك ، فهو — كما ذكرت — يمثل الأساس الذى كونه وأكسبه كثيرا من التجارب فى الحياة والتذوق والفكر ، **ولولاه لما كان « لظلاله » أثر ، ولا « لمعالمه » وضوح** .

لم يرد نص مكتوب ولا نقل موثق عن سيد قطب يفيد تخليه عن أدبه ، وكان بإمكانه هذا ، وإذا كان الناشر لكتابه « فى ظلال القرآن » قد أعرض عن ذكر مؤلفاته الأدبية وأسقطها من قائمة إنتاجه قائلاً « ليس فى النية إعادة طبعها للشعور بأنها قد أدت دورها فى حينها ، ولم يعد لها إلا الاعتبار التاريخى . وبعضها مما يحتوى آراء أو اتجاهات للمؤلف تبين له خطؤها فعدل عنها » أقول : هذا اجتهاد من الناشر لم يوح به أحد إليه ، وهو اجتهاد غير دقيق ، لأنه أثبت فى القائمة كتابى : التصوير الفنى ، ومشاهد القيامة وهما من الكتب الأدبية . وإذا كنت متفقاً معه فى أن تراث سيد قطب الأدبى قد أدى دوره فى حينه ، فإن هذا ليس معناه التخلى عنه أو التبرؤ منه كما يشاع ، بل أومن بأهمية حفظ هذا التراث ومناقشته وإبراز أهميته ، وقد لا يكون هذا ضروريا لمن عاصروه وعاشروه عن قرب ، بل هو مهم للأجيال القادمة التى ستتمنى — يوما — سيرة واضحة لحياته ورصداً كاملا لأعماله ، كما نطلب نحن آثار من سبق من العلماء ، ونأسى لضياع شيء ولو كان يسيراً . **وخلاصة الأمر : أن سيد قطب لا يضره أبداً أن كان يوماً أديباً أو شاعراً** .

ولقد سبق دراسة شعره دراسة فنية مفصلة ، أبرزت ملامح تجربته الشعرية فى الشكل والمضمون ؛ فعالجت : بناء القصيدة ، اللغة ، الصورة الشعرية ، المفارقة التصويرية ، الخطابية والمناجاة ، وأخيرا الموسيقى الشعرية المستخدمة . وانتهت إلى أن شعر سيد قطب يغلب عليه الوجدان وتميزه العاطفة ، إذ ينتمى إلى جيل الشباب ، جيل : إبراهيم ناجى ، وعلى محمود طه ، والهمشرى ، ومحمود حسن إسماعيل ... الجيل الذى تلا أوائل النهضة المعاصرة ، جيل البارودى وأحمد شوقى والرافعى والعقاد ... ولا عجب أن نجده محافظا على منهج الأقدمين خاصة فى رثائه وقصائده الوطنية ، ومجددا على منهج العقاد فى تأمله ووصفه .

وديوان سيد قطب الذى نقدمه اليوم متمم للدراسة التى سبقت ، وهو ملحق لها ، ويشتمل على كل شعره سواء ما أخرجه هو فى ديوان « الشاطىء المجهول » ، أو ما أمكننى جمعه من الصحف والمجلات ، ولم ينشر فى ديوان . ويشكل ديوان « الشاطىء المجهول » حوالى نصف إنتاجه كله تقريبا ، وما جمعته يشكل النصف الباقى أو يزيد قليلا .

نشر ديوان الشاطىء المجهول فى يناير ١٩٣٥ ، حجمه من القطع الصغير ١١ سم × ١٤ سم وعدد صفحاته ٢١٠ صفحة ، ويبدأ بالإهداء الشعرى التالى :

« أخى » ذلك اللفظ الذى فى حروفه	رموز وألغاز لشتى العواطف
« أخى » ذلك اللحن الذى رنينه	ترانيم إخلاص ، وريا تآلف
« أخى » أنت نفسى ، حينما أنت صورة	لآمالى القصوى التى لم تشارف
تمنيت ما أعيا المقادير ، إنما	وجدتك رمزاً للأمانى الصوادف
فأنت عزائى فى حياة قصيرة	وأنت امتدادى فى الحياة وخالفى
تخذتك لى ابناً ، ثم خدناً ، فيا ترى	أعيش لألقى منك إحساس عاطف ؟
على أيما حال أراك مخلدى	وباعث أيامى العذاب السوالف
فدونك أشعارى التى قد نظمتها	لتبقى على الأيام رمز عواطفى

وينتهى بالتصويبات ، وله مقدمة نثرية كتبها سيد قطب بنفسه آثرنا أن نوردها فى مكانها كما هى لأهميتها .

ويشتمل الشاطىء المجهول على أربعة أجزاء : ظلال ورموز ، صور وتأملات ،

غزل ومناجاة ، ووطنيات . ويضم سبعا وخمسين قصيدة ، وخمس مقطوعات ، مذيلة بأعوام إنشائها ، وأقدمها مقطوعة من ثلاثة أبيات بعنوان « وردة ذابلة » مؤرخة بعام ١٩٢٥ م وأحدثها مؤرخة بعام ١٩٣٤ ، وأطول قصيدة ستون بيتا ، وهى قصيدة « السر أو الشاعر فى وادى الموتى » ، وأقصر قصيدة عشرة أبيات مثل « ابتسامة ، وخراب ، واللغز .. » .

وهذه قائمة بقصائد ومقطوعات « الشاطىء المجهول » بنفس ترتيبها فيه ، مع عدد أبيات كل قصيدة ومقطوعة ، مع تاريخ إنشائها ، مع الإشارة إلى ما يكون قد نشر منها فى الصحف والمجلات :

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
١	إلى الشاطئ المجهول	١٨	١٩٣٤	
٢	الشعاع الخابى	٢٨	١٩٣٢	أبولو . نوفمبر ـ ١٩٣٢ . ص ٢٣٣
٣	خراب	١٠	١٩٣٢	
٤	فى الصحراء	٣٦	١٩٣٢	الرسالة . سبتمبر ١٩٤٥ .ع ٦٣٧. ص ١٠١٥
٥	الإنسان الأخير	٤٠	١٩٣٤	المقتطف ـ ١٩٣٤.م ٨٥ . جـ ٤ ص ٤٣٣
٦	خريف الحياة	١٥	١٩٣٤	
٧	خبيئة نفسى	٢٤	١٩٣٤	الرسالة ـ أغسطس ١٩٣٤.ع ٦١. ص ١٣٨٥
٨	النفس الضائعة	١٨	١٩٣٤	الرسالة ـ سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٦٣ . ص ١٥٢٩
٩	الغد المجهول	١٥	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ : ع ٦٦ . ص ١٦٦٧
١٠	غريب	١٠	١٩٣٤	
١١	بين الظلال	٢٤	١٩٣٤	
١٢	عودة الحياة	١٤	١٩٣٢	
١٣	البعث	٢١	١٩٣٢	
١١	السر أو الشاعر فى وادى الموتى	٦٠	١٩٣٤	
١٥	سخرية الأقدار	٦	١٩٢٩	
١٦	التجارب	٣٠	١٩٣٤	
١٧	ليلات فى الريف	١٨	١٩٣٣	
١٨	العودة إلى الريف	٢٥	١٩٣٣	
١٩	الليلات المبعوثة	٢٤	١٩٣٣	
٢٠	الجبار العاجز	١٢	١٩٣٣	
٢١	ناحت الصخر	١٦	١٩٣٤	
٢٢	بريشة الشعر	٢٤	١٩٢٨	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠ . بعنوان (صورة صادقة) والوادى . أغسطس ١٩٣٠ .
٢٣	ابتسامة	١٠	١٩٣٠	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٢٤	وردة ذابلة	٣	١٩٢٥	
٢٥	العود	١٧	١٩٢٧	
٢٦	عبث الجمال	٢٠	١٩٢٩	البلاغ الأسبوعى . ديسمبر ١٩٢٩ . ع ١٤٢ ص٢٨ بعنوان (دعها تغرد)
٢٧	يوم خريف	٢٥	١٩٣٢	
٢٨	مر يوم	١٤	١٩٣٤	صحيفة العلوم . أكتوبر ١٩٣٤.ع٢.ص٥٦، ٥٧
٢٩	الدنيا	٣	١٩٣٠	
٣٠	هى أنت ؟	١٩	١٩٣٠	
٣١	أحبك	١٣	١٩٣٠	
٣٢	الظامئة	١٥	١٩٣٤	
٣٣	رسول الحياة	١٦	١٩٣٤	
٣٤	لماذا أحبك ؟!	٢٠	١٩٣٤	
٣٥	توارد خواطر	١٥	١٩٣٤	
٣٦	سر انتصار الحياة	١٠	١٩٣٤	
٣٧	المعجزة أو السهم الأخير	١٥	١٩٣٤	
٣٨	اللحن الحزين	١٢	١٩٣٤	
٣٩	الغيرة	٢١	١٩٣٤	
٤٠	مصرع حب: ليلة الشك – اليقين – الجنة الضائعة	٣٦	١٩٣٤	
٤١	الحنين والدموع	٥	١٩٣٤	
٤٢	اللغز	١٠	١٩٣٤	
٤٣	قبلة	١٣	١٩٣٤	
٤٤	داعى الحياة	١٢	١٩٣٤	المقتطف . م ٨٥ . جـ ٣ . ص ٢٩٦
٤٥	تحية الحياة	١٠	١٩٣٤	
٤٦	الخطر	٢١	١٩٣٤	
٤٧	يقظة	٨	١٩٣٤	
٤٨	رقية الحب	١٨	١٩٣٤	
٤٩	الحياة الغالية	١٣	١٩٣٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٦٩ .ص ١٧٨٩
٥٠	الكون الجديد	١٠	١٩٣٤	
٥١	حب الشكور	١٥	١٩٣٤	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٤ . ع ٧١ . ص١٨٦٨
٥٢	عصمة الحب	١٠	١٩٣٤	
٥٣	الانتظار الخالد	١١	١٩٣٤	
٥٤	الحب المكروه	٢٠	١٩٣٤	
٥٥	نكسة	١٤	١٩٣٤	
٥٦	على أطلال الحب	٢٠	١٩٣٤	

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	تاريخ إنشائها	مكان وتاريخ نشرها في الصحف والمجلات علاوة على الديوان
٥٧	البطل	٣٤	١٩٣٤	
٥٨	إلي البلاد الشقيقة	١٥	١٩٣١	مجلة الشباب . أكتوبر ١٩٣٨ . بعنوان (فلسطين الدامية) ونقلت بهذا العنوان في كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) جـ ٤ . ص ٣٩ .
٥٩	صوت الوطنية	١٩	١٩٣٢	
٦٠	ذكرى سعد	٢١	١٩٣٢	
٦١	مأساة البداري	١٥	١٩٣٢	
٦٢	طليعة الضحايا	١٧	١٩٣٣	

فيكون مجموع أبيات الديوان ١١٠٣ ثلاثة ومائة وألف

وهذه قائمة أخرى بالقصائد التي وجدتها خارج ديوان الشاطئ المجهول ، مرتبة ترتيبا زمنيا ، وفيها عدد الأبيات ، وأماكن وتاريخ النشر في الصحف والمجلات .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها في الصحف والمجلات
١	من بالبغي يعتصم (١)	١٠	البلاغ اليومية . ١٦ / ١ / ٢٥
٢	عهد الصغر	١٦	البلاغ الأسبوعي . يناير ١٩٢٨ . ع ٦١ . ص ٧
٣	جولة في أعماق الماضي	٣٤	البلاغ الأسبوعي . فبراير ١٩٢٨. ع ٦٦ . ص ٣٣ وأعيد نشرها في ع٦٩ بعنوان (سبحة في أغوار الماضي)
٤	وحي الخلود	٢١	البلاغ الأسبوعي . أبريل ١٩٢٨ . ع ٧٣ . ص ٣٤
٥	سعادة الشعراء	٢٥	البلاغ الأسبوعي . مايو ١٩٢٨ . ع ٧٨ . ص ٢٥
٦	هدأة الليل	٢٣	البلاغ الأسبوعي . يونيو ١٩٢٨. ع ٨١ . ص ٢٦
٧	ليلة	١٢	البلاغ الأسبوعي سبتمبر ١٩٢٨ . ع ٩٤ . ص ٢٥
٨	الماضي	٢١	البلاغ الأسبوعي . يناير ١٩٢٩ . ع ٩٧ . ص ٢٦
٩	بسمة بعد العبوس	٢٠	البلاغ الأسبوعي . فبراير ١٩٢٩ . ع ١٠٢. ص ٢٦
١٠	عزلة في ثورة	٣٩	البلاغ الأسبوعي . مارس ١٩٢٩ .ع ١٠٤ . ص٢٧
١١	الصبح يتنفس	٢٠	البلاغ الأسبوعي ـ ابريل ١٩٢٩.ع ١٠٦ . ص ٢٧ ثم نشرت في الوادي بتاريخ ٢٧/ ٨ / ١٩٣٠
١٢	اضطراب حائق	٢٦	البلاغ الأسبوعي . ابريل ١٩٢٩ . ع ١٠٨. ص ٢٧
١٣	نظرة موحشة	٣٢	البلاغ الأسبوعي . أبريل ١٩٢٩ . ع ١١٠ . ص ٢٧
١٤	هدأت يا قلب	١٢	البلاغ الأسبوعي . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٢ . ص ٢٧

(١) لم أتمكن من الحصول عليها .

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
١٥	زفرات جامحة مكبوحة	١٩	البلاغ الأسبوعى . مايو ١٩٢٩ . ع ١١٤ . ص ٢٧
١٦	طيف	١٨	البلاغ الأسبوعى . يونيو ١٩٢٩ . ع ١١٧ . ص ٢٧
١٧	رثاء عهد	٢٠	البلاغ الأسبوعى . سبتمبر ١٩٢٩ . ع ١٣٠.ص ٢٧
١٨	الصديق المفقود	٣٢	البلاغ الأسبوعى . يناير ١٩٣٠. ع ١٤٧ ص ٢٧
١٩	صوت	١٥	البلاغ الأسبوعى . مارس ١٩٣٠. ع ١٥٥ ص ٢٥
٢٠	عهد ذاهب	٢٤	البلاغ الأسبوعى . يوليو ١٩٣٠ . ص ٢٧
٢١	الذكرى الخالدة لسعد زغلول	٣٨	الوادى . أغسطس ١٩٣٠ . ع ٤٣ .
٢٢	السعادة حديث الأشقياء	١٥	البلاغ الأسبوعى ١٩٣٠. ع ١٦٦ ص ٢٨ ،
٢٣	عينان	٨	أبولو . مايو ١٩٣٤ . ص ٨٤١ .
٢٤	حدثينى	١٢	الأسبوع . سبتمبر ١٩٣٤ . ع ٣٩
٢٥	خصام	١٦	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٥
٢٦	بيانو وقلب	١٢	الأسبوع . أكتوبر ١٩٣٤ . ع ٤٨
٢٧	الخطيئة	١٠	صحيفة دار العلوم . أبريل ١٩٣٥ . جـ ٤
٢٨	القطيع	٤٠	صحيفة دار العلوم . يونيو ١٩٣٥ . جـ ١
٢٩	إلى الثلاثين	٢٠	المقتطف . مارس ١٩٣٧ . جـ ٣ . م ٩٠ . ص ٣٢٣
٣٠	ريحانتى الأولى أو الحرمان	٢٠	الرسالة . سبتمبر ١٩٣٧ـ ع ٢٢٠ . ص ١٥٤٦
٣١	غنىٌّ ...!!	٢٤	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٧. ٢٢٤ . ص ١٧٠٩
٣٢	خطى الزمن الوثاب	١٤	صحيفة دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ ٢
٣٣	صدى قبلة	٢٠	المقتطف . أكتوبر ١٩٣٧ . جـ٣ م ٩ . ص ٣٢٠
٣٤	عبادة جديدة	١٥	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٦ . ص ١٧٨٩
٣٥	وحى جديد	٣٢	الرسالة . نوفمبر ١٩٣٧ . ع ٢٢٩ . ص ١٩١٢
٣٦	على القمة	٢٥	المقتطف نوفمبر ١٩٣٧ . جـ٤ . م٩١ ص ٤١٣
٣٧	المهرجان	٣٨	صحيفة دار العلوم . مارس ١٩٣٧ . جـ٤
٣٨	تسبيح	١٥	الرسالة سبتمبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٣ ص ١٥٩٣
٣٩	فى السماء	١٣	الرسالة . أكتوبر ١٩٣٨ . ع ٢٧٥ .ص ١٦٧٣
٤٠	حلم النيل	٦	صحيفة . دار العلوم . أكتوبر ١٩٣٨ . جـ٣
٤١	مصرع قصيدة	١٢	الرسالة . ديسمبر ١٩٣٨.ع ٢٨٣ . ص ١٩٩٣
٤٢	موت سوسو	١٥	المقتطف ـ ١٩٢٠ . جـ٤ م٩٣ . ص٤٦٠
٤٣	وداع الشاطئ	١٥	الر[illegible] . سبتمبر ١٩٤٠ . ع ٣٧٧ .ص ١٤٨٧
٤٤	أكذوبة السلوان	١٠	الرسالة . يونيو ١٩٤١ .ع ٤١٤.ص ٧٦٦
٤٥	الزاد الأخير	١٥	الرسالة . يوليو ١٩٤١ .ع ٤٢٠ .ص ٩٣٥
٤٦	فى مفرق الطريق	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤١ . ع ٤٢٤ . ص ١٠٤٧
٤٧	بين عهدين (العش المهجور / نداء العودة)	١٩	الرسالة . فبراير ١٩٤٢ . ع ٤٥١ . ص ٢٥٠
٤٨	وجوه طريفة	١٤	الرسالة . مارس ١٩٤٢ . ع ٤٥٦ . ص ٣٨٩
٤٩	عاشق المحال	١٤	الثقافة . مايو ١٩٤٢ . ع ١٧٥ . ص ٢٤
٥٠	نوبعة أو شطر من العمر	٤٢	الثقافة . نوفمبر ١٩٤٢ .ع ٢٠٤ . ص ٢٢

مسلسل	عنوان القصيدة	عدد الأبيات	مكان وتاريخ نشرها فى الصحف والمجلات
٥١	حلم الحياة	٣٢	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٦ . ص ٢٤
٥٢	إلى الظلام	١٥	الثقافة . يوليو ١٩٤٣ . ع ٢٣٨ . ص ٢٤
٥٣	الكأس المسمومة	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ . ع ٥٢٩ . ص ٦٦٩
٥٤	نداء الخريف	٤٢	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٣ .ع ٥٣٨ . ص٨٥٨
٥٥	الوادى المقدس	٦٠	الرسالة . مايو ١٩٤٤ - ع ٥٦٦ ـ ص ٣٩٥ ثم نشرت فى الرسالة . أبريل ١٩٤٦ ص ٤٤٨ بعنوان (وادى الخلود)
٥٦	وحى لقاء	١٤	الرسالة . يونيو ١٩٤٤ ـ ع ٥٧١ . ص ٤٩٥
٥٧	حلم الفجر	١٥	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٤ ـ ع ٥٨٨ . ص ٩١٧
٥٨	صدى الفاجعة	١٨	الرسالة . مارس ١٩٤٥ .ع ٦١٠ .ص ٢٥٨
٥٩	انتهينا	٣٠	الرسالة . أبريل ١٩٤٥ .ع ٦١٦ . ص ٤٢٩
٦٠	نهاية المطاف	٢٠	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ .ع ٦٣١ .ص ٨٤٩
٦١	فى ليلة من ليالى الربيع	١٦	الرسالة . أغسطس ١٩٤٥ . ع ٦٣٣ . ص ٩٠٤
٦٢	حلم قديم	١٦	الرسالة . أكتوبر ١٩٤٥ . ع ٦٤٠ .ص ١١٠١
٦٣	قافلة الرقيق	١٨	الكتاب . يونيو ١٩٤٦ .جـ ٨ . م٢
٦٤	أقدام فى الرمال	١٤	الكتاب أكتوبر ١٩٤٦ . جـ ١٢ . م٢
٦٥	بعد الأوان	٢٠	العالم العربى ـ جمادى الآخرة ١٣٦٦ .ع ٢ . ص ٥٥
٦٦	جمال حزين	١٠	الفكر الجديد ـ يناير ١٩٤٨ .ع٤
٦٧	خدعة الخلود	١٥	الأديب ١٩٤٨ . جـ٥ .ص ١٦
٦٨	هتاف روح	١٥	الرسالة . ابريل ١٩٥٠ .ع٨٧٧ .ص ٤٧٢
٦٩	دعاء الغريب	١٨	الكتاب يونيو ١٩٥٠ . ص ٤٩٧
٧٠	هُبَلٌ .. هُبَل	٢٧	فى كتاب (شعراء الدعوه الإسلامية فى العصر الحديث جـ٤ .ص ٤١ تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار (مؤسسة الرسالة)
٧١	أخى	٣٢	المصدر السابق كتاب (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) جـ٤ .ص ٤٣

فيكون مجموع قصائد الشاعر خارج ديوان الشاطئ المجهول واحد وسبعون قصيدة ، ومجموع الأبيات ١٤٧٠ سبعون وأربعمائة وألف .

ولقد أشيع أن لسيد قطب دواوين أخرى غير الشاطىء المجهول . والحقيقة أنى لم أعثر على غير الشاطىء المجهول . وأسماء الدواوين التى نسبت له هى : أصداء الزمن ، الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق وحلم الفجر فخبرها كالتالى :

« أصداء الزمن » أغلب الظن أنه قد صدر لسيد قطب ديوان بهذا العنوان ، والدليل

على ذلك أنى عثرت على بعض القصائد فى مجلتى : الرسالة وصحيفة دار العلوم تفيد تذييلاتها أنها من ديوان سيصدر فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ بعنوان : أصداء الزمن ، وعناوين هذه القصائد هى : « عبادة جديدة » ، « وحى جديد » فى مجلة الرسالة ، « وخطى الزمن الوثاب » فى صحيفة دار العلوم . ودليل آخر هو تأكيد الموظف المختص بمكتبة معهد الدراسات العربية العالى الكائن بجاردن سيتى على أن هذا الديوان كان موجودا بمكتبة المعهد ، لكنه فقد فى أيام محنة سيد قطب مع الإخوان .

وأما الكأس المسمومة ، وقافلة الرقيق ، وحلم الفجر فليست إلا عناوين لقصائد نشرها سيد قطب فى مجلتى : الرسالة والكتاب ، ولم أعثر على أى خبر أو أثر يفيد أنه قد ظهرت له دواوين بهذه الأسماء ، ومن المحتمل جداً أن يكون الأمر قد التبس على الناشرين الذين نشروا مؤلفات سيد قطب أيام محنته دون إذن أو تصريح ، فظنوا تلك القصائد دواوين فنشروا أسماءها فى قائمة مؤلفاته .

وأخيرا فإنى قد صنفت القصائد فى هذا الكتاب حسب الموضوعات التى تعالجها ، وهى :

١ ـ **التمرد** : ويشتمل على القصائد : اضطراب حانق ، زفرات جامحة مكبوحة ، عزلة فى ثورة ، عاشق المحال ، بعد الأوان ، وحلم قديم .

٢ ـ **الشكوى** : وفيه نجد قصائد : خريف الحياة ، الصديق المفقود ، غريب ، خراب ، النفس الضائعة ، نهاية المطاف ، الغد المجهول ، مر يوم ، خطى الزمن الوثاب ، سعادة الشعراء ، وسخرية الأقدار ، إلى الثلاثين .

٣ ـ **الحنين** : وقصائده هى : جولة فى أعماق الماضى ، عهد الصغر ، رثاء عهد ، الماضى ، وحى الريف : (العودة إلى الريف ، ليلات فى الريف ، الليلات المبعوثة) ، بين عهدين : (العش المهجور ، نداء العودة) ، ريحانتى الأولى أو الحرمان ، السعادة حديث الأشقياء ، ابتسامة ، هتاف روح ، دعاء الغريب ، عبادة جديدة ، تسبيح ، فى السماء ، نداء الخريف ، عهد ذاهب .

٤ ـ **التأمل** : فى الصحراء ، الإنسان الأخير ، إلى الظلام ، قافلة الرقيق ، أقدام فى الرمال ، القطيع ، خدعة الخلود ، الدنيا ، الخطيئة ، السر أو الشاعر فى

وادى الموتى ، بين الظلال ، إلى الشاطىء المجهول ، الشعاع الخابى ، التجارب ، هدأت يا قلب ، عودة الحياة ، البعث ، مصرع قصيدة ، فى مفرق الطريق ، وجوه طريفة ، بسمة بعد العبوس ، خبيئة نفسى ، على القمة .

٥ ــ **الغزل** : وتتناوله القصائد التالية : هى أنت ، الظامئة ، رسول الحياة ، تحية الحياة ، أحبك ، لماذا أحبك ، توارد خواطر ، سر انتصار الحياة ، المعجزة ، اللحن الحزين ، الغيرة ، مصرع حب ، الحنين والدموع ، اللغز ، قبلة ، داعى الحياة ، الخطر ، يقظة ، رقية الحب ، الحياة الغالية ، الكون الجديد ، حب الشكور ، عصمة الحب ، الانتظار الخالد ، الحب المكروه ، نكسة ، على أطلال الحب ، غنى ، وحى جديد ، أكذوبة السلوان ، وحى لقاء ، حلم الفجر ، انتهينا ، الكأس المسمومة ، حلم الحياة ، حدثينى ، خصام ، بيانو وقلب ، ليلة ، نظرة موحشة ، طيف ، عينان ، صدى قبلة ، صوت .

٦ ــ **الوصف** : وتعالجه قصائد : هدأة الليل ، وردة ذابلة ، الصبح يتنفس ، يوم خريف ، وداع الشاطىء ، فى ليلة من ليالى الربيع ، وادى الخلود أو الوادى المقدس ، حلم النيل ، عبث الجمال ، ناحت الصخر ، الجبار العاجز ، العود ، جمال حزين ، وبريشة الشعر أو صورة صادقة .

٧ ــ **الرثاء** : ونجده فى قصائد : وحى الخلود ، الذكرى الخالدة لسعد ، ذكرى سعد زغلول ، صدعة الفاجعة ، البطل ، طليعة الضحايا ، نوسه أو شطر من العمر ، وموت سوسو ، الزاد الأخير

٨ ــ **الوطنيات** : إلى البلاد الشقيقة ، مأساة البدارى ، صوت الوطنية ، والمهرجان .

وأسأل الله أن يرحم سيد قطب ، وينفعنا بعلمه ، ولا يفتنا بعده ، ولا يحرمنا أجره ، ويهدينا سواء السبيل .

عبد الباقى محمد حسين تهامى

باريس فى يوم الجمعة ١٨ من المحرم ١٤٠٨ هـ ١١ من سبتمبر ١٩٨٧ م


Twitter: @brahemGH

مقدمة الديوان

كتبها الأديب الناقد « سيد قطب » بيراعه الثاقب ولمسته الحريرية عام ١٩٣٤ فى مقدمة ديوانه « الشاطئ المجهول » آثرنا إثباتها فى أول الديوان للاستفادة من رأى الشاعر وأفكاره فيها .


Twitter: @brahemGH

المقدمة

بقلم الناقد سيد قطب

تمهيد :

أعرفُ مؤلفَ هذا الديوانِ ؛ معرفةً وثيقةً عميقة ، قد لا يتأتى لأىّ سِواى أن يعرفَها ! ولقد صاحِبتُه زُهاء[1] سنواتٍ عشرٍ أو أكثر قليلا ، وراقبتُ خوالجَه[2] وسَرائرَه وخَبَرْتُ اتجاهاتِه وميولَه ؛ وكونتُ لى رأياً عنه ، أقربَ ما يكون إلى حقيقته .

ولقد كان يَشْجُرُ بيننا الخلافُ على كثيرٍ من الخَوالجِ والقصائد ، ولكننا كُنَّا نلتقى عن قريب أو بعيد ، إلا أمرا واحدا ، لا نزال مختلفين فيه أشدَّ الاختلاف .

ذلك أنه راضٍ عن مجموعة هذا الديوان ؛ أمّا أنا فلستُ راضيا عنها إلا بمقدار ، وما أزال أتطلعُ إلى مُثلٍ عُلْيَا ، كما آخذُ عليه بعضَ أنواعِ الضعفِ والخطأ ؛ وما يشبه الضعفَ والخطأ فى بعض الأفكَارِ وبعض الألفاظ !

وفى هذه المقدمة ؛ سَأستعرض آراءَ الشاعر واتجاهاتِه ثم أذكر مآخذَه وعيوبَه مُحاولِاً ألا تؤثرَ صُحبتى الطويلةُ له ، والصداقةُ العميقة بيننا ؛ فى تحليلى لديوانه !!

الشعر والنظريات العلمية والفلسفية :

فى الفصل الأول من هذا الديوان* ، وفى كثير من قصائد الفُصول الأخرى ، تُطالع القارىء ، نظرياتٌ علميةٌ وفلسفيةٌ كثيرة ، ولكنها لم تحتفظ بِسَمْتِها[3] العلمى وشخصيتِها المحددة ، بل استحالت صورةً من صورِ الشعر ، فيها موسيقيته وعليها مِسْحَتُه ؛ ولها سِحْنَتُهُ[4]

(١) زهاء : ما يقرب من .

(٢) خوالجه : خواطره ونزعاته .

(*) كما جاء فى ديوان الشاطىء المجهول .

(٣) بسمتها : بما تميّزت به .

(٤) السحنة : الهيئة واللون .

وليس هناك عداء بين الشعر وبين الفلسفة والعلم فليس الثلاثة أنداداً[٥] حتى يَشْجُرَ بينها العداء !

إنما الشعرُ أوسعُ مجالاً من العلم ؛ ومن الفلسفة أيضا ، ولن يَعْسُر عليه ، حين يبلغُ حَداً مُناسباً من النُّضُوج ؛ أن يلتهمَهما جميعا ، ويَعتصرَهما دماً ، ويُمثّلَهما غِذاءً ، يُقَوّى من بِنْيَتِه ؛ وإن لم يُحسّ بوجوده !

ولن ننكر على الشعرِ إلمامَه بالحقائقِ العلميةِ والفلسفية فيما يُلِمُّ به من حقائقَ أخرى تُناسب طبيعتَه ؛ إلا إذا قَصَرْنا طرقَ « المعرفة » على القُوىٰ الواعية فى الإنسان ، وهذا مبدأ لم يسلمْ من المآخذ ، حتى فى أكْثَفِ العصور ماديةً ، وكثيرٌ من مدارس السيكلوجية[٦] الحديثة ، تحسب للقُوىٰ المجهولةِ فى النفس الإنسانية حسابا كبيرا ، وفى مقدمتها « مدرسة التحليل النفسى » .

وهأنذا ألخصُ بعض هذه المسائل ، التى تُعْرَضُ للقارىء فى هذا الديوان ، والتى أدْرَكَها الشاعر بالإحساسِ والتأمُّل تارةً ، وبالاستغراقِ والتجردِ تارةً ؛ فالتقتْ بعد ذلك بنظرياتٍ علميةٍ وفلسفيةٍ مقررة ، واتفقتْ معها ؛ أو اختلفتْ ، لأنها لم تتقيدْ بها ، ولم تأتِ عن طريقِها وحدَه .

الجسم والعقل والروح :

القولُ بالتباينِ بين الجسم والرُّوح ، قديمٌ مُتداولٌ فى الفلسفة القديمة ، والشاعر مَيّالٌ إلى الأخذ بالرُّوح العامة لهذه الفلسفة القديمة ، وإن لم يأخذْ بنصوصِها فى الفصل بين هذين العُنْصرين ، لاعتقاده بوحدةِ الوجودِ .

وبالتحديد يرى أنَّ هناك شيئين متميزين « جسماً ورُوحاً » ولكن بينهما اتصالاً ...

أما ما يستحق الالتفات فهو أنه يُفرِّق بعد ذلك بين القوىٰ العقلية ؛ والقوىٰ الرُّوحية فى الإنسان ، وبتعبيرٍ أدق بين القوىٰ الواعية ، والقوى المُلْهِمَةِ « وليست هى الغرائز » القوى المجهولة الكُنْه والوظيفةَ ، والتى تعمل دون شعور بها ؛ للسمو بالإنسانية .

---

(٥) النِّدُّ : المِثْلُ والنظير .

(٦) السيكلوجية : علم النفس .

ويرىٰ أن العقل يستطيع أن يَكْفُلَ للإنسانية حياتها اليومية وما يقربُ منها ولكنه يَقْصُرُ عن اتصالِها بالمُثُل العُليا الغامضة ، وبالعوالِم المجهولة ، كما يَقْصُرُ عن إدْماجِهَا فى الوحدةِ الكونية الكُبرَى ، والحقيقة الثابتة المتصلة ، التى تبعد عن الفواصل من أمثال « قبل وبعد . ماض وحاضر ومستقبل أنا وغير » .. إلخ

وفى قصيدةِ الشاطىء المجهول ؛ وهى أُولىٰ قصائد الديوان تفصيل لهذا البحث ، كما أن فيها ظاهرة أخرى ؛ وهى عدم ثقة الشاعر بالقُوىٰ الواعية ؛ وشدةُ إيمانه بالرُّوح وما يتصل بها من بَدَاهةٍ[7] ، واستغراقٍ ، وتجردٍ ؛ وصوفيةٍ

لقد حَجَبَ العقلُ الذى نستشيرُه حقائقَ جَلَّتْ عن حقائِقنا الصُّغْرىٰ
هنا عَالمُ الأرواحِ فَلْنَخْلَع الحِجَا[8] فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

الجسم والزمن والوحدة :

القُوىٰ الرُّوحية ـــ عند الشاعر ـــ هى التي تربطه بالوحدة الكونية الكُبرىٰ كما تقدم ، فى حين تَقْصُرُ القُوىٰ العقليةُ عن ذلك ، وهو يرى أن الشعورَ بالزمن ؛ نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوىٰ الواعية ؛ وأن الرُّوح تحسُّ بالوجود المطْلَق ؛ لا يقيده الزمن ؛ وبالبداهة[9] لا يقيده المكان .

ولذلك فهو حينما خَلَعَ الجسم وخلع الحِجَا فى « الشاطىء المجهول » رأى أنْ ليس هناك « حيث » ولا « أمس » ولا « اليوم » ولا « الغد » ولا « غير » ولا « أنا » ... إلخ

ولكنه رأى « الأزمان كالحَلْقَةِ الكُبرى » ورأى « الوحدة التى احتجبت سراً » . وكذلك فى قصيدة « الليلات المبعوثة » حين تجرد لم يَرَ للزمانِ مَعْلَماً ولا رَسْماً ورأى كل شيء كرمز الدَّوام .

وقد يكون لهذا الإحساس علاقةٌ بنظرية النسبية[10] لأنشتين ، كما قد يكون

---

(٧) وضوح الأفكار والقضايا بحيث تفرض نفسها على الذهن (فى الفلسفة) .

(٨) الحجا : العقل .

(٩) بالبداهة : بالتفكير السليم .

(١٠) نظرية النسبية : النظرية التى يتوصل فيها على أساس مبدأ النسبية إلى معرفة ما تُفضى إليه من نتائج . ونظرية النسبية لأنشتين : العلاقة بين الزمن والحجم والكتلة والتى يطلق عليها أنها تتغير طبقا لزيادة السرعة =

له علاقة بنظريات التصوف الإسلامى ولكنه الإحساس المستقل للشاعر ؛ الذى يشعر به ، ويكرره فى كثيرٍ من قصائده .

ويبدو شعورهُ بالوَحدة الكَوْنية بشكلٍ واضحٍ فى قصيدة « الإنسان الأخير » ؛ حين يستيقظُ والكون قد خَلا من الأحياء

ففى نفسِه ما يُشْبهُ الموتَ سَكْرَةً   ومِنْ حَولِهِ موتٌ نَمَتْه المقابرُ
وفى نفسِه مِنْ مِثْلِها كلُّ ذَرَّةٍ   فَهاتِيك أشلاءٌ(١١) وهَذى خَواطِرُ

وفى قصيدةِ « خبيئة(١٢) نفسى » إذ يقول

خَبيئةُ نَفْسِى فى ثناياك مَعْرِضُ   لِما لَقِيتْه الأرضُ فى الجَولَانِ
وإنكِ طَلْسَمُ(١٣) الحياةِ جَميعِها   وصورتُها الصُّغْرىٰ بكلِّ مَكَانِ

ويبدو شعورُه بوَحدةِ الإنسانية ؛ فى مواضع كثيرة منها أن يجعلَ الإنسانَ الأخيرَ يحاولُ كَشْفَ أسرارِ الغيبِ إكمالاً للجهادِ الإنسانى لهذه الغاية

فَياليَته يَدْرى بما خَلْفَ سِتْرِهِ   فَيَخْتِمُ سِفْرَ(١٤) الناسِ فى الكونِ ظَافِرُ

وفى قصيدة التجارب ، يبدو إيمانُه بوَحدة الشعور فقد صَوَّرَ شقيًّا وُهِبَ ماضياً سعيداً ؛ فلم يُطِقْ عليه صَبْراً وعادَ ماضيه الشَّقى تَوْحيداً لشعورِهِ !

الإحساس بالزمن ، ومحاولة الخلود :

تَبدو ظاهرةٌ ؛ تستحقُ الالتفاتَ فى شعر هذا الديوان ، فكثيرٌ منه ، يدلُّ على إحساس متيقظٍ بالزمن ومروره والأسف على انقضائه ؛ والتنبُه إلى قِصَرِ الحياة ؛ ومحاولَة خلودِها أو امتدادُها على الأقل .

ويملأ الإحساسُ بالزمن كثيراً من فُصول الديوان المختلفة ؛ ففى فصل « الظلال والرموز »يبدو هذا الإحساسُ على أشُدّه فى قصيدة « البعث » .

= النظرية النسبية : Theory of relativity
The relationship between : Time, Size and mass, which are said To change with increased Speed
.P. 932 long dic . of Contemporary English .

(١١) أشلاء : مفردها شِلْو ، والأشْلاء : أجزاء الجسم بعد الموت والبِلَىٰ .
(١٢) خبيئة : المَخْبُوء .
(١٣) الطِّلَسْم (فى علم السحر) : الشىء الغامض .
(١٤) سفر : كتاب .

هكذا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ في ربيع العمرِ ؛ في العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضى الحَسيرِ[١٥] رَجْعَةً ، مِنْ بَعْدِ ما جَاءَ ومَرْ
كنتُ أُحْيِيه كما يَحيَا الشَّبابُ نابضاً بالحُبِّ ؛ جَيّاشَ الأمَانِى
مُمْسِكاً أهْدابَه[١٦] خَوفَ الذِّهابِ ! مُسْتَعِزاً فيه حتى بِالثَّوانِى

وفى فصل « الصور والتأملات » تجده جَازِعاً آسفاً على أنه « مر يوم » من حياته .

لم تكنْ فيه حَياةٌ أو أملْ أو تَمَتُّعْ
وهو مَحسُوبٌ علينا فى الأجَلْ فَهو أضيَعْ

وكذلك تَجِدُهُ ينادى ليلاتِ الريف فى لهفةٍ « إيه ليلاتنا ، اخْلُدى ، لا تغيبى » !

وفى فصل « الغزل والمناجاة » تجده يتحدث عن « الحياة الغالية » فيقول .

واليومَ آسفٌ للدقائِق تَنْطَوى مِنْ عُمرِى الغَالى الثمينِ الطيِّب
واليومَ أرْقُبُها وأرْقُبُ خطْوهَا فَأعِيشُها مِثْلَينِ بعدَ تَرَقُّبِى !

وفى مواضع أخرى كثيرة

وليس غريبا ؛ أن تلمحَ اعتزازَه بالماضِى وأسفَه عليه مُتَفَشّياً فى معظمِ فصولِ الديوان ، فهو تتمةٌ لهذا الإحْساسِ الغريبِ بالزمن .

وهو لهذا يحاولُ الخلود ، ويسلُكُ إليه طرائق شتىٰ فتارة يَعْتَصِمُ بالحب .

وغَناءٌ عن الخلودِ هو غَرامٌ هو رمزٌ وَوَصْلةٌ للبَقَاءِ

وتارةً يلجأ إلى الريف ؛ لأن مظاهر الدَّوام والاستقرارِ فيه ؛ تُخففُ حدةَ الشعور بمرور الزمن

ياريفُ فيك مِنَ الخُلودِ أثارَةٌ[١٧] تَنْسَابُ فى خَلَدِى وفى أوْهَامِى

فإذا أعياه ذلك ؛ وأعيا طبيعةَ الخلق ، فهو يتعزّى بأخيه ؛ ويُهدِى إليه الديوان لأنه امتدادُه فى الحياةِ .

---

(١٥) الحسير : المُتْعَبُ الكليل . (١٦) أطرافه . (١٧) أثارةً : من أثره يَأْثُرُ أثْراً وأثَارةً : تبع أثره .

تمنيتُ ما أعيَا المقاديرَ إنما وجدتُكَ رمزاً للأمانِى الصَّوادِفِ
فأنْتَ عَزائِى فى حياةٍ قَصِيرةٍ وأنتَ امتدادِى فى الحياةِ وخَالفِى

المجهول :

يملأ الشَّغَفُ بكشفِ « المجهول » والحديث عن « السِّرِّ » حَيزاً كبيرا من الديوان ؛ ويمدُّ جناحيْه على حيزٍ آخر ، ومن هنا جاء اسمه .

ولعلّها محاولةٌ من محاولات الخُلودِ ، أو تَعْمِيق الحياة وتمديدها ؛ بمعرفةِ عَوالم وَمصَائرَ مجهولة ، يضيّق الجهلُ بها أُفقَ الحياة .

أم لعلّها نتيجةٌ للفصلِ بين أجزاءِ الكونِ والحياة ، بهذا الجسم الذى لابدَّ له من الفواصِل والحدودِ مع شوقِ القُوىٰ الرُّوحية ، إلى العوالِم المجهولَة ، التى حجبها الجسم والقُوىٰ الواعية .

وعلى أى حالٍ فالحديثُ عن المجهول يأخذ صوراً متعددة ، ويشغل مكاناً كبيراً من اهتمام الشاعر ، حتى لقد يُلِحُّ عليه فى فصل « الغزل والمناجاة » فى قصائد كثيرة .

ملكة التصوير وروح القصص :

يتبين للناقد ، أن الشاعر فى هذا الديوان ؛ يقف موقفَ المُصوِّر فى كثير من القصائد ؛ حتى لا تكاد تخلو قصيدة من تصوير .

وقد يزيد على الصورة الصامتة فى كثير من الأحيان حركةٌ نابضةٌ ؛ والأمثلةُ على ذلك فى « الشُّعاع الخَابِى . وخراب . والصحراء . والإنسان الأخير . وخريف الحياة . والجبار العاجز . ونَاحِتِ الصَّخرِ » لا بل الأمثلة هى هذا الديوان كله ، فهو مُتْحَفُ صُورٍ ، قبل أن يكونَ قصائدَ شعرٍ !

ولكن أى تصوير ؟

إنه التصوير الهادىء ؛ الغامض . فالهدوء والغموض هما اللذان يثيران فى الشاعر خاطر التصوير ، بل خاطر التعبير وهو يَهرُبُ من الضجةِ كما يهرُبُ من الوضوح ، فإذا اضطر لملابستهما ، فهو يعيش فيهما ولكن لا يعبِّر عنهما .

ولقد لاحظت أن ألوان ملابسه جميعا تتفق مع هذا الميل وكذلك ألوان الأزهار التى يَألَفُها ؛ والمناظر التى يفضلها .

وهو مصورٌ حِسيٌّ فى بعض الأحيان . كما قد يصور الحركات الفكرية ويجسمها ، أو الخواطر النفسية ؛ ومنها ما يجول فى نفسه هو ؛ فتعجب لهذا « الوعى الفنى » الذى يستطيع معه تصوير خَلجَات نفسِه تصويرَ « المنتبه » لها فى حركتها الداخلية المستمرة كما فى « خبيئة نفسى ، والنفس الضائعة ، والغد المجهول ، وغريب » وسواها .

وكذلك تجد رُوحَ القصص واضحةً ومتفشيةً فى كثير من المواضع ، وهو يرمز للفكرة بقصة صغيرة ، أو حوار كما فى « التجارب » و « فى الصحراء » أو يجعل بعض القصيدة قَصَصاً ، لتصويرِ موقفٍ من المواقف .

موسيقية الديوان :

منذ عهد قريب جداً ، كشفتُ عن ظاهرةٍ تستحق التسجيلَ ، ذلك أن لوناً من ألوان الموسيقا ؛ يتفشى فى هذا الديوان كله ؛ على اختلاف أوزانه وموضوعاته .

ويجب قبلَ الحديث فى هذا ، أن أذكر أن موسيقا القصيدة ؛ غير وزنها . فالوزنُ يتحققُ بأيِّ الألفاظِ ؛ ولكن المُوسيقا ؛ كما تعتمد على الوزن ؛ تعتمد على الألفاظ والتراكيب الخاصة .

هذه هى الموسيقا السمعية ، ولكن هناك موسيقا أخرى أرقى وهى الموسيقا الفكرية ؛ ثم الموسيقا الرُّوحية .

وتتحقق الأولى بالوزن والألفاظ ، والثانية بتسلسل الفكرةِ وتلاؤمِ أجزائها ، والثالثة بالجو العام الذى يحس به القارىء للقصيدة . ومَامِنْ شَكٍّ فى أن جواً نفسيا خاصاً يَحفُّ بالقارىء دون أن يحددَ أسبابَه .

وهذه الموسيقا الرُّوحية هى التى أعنى أنها واحدة فى الديوان ، وهى من لَونٍ واحد . لون الموسيقا الصعيدية ! موسيقا أولئك « الصعايدة » الغُرباء ؛ وهم يرتِّلُونها فى نَغَمٍ رتيب ، فيه شَجْوٌ(١٧) وفيه ألم ، وفيه حنين . ولكن فيه كذَلك رجولة

(١٧) شجو : حزن .

وخشونة وروعة .

وتعليل هذا من الوجهة العلمية سهلٌ . ونظرية « العقل الباطن » تفسره فقد انْدَسَّتْ(١٨) هذه الألحانُ فى نفس الشاعر وهو طفلُ فى « موشا » وهى قرية من قرى أسيوط وهو يقول عن هذا الريف :

إنى فَقَدتُكَ فى الطفولةِ غَافلاً عَمَّا حَويتَ مِن الوجودِ السَّامِى
لكن وَجَدتُك إذ كَبرت بِخاطِرِى رَمزاً أُحِيطَ بِغَمْرةِ الإِبْهامِ

التعبير :

تبدو فى هذا الديوان ؛ صورة واضحة للتعبير الدقيق المُصوِّر للأفكار ؛ وأضْرِب مثلا لذلك بقصيدة « فى الصحراء » فهناك نَخْلَةٌ مَلَّتْ الحياةَ التى لاتعرِفُ سِرَّها « يرمز بها إلى الأحياء جميعا » فهذه النخلة تقول لأختها :

مُنذُ مَا أُطْلِعْتُ فى هذا الخَرابِ وأنا أسْألُ : ما شَأْنِى هُنا ؟

ولو قال « منذ مَا طَلَعتُ » لذهبت قيمة التعبير المصور لحالة هذه النخلة التى أُرْغِمَتْ على الحياة « فَأُطْلِعَتْ » دون إرادتِها ؛ ولم « تَطْلُعْ » هى بمشيئتها . ومثل هذه الدِّقة كثير فى الديوان إلا أن هذا لا ينفى أن هناك ضعفاً فى بعضِ التراكيب ؛ وخَطَأً فى بعضِ الألفاظِ وإن تكن معدودة .

والذى يستحقُّ التنبيه أن هناك جُرْأَةً فى الاشتقاق ، قد تُؤدى إلى الفوضى ، وقد يستغلّها العاجزُون فى اللغة استغلالا ... !

خاتمة :

وبعدُ : فهناك مَباحثُ طويلةٌ عن بقية فصولِ الديوان لا تتسع لها المقدمة ولا سيما فصلُ « الغزل » وفصلُ « الوطنيات » أتركها للقراء .

ثم أنبه إلى أن هذا الديوان ، قصائد مختارة من مجموعة شعر الشاعر معظمها من إنتاجه فى عام ١٩٣٤ ، أما بقية القصائد فقد حال تضخَمُ هذا الجزء ، دون نشرِها وستُنْشر فى مجموعات أخرى .

---

(١٨) انّدست : دخلت فى خفاء واستتار ، أو دخلت بقهر وقوة .

التمـــرد

إنّ نفسِي ليس تَرضَى : أيُّ نفس

تقبل العيــش كسُــكّانِ القبــورْ ؟

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

عُزْلَةٌ فى ثَوْرَة !!!(١)

حَدثِينِي أنْتِ يا نَفْسِي فما ... أفهمُ العَالَم أو يَفْهَمُنِي
إننى أنكرتُه اليومَ كما ... أنه بالأمسِ قَدْ أنْكَرَنِي
لم أجدْ فى الكون إلا ألَما ... إنّما الوَحْدَةُ أصلُ الشَّجَنِ

وَحْدَةُ الأرواحِ أنْكَى(٢) الوَحدَات ... وَحدةُ الأجسامِ تُنْسَى وتَهوُنْ
أى بؤسى تستحثُ الذكرياتِ ... كانفرادِ الرُّوحِ فى وادى الشُّجُونْ
إنَّ رُوحى قد تَناسَتْ «خُذْ وهَات» ... وانزوتْ فى عالمٍ(٣) جَمِّ السُّكُونْ

٭

لم أجدْ قلباً إذا ارتعتُ(٤) خَفَق ... خفقةَ الحُبِّ بوحْيٍ صادقِ
وإذا شَذَّ فؤادٌ فصَدَق ... أتبعَ الحُبَّ بغَدْرٍ مَاحِقِ(٥)
وفؤادِي يَتَنَزى(٦) فى حَرَقٍ(٧) ... وَاجِفاً(٨) مِنْ كلِّ حَدسٍ طارقِ

وحبيبٌ قَدْ سَمَتْ رُوحِي إليه ... وعبدتُ الطُّهْرَ فيه والجَمَالْ
ووقفتُ النفسَ والفكرَ عليه ... والأمانيَّ وأطيافَ الخَيَالْ
ورأى مِنى أسيراً في يَدَيه ... فتولَّى لاهِياً عنى ومَالْ

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٢٩ .
(٢) أنكى : أشد جرحا أو ألماً .
(٣) جم السكون : شديد السكون : سكون تام .
(٤) ارتعت : فزعت .
(٥) ماحق : هالك .
(٦) يتنزى : يتوثب .
(٧) حرق : نار .
(٨) واجفا : مضطربا .

لم أجدْ فى الكونِ ما أنْشُدُه مَثَلا أعْلىٰ فأرْوِى ظَمَئــي
وإذا صوّرتُ ما أقصدُه بُهِتَ النـــاسُ لهذا النَّبَـــإ
وتولّـــى بعضُهـــم يَنْقُــدُه جاهداً والبعضُ يَروِى خَطَئِى

* *

وتقاليـــدٌ وأسْرَىٰ يَعْبــدُون هذه الأصنـامَ مُغْلُولى الفِكَرْ
وإذا ثُرتُ عليها يَسْخَطُــون ويقولــون تمــادَى وكَفَـــرْ !
ويْحَهم ماذا تَراهـم يبْتَغُونَ ؟ أتُرىٰ نَحيا شُخُوصاً مِنْ حَجَرْ ؟!

إنْ ذكرتُ الحُبَّ قُدْسِياً نَقِياً حسَبُوه من خَيـالِ الشُّعَـراءْ
إننـى أُدْرِكـهُ رُوحــاً خَفِيــاً يَهْبطُ الأرضَ ومَـأواه السَّمَـاءْ
وهـــم يَبْغُونَـــه إثماً فَرِيـــاً يُرْتَـدَىٰ فى أثْـوابِ البغـــاءْ !

يَسْتبى الحُسْنُ فُؤادِى فأمِيلُ مُبْدياً كُلَّ الذي بى مِنْ شَغَفْ
مُوفيا بالعهدِ عَنه لا أحـولُ ظَاهـرَ العِفَّـةِ مَوفـورَ الشَّرَفْ
ماالـذى يَبْغِيه مِنْ عَذْلِى جَهولٌ وأنـــا أنْقَـــىٰ فؤاداً وأعَـــفْ

أتُرى أحيـا بُروحٍ لا تَحِسُّ وفؤادٍ ليس يَدْرِى مَا الشُّعورْ ؟
أكتمُ الأنفاسَ إن جَالتْ بِحسٍّ ثُمَّ أبْقَى صخرةً بين الصُّخُورْ ؟
إنَّ نفسِى ليس تَرضَىٰ : أيُّ نَفسٍ تقبلُ العيشَ كسُكَّانِ القُبُورْ ؟

حدثينى أنتِ يا نفسُ إذَن واتركِي العَالمَ في الكَوْنِ يَمُوجْ
واعشَقِـــي كُلَّ جمالٍ يُفْتَتَنُ واضحَ الطَّلعـةِ بَسَّامٍ بَهيـــجْ
وخُذِى مَا شِئتِه من كلِّ فَنٍّ ودَعِى مَنْ هَاجَ فى الأرض يَهيج !

* * *

حَلِّقِي يا نفسُ فى كلِّ فَضَاءٍ واهبِطِى بينَ الأقاحِي والزُّهُـورْ

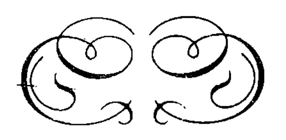
وَاسمَعِى ماشئتِ مِنْ عَذْبِ الغِنَاء   حينما تَهْتِـفُ باللّحْـن الطُّيـورْ
إنما الكـونُ ومَـنْ فيـه هَبَـاء   بعدمَا يَرْضَىٰ عن النفسِ الضَّميرْ

* * *

حَدِّثي يانـفسُ إني لَسميــعُ   إنْ لَها[9] الناسُ ولم يَسْتَمعُوا
وَصِفى إحساسَكِ السَّامِى البديعَ   ودَعِيهم حيثُ هُمْ قَدْ وَدَّعوُا
وإذا الألفاظُ أعيتْ ، فالدموعُ   فإذا جَفَّتْ ، فخفْقٌ يُسْمَـعُ

* * *

أقفرَ العَالمُ من كلِّ سَميرٍ   يُبْعِدُ الوَحْشَةَ عَنِّى غيرَ نَفْسِى
فَلْيُفْضِ ما جَاشَ فيها من شعورٍ   ولتكنْ إلْفِى ومَنْ أرجُو لِأُنْسِي
وَحْـــدَةٌ فيها هُدوءٌ وسرور   ومناجاةٌ ، فيـا نَفْسِي تَأسِّي



---

(٩) لها : من اللهو .

اضْطِرَابٌ حَانِق ![1]

أحيــــــــــاةٌ أمْ نارُ الجحيم بِلظَاهَـا الهائــج المُسْتَعِــرْ ؟[2]
لا . ففى نفسِى من الشَّجْو الأليمِ من حَياتى فَوقَ مَافى سَقَرْ !

آه . لا شَكْوىٰ ولا بَثَّ شَجَنْ لاأريـدُ الضعـفَ . كلا . لاأريـــدْ
سوفَ لا يظهرُ منى مَاكَمُنْ[3] فليشدَّ الخَطْبُ إنى لَشديـدْ

* * *

ولمن أشكُو إذا شئتُ الشَّكَاه ؟ ولمن أسطيعُ إيضاحَ شُعورى ؟
أيـنَ مَن ينظـرُ مِنّـي مَاأراه في شعورِي ، غيرَ نَفسِى وضَميرِى؟!

أُغْرُبِي عَني بعيداً يا حَيَاتِي قد كَرِهتُ العيشَ فى جَوٍّ قَذِرْ !
أُغْـــرُبى محفوفـــةً باللعنــــاتِ آبعُدي عن سَاخِطٍ جهِمٍ[4] ضَجِرْ ![5]

لافِــراراً من جهـــادٍ كالجَبَــــانِ لا . فمــا كنتُ جَبَانَــا أحْــذَرْ !
إنما أنْتِ سبيـــــلٌ للهــــــوانِ لستُ أرْضَاه ونَــــفْسِى تَشْعُــــــرْ

أأنَاسِيًّـــــــــــــا أرى أم حَشَراتٍ شَوَّهَتْ من طَلْعَةِ الكـونِ الجميـــلْ ؟
يُشْبِهُــونَ النــاسَ فى تلك السِّمَــاتِ بينما أنْفُسُهــــــم رِجْسٌ يَسِيـــــلْ !

---

(١) نشرت فى ابريل ١٩٢٩ . (٢) المستعر : المتوقد ، المشتعل . (٣) كَمُنَ : اختفى .
(٤) جهم : عابس الوجه . (٥) ضجر : ضاق وتبرم .

حَقَــروا الكونَ وأغـراضَ الحيـاةِ حَسبُوهـــــــــا دَنَساً فى دَنَسْ
وصَغَــــاراً ليس يَرْضاه إلـــــــــه وَهَبَ الأرواحَ نُورَ القَـــــــبَسْ[٦] !

* * *

إنَّهـــم لَم يَعرِفُـــوا معنـــى الجمـــالِ إنّهـــم قد جَهِلُـــوا سِرَّ الوجُــــودْ
وإذا طَالَعَهـــم طيــــفُ الكمـــال لائحــاً يَهفُــو ، تَولّــوا فى جُمُـــودْ

* * *

فَهِمُــوا العــيشَ طَعامــاً وشَرَابـــاً ورَواحـــاً حيثُ شَاءوا وغُـــدُوَّا
أنــفسٌ كالكهــفِ مازالت خَرَابـــاً من شعــورٍ يُلْهِــمُ النــفسَ السُّمــوَّا

* * *

فإذا حدثتَ عن طُهْــرٍ بديــــعِ وشعــورٍ يَغْمُـــرُ النـــفسَ بَراءْ[٧]
أدْرَكُــوه سَافِـــلَ الشأنِ وَضِيـــعِ وهــو أسمىٰ مااستطَاعتْــه السَّمــاءْ !

* * *

حَقَــرُوا العِفَّـــةَ والـــحِسَّ البَــراءَ حَقَــرُوا الــرُّوحَ وهَامُــوا بالجُسُـــومْ
حَقَــرُوا الإخــلاصَ مَحْضاً والوفَــاءَ ورَأوْا في النــفسِ مَحْيَاهــا الذَّميـــمْ

* * *

أئِــذَا ما أخــلصَ الــودَّ فُؤادٌ لفـــؤادٍ مُخْـــلِصٍ ، فَائتلَفَـــا
لم يكــــــنْ ذلك إلا لِفسادٍ يُثْلِـمُ[٨] العِــرْضَ ويُــؤذِى الشَّرَفَــا ؟

* * *

لا . فمـــا أقْفَــرَ هاتــيك النفـــوسَ لا . فمـــا أجْمَــدَ ذيــاك الشُّعُــورْ
إنَّ وَجْــه الكــونِ مُغْبَــرٌّ عَبُـــوس بهِمُــو . فَلْيَغْرُبُــوا عنــه يُنيــرْ !

---

(٦) القبس : النار أو شعلة منها .
(٧) براء : خالص (بعيد عن الشبهات) .
(٨) يثلم : يصيب .

زَفراتٌ جامِحةٌ مَكْبوحَة(١)

اذهبْ وخَلِّفْنِي هُنا متألِّما — لا تَلْقَنِي سَمْحًا ولا مُتَجَهِّما !
اذهبْ وخلِّفْني تذوبُ حُشاشَتِي — ويَبُضُّ(٢) قلبي من قرارتِه دَما
اذهبْ فلن أشكُو إليك عَواطِفي — يوماً ولن ألقاكَ إلا أبْكَما
أرخصتَ حُبِّي إذْ بَثَثْتُكَ بعضَه — فَلْيَبْقَ مَكْبُوحاً إذَنْ فَتَكَتَّما
إن كانَ بَثُّ الحبِّ عندك مَأْثَما — فكذاك عِنْدى سَوف يغدُو مَأْثَما

* * *

اذهبْ وفى نفسِي لِبُعدِكَ حَسْرَةٌ — والعيشُ بَعْدَك صَار صُلْبًا عَلْقَما
سَأنامُ مهمومًا وأصْحُو حَائِرًا — وأهيمُ فى وَادِى الأسَىٰ مُتألِّمَا
ويُخيِّم البؤسُ المُمِضُّ(٣) فلا أرى — إلا شَقَاءً فى الحياة مُخَيِّمَا
لكن سأكتمُ ماتُكِنُّ جَوانِحي — وأعيشُ مَكْبُوحَ الجَوىٰ(٤) مُسْتَسْلِمَا

* * *

واويلتَاه لقد أهنْتُ عَواطِفي — وحسبتُها عبثًا يُمَجُّ(٥) مُذَمَّمَا
وأراكَ تَأبَىٰ أن أكونَ مُتابِعاً — لك فى الغُدوِّ وفى الرَّواح مُيمِّمَا
لك مَاتَشَاء ، فما أطيقُ تَبَذُّلاً — منى ولستُ أطيقُ منك تَبَرُّمَا
لك ماتَشَاءُ ، فلن أرى متنائِيا — عنى فأرجُو عَطْفَه مُسْتَرْحِمَا
وإذا شَكَوتُ فللسماءِ سَأشْتكِي — ألَمِي وأبْدُو صَابِراً مُتَبَسِّمَا .

* * *

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٩ .
(٢) يبض : رَشَحَ كالعرق من إجهاد الدقّ .
(٣) الممض : المؤلم من مَضَّ يَمَضُّ : ألِمَ من وجع المصيبة .
(٤) الجوى : حُرقة الشوق .
(٥) يُمَجُّ : يُلْفَظُ من مَجَّ ، ويقال : كلام تَمُجُّه الأسماع .

سَأُعـيشُ عَيشَ الزَّاهِدِيـــن وكانَ لِى أمــلٌ حَطَـمْتُ قِوامَـه فَتَحطَّمَـا
أملِى الــذى قَدْ كانَ لِى هو أن يعيـــشَ الحبُّ فينَـا طَاهِـراً ومُكَرَّمَـا
أمَّــا وقَــد أرْخَصتَـــهُ وأهنْتَـــهُ ورَأيتَـــهُ إثماً لديكَ مُحَرَّمَـا
فليــذهَبْ الأمَلُ الــذى أمَّلْتُـــه حِينــا وعِشْتُ بظلِّـه مُتَنَعِّمَـا
سَأصُون عهــدَ الحبِّ عَفًّـا طَاهِــراً حتــى أمــوتَ بِه شهيــداً مُغْرَمَـا



عَاشِقُ المُحَال[1]

ضِقْتَ بالقيـــــدِ فانْطَلِـــــقْ أَيُّهـــــا الآبقُ[2] الشَّرُودْ[3]
قد تحررتَ فاستَبـــــــــقْ للصِّراعـــاتِ مِنْ جَدِيـــــدْ

انْطَلِـــقْ تَصْعَـــدُ الرُّبَـــاه ثم تَهْـــوى إلى السُّفُـــــوحْ
شَارداً تَقْطَـــــعُ الحيَـــاه فى التَّعِـــلَّاتِ[4] والطُّمُـــــوحْ

* * *

انْطَلِـــقْ تفجَـــأُ الخطَـــرْ كالـــذى يَفْجَـــأُ الرَّجَـــاءْ
لُعْبَـــةٌ فى يَدِ القَـــــدَرْ تَزْرَعُ الأرضَ والسَّمَـــــاءْ

جَمْـــــرةٌ أنْتَ تَتَّقِـــــدْ خَلْـــفَ سِتْـــرٍ مِنَ الرَّمَـــادْ
وهـــــى تَذْكُـــــو بِلا مَدَدْ ثم تَغْـــــدُو إلى نَفَـــــادْ

أَنْتَ مِنْ طَيْـــفِ القَلَـــــقْ صَاغَكَ اللهُ والجُمُـــــــوحْ
تَعْشَقُ الأَيْنَ[5] والحَـــــرَقْ والعَقَابِيـــلَ[6] والجُـــرُوحْ

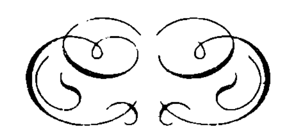
* * *

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٤٢ . (٢) الآبق : الهارب .
(٣) الشَّرود : المطارد الذى لا مأوى له .
(٤) التعلات : جمع مفرده التَّعِلّة : ما يُتَعلَّلُ أو ما يُتلهى به .
(٥) الأَيْنَ : التعب والإعياء .
(٦) العقَابيل : جمع مفرده العُقْبُولُ : الشديد من الأمور أو الدواهى .

أنْتَ ترنُـــــو إلى المُحَـــــالْ عَاشِقــــاً بُعْـــدَه السَّحِيــــقْ
فإذا شَارفَ المَنَــــــــــالْ خِلْتَـــه مِنْ لَقَـــىْ[7] الطَّريـــقْ

ضِقْتَ بالقيـــــــــدِ مِنْ ذَهَبْ ضِقْتَ بالأمْنِ والقَـــــــــرَارْ
فَانْطَلِـــــــــقْ ثم لا تَثِبْ عِشْتَ للخـــوفِ والعِثَــــارْ[8]



(٧) من لَقى الطريق : ما طُرِح وتُرك لهوانه على الطَّريق .
(٨) العِثار : السقوط .

حُلْمٌ قَدِيم[1]

طَافَ بِى مُسْتَطِلعاً حُلْمِى القَدِيمْ
فَتَطَلَّعْتُ إليهِ فى وُجُومْ
قلتُ : مَنْ أنْتَ ؛ فأغْضَى خَجلاَ
قال لى : حُلْمُكَ فى العَهْدِ الوَسِيمْ ![2]
قلت ! يَاحُلْمُ . متى عَهدىَ ذَاكْ ؟
منذُ كَمْ ياحُلْمُ قَدْ طافَتْ رُؤاكْ
قال : لَم يَبْعُدْ بأطيافِى المَدَى
قلتُ : ماأبْعَدَ مامَرَّتْ خُطَاكْ
شَدَّ يا حُلْمِىَ ماقَدْ حَالَ حِسِّى ؟
شَدَّ يا حُلْمِىَ ماأنْكَرتُ نَفْسِى !
أتُرى ذاك الذي نَعْرِفُه ؟
قال : ماتُبْصِرُ عَينِى غيرَ رَمْسِ[3] !
ومَضَى عَنِّى فى يأسٍ عَقِيمْ
سَادِرَ[4] الخَطْوةِ فِى الأرضِ يَهيمْ[5]
قلت : يَا حُلْمِىَ تمضِى مُفْرَداً
ليسَ فى الرَّمْسِ سِوىَ قَلْبٍ رَميمْ[6] !

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٤٥ .
(٢) الوسيم : الحسن الجميل .
(٣) رمس : القبر مستوياً مع وجه الأرض .
(٤) سادر : غير مبال ولا عابئ .
(٥) يهيم : خرج على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .
(٦) الرميم : البالى (فانٍ) .

بعدَ الأوان[1]

الآنَ والأيامُ مُدْبِرَةٌ ، تُوَلْوِلُ بِالنُّواحْ
والأفقُ مخضوبُ الأديم[2] ، وقد تأذَّنَ بالرَّواحْ
أقبلتِ ويحكِ تَبْسَمِينَ ، فأينَ كنتِ لدىٰ الصَّباحْ ؟
وَجهُ الخريفِ يُطلُّ فاستمعِي لإعوالِ الرِّياحْ !

* * *

بَعْثَرتِ أيامَ الشبابِ ، فويحَ أيامِ الشبابْ !
لا نستقِي إلاّ عَلَى رَنَقٍ[3] وأنفسُنَا غِضَابْ
لم تَصْفُ كَأْسُ حياتِنا يوماً ولا لَذَّ الشرابْ
والآنَ تَنطلِقينَ فى لَهَفٍ إلىَّ وفى ارتقابْ

* * *

عَيناكِ وَالِهتَانِ[4] لَاهِفتَانِ[5] كلُّهما دُعَاءْ
وحنينُ مَلْهوفٍ تَطلَّعَ فى قُنوتٍ[6] للسَّماءْ
ويحى فأينَ أنا وأينَ حنينُ أيامِى الظِّماءْ ؟!
صَمْتُ الخريفِ يَلُفُّنِي وعليه شَاراتُ المَسَاءْ !

* * *

ذَهَبَ الزمانُ هُناكَ ، فامضِى أنت عَنِّى
ماعَادَ يُوقِظُنى نِداؤك خِلْسَةً مِن بعد وَهْنِ

---

(١) نشرت فى ١٩٤٧ .

(٢) الأديم : بياض النهار .

(٣) رَنَق : كدر (الماء العكر) .

(٤) والهتان : متحيرتان من شدة الوجد أو الخوف .

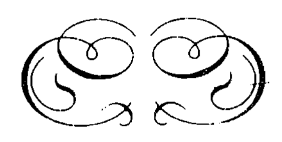
(٥) لا هفتان : حزينتان مستغيثتان .

(٦) قنوت : خضوع وذلة .

ماتتْ مُنَاىَ جَمِيعُها ، فعَلامَ يَخْدَعُنِى التَّمَنِّى ؟
فَرَقَ الزمانُ طريقَنا ، فامضِى وحَسْبُكِ ذَاك مِنِّى !

* * *

هَذِى خُطَاى على الطريقِ وتلك وَاجِفَةٌ[٧] خُطَاكْ
الريح تطْمِسُها فلا خَطْو ولا أثرٌ هُنَاكْ
شَبَحَانِ قد عَبَرا فلم تَشعرْ بِهذا أو بذاكْ
تَتْلُوهُما الأشْبَاحُ والأيامُ مَاضيةٌ دَرَاكْ[٨] !



(٧) واجفة : مضطربة .
(٨) دَرَاكِ : اسم فعل بمعنى أدْرِكْ ؛ مغزى الأيام وما تحمله من عِبَر . أو من أدْرَكَ الشيءَ : أى حققت الأيامُ — فى مُضِيها — ماتريد من الإنسان .

الشكوى

لكنها نفسٌ سمتْ فتألّمتْ

والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

سَعَادَةُ الشُّعَرَاء[1]

دَعْنِي ولا تَنْفُسْ[2] عَلَيَّ مَواهِبِي ... خُذْهَا وخُذْ أَلمِي بها وَمَتاعِبِي
دعْني فلستُ كما حَسِبْتَ مُنَعَّمًا ... بمواهب مَلَكَتْ عَلَيَّ مَذَاهِبِي
أنتَ الخَلِيُّ فخلِّنِي وعَواطِفِي ... آلمتَ وُجْدَانِي فَلَسْتَ بِصَاحِبِي
دَعْني أعيشُ كما يَشاء لِيَ الأَسَى ... لا كنتَ مِثْلِي . لادَهَتْكَ نَوائِبِي
إني شَقِيٌّ لو علمتَ دَخَائِلِي ... فَدَعِ المَظَاهِرَ لاتَرُعْكَ[3] جَوانِبِي

* * *

الشِّعْرُ من نِعَمِ الحياةِ عَرَفْتُه ... وعَرَفْتُ فيه البُؤسَ ضَرْبَةَ لاَزِبِ[4]
الشعر ذوبُ حُشاشَةٍ[5] مَسْفُوكَةٍ ... أَلمَاً وَوَجْدًا فى حنينٍ ذَاهِبِ
مَا ضَرَّ قوماً لا تُذَابُ قلوبُهم ... شِعْراً وَدَمْعاً مثل قَلبِي الذائبِ

* * *

الناسُ تَقْنَعُ بالحياةِ وتَرْتَضِي ... مِنها مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمثَالِب
والشاعِرُون تَؤُزُّهم[6] أَدْرَانُها[7] ... يَبْغُونَها لم تمتزجْ بِشَوائبِ
حِسٌّ أَرَقُّ من الأثيرِ[8] يُهيجُه ... ماقدْ تمُرُّ عليه مَرَّ اللاعبِ
وهي الحياةُ لِمَنْ يَرِقُّ شُعورُه ... أَلم وأن يُكَثِّفَ[9] فَلذةَ رَاغِبِ

* * *

مَنْ لِي إِذَا جَنَّ الظلامُ بَهْدأةٍ ... كالهادئين وَمَنْ يُطَمْئِنُ جَانِبِي

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٢٨ .
(٢) لا تنفس : لا تحسد .
(٣) لا ترعك : لا تثير إعجابك .
(٤) لا زب : ثابت : لاصق .
(٥) حشاشة : بقية الروح فى الجسد .
(٦) تؤزهم : تهزهم .
(٧) أدرانها : أوساخها .
(٨) الأثير : المراد النسيم .
(٩) يُكَثِّف : من كثف يكْثُفُ : يغلظ والمراد تقوى .

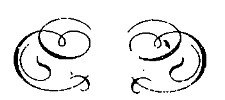
أنا فى الطبيعةِ مُغرمٌ بمشاهِدٍ تُلْهِي فؤادِى عن أعَزِّ رَغَائِبِى
الليلُ يُشْجِينى بِرائعِ صَحْوِهِ(١٠) وكواكبٌ يَغْرُبْـنَ إثـرَ كَواكبِ
والبدرُ يُوحِى لِى بِسرِّ طوافِه مُسْتَوْحِشاً لم يأتنسْ بِمُصَاحِبِ
والحُسْنُ يَدْعُونى إليـه فأنثَنِـى ويَصُدُّنِى عنـه بِصَفْقَـةِ خَائبِ

* * *

البائِسُون إذا سَمِعْتُ أنينَهـم أحسستُ أن مصابَهم هوَ صَائِبى
والبَاسِمُون إذَا شهدتُ ثَغورَهم هَاجتْ حَنينى للصَّفاءِ الذَّاهبِ
والبعدُ يُؤذِينـى وربَّ مفـارقٍ لَمْ يُؤْذِه يَومًا تَنـائِي غَائِبِ
وكَرَامةٍ لو مُسَّ منها جانبٌ أصْغَرْتُ عيشِى عندَها ومَطالِبى
بَلغَ الحِفاظُ بِها القداسةَ والتُّقَى وحَذَارِ وَهمٍ خَاطِىءٍ أو صَائِبِ

* * *

يَاليتَ لي نَفساً إذا ماسمْتُها(١١) عَكَرَ الورودِ استرشدتْ بتجَارِبي
لكنَّها نفسٌ سَمَتْ فَتَأَلَّـمتْ والماءُ لا يصفُو الحياةَ لشاربِ
دَعْنِى أعِيشُ مُعذَّبـاً متـألماً بمواهبِى ياشِقْوتِـى بِموَاهِبـى



---

(١٠) صحوه : المراد صحوه وهدوئه .

(١١) سمتها : أذقتها .

سخريةُ الأقْدَار[1]

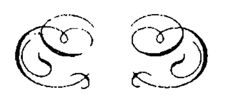
أغلبُ الظنِّ ، وقد تدرى الظنونُ　　أنّها ألعابُ دَهْرٍ سَاخرِ
مَاهرٍ يَهْزَأُ بالمُستَهزئينَ　　يبعثُ النُّكْتَةَ عفوَ الخاطرِ ![2]

* * *

وسَواءٌ أضحكتْ سُمَّارَه　　أم دَهَتْهمُ بالرزَايا والمِحن
فهو يُلقِى أبداً أدوارَه　　وهو لايُسأَلُ عن ماذَا ومَن ؟

* * *

يسمعُ الأنّاتِ تشتقُّ[3] القلوبَ　　صارخاتٍ كشجِيّاتِ[4] النُّواح
ليكادُ الصَّخْرُ مِنْ هَوْلٍ يَذُوبُ　　وهو يَلْقاها بِهُزءٍ ومِزَاحِ !



---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .

(٢) عفو الخاطر : دون إعداد سابق أو بنت لحظة الكلام .

(٣) تشتقُّ : تشقّ .

(٤) كشجيات : من شَجِنَ شَجَنًا : حَزِن .

الصديقُ المَفْقُود ![1]

ابحثُوا لي مااستطعتُم عن صديقْ فلقد أعيانِي البحثُ الكثيرْ !
مخلِصِ الطَّبْعِ له قلبٌ رَقيقْ خالصُ الإحساسِ فَيَّاضُ الشعورْ

* * *

إنَّ هذَا القلبَ يَهْفُو أبدَا
لصديقٍ أصْطَفِيه مُفْرَدَا
وأُريدُ الودَّ رَطْباً كالنَّدىٰ

غيرَ أنَّ الكونَ ذو طَبْعٍ صَفيقْ[2] نَاضبَ الإحساسِ مَمْسُوخَ الضميرْ
يحقِرُ الإخلاصَ فى القلبِ الشفيقْ ويَرىٰ الغدرَ بِإعجابٍ جديرْ

* * *

طالما هِمْتُ[3] بحبِّ الأصدقاءِ
وتغنيتُ بألحانِ الوفاء
ساميات كأناشيدِ السَّماءْ

سكرةٌ عَجْلىٰ ومنْ ثَمَّ أفيقْ فإذا بي أَلْمَسُ الغدرَ الحقيرْ
وإذا الإخْلاصُ خَلَّابٌ[4] بريقْ مِنْ سَرابٍ أو سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ

* * *

أيهذا الكونُ إنْ كنتَ تُجيبُ !
أيُّ عيش فِي حِمىٰ الغدرِ يَطيبُ؟
ثم ماذا تَبتغِي تلكَ القلوبْ

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٣٠ .
(٢) صفيق : قبيح .
(٣) همت : تعلّقت .
(٤) خلّاب : خَدّعَ ببريقه .

غيرَ إحساسٍ من العطفِ رقيقْ   يَغْمُرُ الأرياحَ فَيَّاحَ العَبِيرْ
فإذَا العيشُ رَجَاءٌ ووُثوقْ   وإذا الكونُ رِضاءٌ وَحُبورْ

إنَّ هذا العطفَ رَمْزٌ للخُلودِ
وغِذَاءُ الرُّوحِ فى هذا الوُجودِ
كلُّ ما فِي الكونِ لولاه زهيدْ
ورَحِيبُ العيشِ لولا العطفُ ضَيِّقْ   والنعيمُ العَزَبُ(٦) مَسْلُوبُ النعيمْ
وأرى الإنسانَ بالعطفِ خليقْ   فى جحيمِ العيشِ والعيشُ جحيمْ

ابحثُوا لى بينَ أطيافِ الرجاءِ
عن صديقى ذلك الطُّهْرِ البَراءِ
لن أملَّ البحثَ لو طَالَ العَناءْ
ليس هذا اليأسُ باليأسِ الحقيقْ   فهو لن يُخْبِي فى نفسِى السَّعيرْ
حِيرَةٌ تائِهةٌ ماإنْ تُفِيقْ   وهى الوحدةُ أو عَيشُ القُبورْ

يا صديقَ الغيبِ يا طيفَ الأمَلْ
هَاهُنا قلبٌ من الوحدةِ مَلْ
ينشدُ الإخلاصَ فى قلبِ خَضَلْ(٧)
وهو لاينوِى عِتاباً لصديقْ   حينما يُخْطِئُ أخطَاءَ الغَرِيرْ(٨)
فبحسبِى قلبُه السمحُ الرقيقْ   في فَيافِى العيشِ إلْفاً لِي سميرْ

---

(٥) فياح : منتشر .
(٦) العَزَبُ : البعيد الخفى ، من لا زوج له والمراد من لا مثيل له .
(٧) خَضَلٌ : من خَضَلَ يَخْضَلُ : نَدَىٰ وابتلَّ : نَعُمَ ، والمراد قلب غض فيه حيوية وصفاء كصفاء الدُّرِّ .
(٨) الغرير : الساذج : الشخص بدون خبرة .

خراب ... ![1]

أقْفَرتْ شَيَئـاً فَشيئـاً كاليبـاب ... غيرَ آثارٍ من النَبْتِ الهَشِيمْ[2]
باقياتٍ ريثمَـا يَسْفَـى[3] التـراب ... فإذا الكونُ خَلاءٌ فى وُجُومْ !

كان ينمُو هاهُنا نورٌ صغيرْ ... فوقَ نبتٍ لَيِّنِ العودِ هَزيـلْ
فَذَوىٰ النورُ ، وما كانَ نَضيرْ ! ... إنما المُعْـدَمُ يَرضَىٰ بالقليـلْ !

* * *

زهرةٌ فى إثرِ أُخرى تَحْتَضِرْ ... وهُـو يرنُـو ذاهـلاً للزَّهْـــرَاتْ
مُلْقَيـاتٍ حولَـه بيـنَ الحُفَــرْ ... والرِّياحُ الهُوجُ تَذرِى مُعْوِلاتْ

* * *

وإذا الكـونُ حوالَيـــه خَرابْ ... مُوحِشُ الأرجاءِ مفقودُ القَطِينْ[4]
وهو يرنو فى وُجومٍ واكتئابْ ... يكتـمُ العَبْـرَةَ فيـــه والأنيـــنْ

ويُـدوِّى حولَـه صَمتُ الفَناءْ ... حيث تُمْحَىٰ كلُّ آثارِ الوجُودْ
أينَ ؟ ــ لا أينَ ! ــ الأمانِى والرّجاءْ ... طَمَسَ اليـأسُ عليها والكُنُـودْ[5]

---

(١) نشرت ١٩٣٢ .
(٢) الهشيم : اليابس من كلِّ شيء .
(٣) يَسْفَىٰ : من السَّافِ من الريح : ما حملته من التراب والغبار ؛ واحدته سافةٌ .
(٤) قطِينُ الدار : أهلها .
(٥) الكنود : نكران النعمة من كَنَدَ النعمة : كفرها وجحدها .

خريفُ الحياةِ[1]

بَكَرَ الخريفُ فلا ورودَ ولازهور ... ومَشىٰ الركودُ فلا نسيمَ ولا عَبيرْ
صَمَتَتْ صَوادحُها فما تشدُو الطيو ... رُ بها ، وماتشدُو الجداولُ بالخريرْ
وسَرىٰ القفارُ بكلِّ مُخْصَبَةٍ فَما ... تجدُ الخصيبَ بها ؛ وما تجدُ النضيرْ
والسُّحبُ طافيةٌ تُغشّى كالسُّتورِ ... وتسيرُ وانيةَ الخُطا سيرَ الأسيرْ
فإذا الحياةُ يغضُّ[2] رونَقها[3] الأسىٰ ... وإذا القلوبُ بها كَلِيمٌ[4] أو كَسيرْ

والحبُّ ! ويحَ الحبِّ من هذا البكورِ ... غامتْ عليه سحابةُ اليأسِ المريرْ
وذوتْ بجنتهِ أفانينُ المُنـــىٰ ... وخَبا بهيكلِ حُسنِه القبسُ المنيرْ
وسَها عن التقديسِ والتسبيح فى ... محرابِه العُبَّادُ مَسْحُورو الدهورْ
ومَشَوا بساحتِه كما يمشى الخليُّ ... من الغرامِ فلا حنينَ ولاشُعورْ
هانتْ شَعائرُهُ ومَسَّ ستـــورَه ... فى جُرأةٍ ، غيرُ المقدسِ والطَّهورْ

الأرضُ غيرُ الأرضِ فى دورانِها ... لتكادُ مِنْ فَرْطِ السَّآمةِ لا تَدُورْ
والريحُ غيرُ الريحِ فى جَولانِها ... لتكادُ تكتمُ فى جَوانِحها[5] الزفيرْ
والطيرُ غيرُ الطيرِ فى ألحانِها ... لتكادُ تَنْعَبُ بالخرابِ وبالثبورْ[6]
والناسُ غيرُ الناسِ فى آمالِها ... ليكادُ يجثُو اليأسُ فى تلك الصدورْ
بكرَ الخريفُ فويلَه هذا البكورَ ... ودنَا المصيرُ فويلَه هذا المصيرْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) يَغضُّ : يقلل وينقص .
(٣) الرونق : الصفاء والحُسْن
(٤) كليم : مجروح من الكَلْم وهو الجُرْح .
(٥) الجوانح : مفردها الجانحة : ضلع من الصدر والمراد : داخل الصدر .
(٦) الثبور : الهلاك .

النفسُ الضائعة[1]

أئنِي أنا ؟ أم ذاك رمزٌ لغابرِ ؟ ... لَأَنْكَرْتُ من نفسِي أخصَّ شعائِرِى !
لَأَنْكَرْتُ إحساسِي وأنكرتُ مِنْزَعِى[2] ... وأنكرتُ آمالى ، وشَتَّىٰ خَواطِرِى
وأنكرتُ شِعْرِي وهو نفسِي بريئةٌ ... مُمحضةٌ من كلِّ خِلطٍ مُخامرِ
وتَفْصِلُنى عما مضىٰ من مَشاعِرِى ... عهـودٌ وآبـادٌ طِوالُ الدياجـرِ
وأحسبُها ذكرىٰ ؛ ولكنَّ بُعدَها ... يخيِّلُ لِي : أنْ لم تمرَّ بخاطِرِى !

أُنَقِّبُ[3] عن ماضِيَّ بين سرائِرِى ... فألْمحُه كالوهمِ ؛ أو طيفِ عابرِ
أعيشُ بلا ماضٍ كأنِّيَ نَبتَةٌ ... على السطح تطفُو فى مهبِّ الأعاصرِ !
وما غابِرُ الإنسانِ إلا جُذورُه ... فهل تمَّ نَبْتٌ دونَ جِذْرٍ مُؤازِرِ ؟
وقد يتعزَّى المرءُ عن فقدِ قابلٍ ... فكيفَ عزاءُ المرءِ عن فَقْدِ غابرِ ؟

* * *

أُنَقِّبُ عن نفسِي التى قد فقدتُها ... بنفسِي التى أحيا بها غيرَ شاعرِ !
وأطلبُها فى الروضِ إذ كان هَمُّهَا ... تَأَمُّلُهُ يُفْضِي بتلك الأزاهـرِ
وفى الليلِ إذ يغشى ، وكانت إذا غَفا ... تيقَّظَ فيها كل غافٍ وسادِرِ
وفى الليلةِ القَمْراءِ إذْ تَهْمِسُ الرُّؤى ... وتُومِـيءُ للأرواحِ إيماءَ ساحـرِ
وفى الفجر ، والأنداءُ يَقْطُرْنَ والشذىٰ ... يفوحُ ، ويُشْجِى[5] سَمْعَهُ لحنُ طائرِ
وفى الحبِّ إذ كانت شُواظاً وحُرْقَةً ... ومَهْبِطَ آمـالٍ ومَطْمَـحَ ثائـرِ

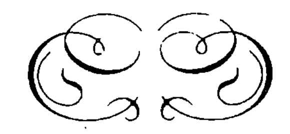
(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) منزعى : المِنْزَعُ : النزوع إلى الغاية والنزوع : الحنين والشوق .

(٣) أُنَقِّبُ : أبحث . (٤) الشذى : الرائحة .

(٥) يشجى : يطرب أو يثير إحساساته .

وفى النَّكبةِ النَّكباءِ والغبطةِ التى　　تجودُ بها الأقدارُ جُودَ المُحاذِرِ .
ولكنَّنى أيئستُ أن ألتقى بها　　وتاهتْ بوادٍ غامرِ التيه غَائرِ
سأحيا إذَنْ كالطيفِ ليستْ تَحُسُّه　　يدانِ ، ولا يَجْلُوه ضوءٌ لناظرِ



الغدُ المجهول[1]

ياليتَ شِعْرِى[2] ، مايُخبِّئُه غَدِي ؟ إنى أرُوحُ مع الظنونِ وأغْتدِى
وأُجِيلُ بَاصرتِى[3] بها وبَصيرَتِى[4] أبغى الهُدى فيها ، ومأأنا مُهتَدِ
حتى إذا لاحَ اليقينُ خِلالَها أشفقتُ من وجهِ اليقينِ الأسْودِ
وأشحتُ عنه ، ولو أطقتُ دَعَوْتُه وطرحتُ عنى حَيْرَتِى وتَردُّدِى
فكأننـــى الملّاحُ تَاه سفينـــهُ ويخافُ من شطٍّ مريبٍ أجْرَدِ !

* * *

مَاذا سَيُولَدُ يومَ تُولَدُ ياغدِى ؟ إنِّى أُحسُّ بهولِ هذا المولِدِ !
سَيصرِّحُ الشكُّ الدفينُ بمُهْجَتِي فأبيتُ فاقدَ خيرَ ماملكتْ يدى
ستروغُ مِنْ حولى عواطفُ لم تزلْ تُضفى علىّ بعطفِهـا المُتـوددِ
ستَجِفُّ أزهارٌ يفـوحُ عبيرُهـا حَولِى ؛ وينفحنى بها الأرجُ[5] النَّدِى
والمِشْعَلِ الهادِى سيخبُو ضوؤُه ويلفُّنى الليـلُ البهيـمُ بمفـردِى

* * *

ماذا تُخَلِّفُ يومَ تذهبُ ياغَدِى ؟ لاشيءَ بَعـدَ الفقـدِ للمتفقـدِ
« سَتُخَلِّفُ الأيامَ قاعاً صفصفاً[6] تذرُو الرياحُ بها غبارَ الفدفدِ[7] »
لَامُرتَجىً يُرْجَى ، ولا أسفٌ على ماضٍ يضيعُ كأنّه لَم يُوجَدِ
أبداً ولاذِكْرىً تُجَدِّدُ ماانطـوىً حتى التألم لايعودُ بِمَشْهَدِى !
رَبَّاه إنى قدْ سئِمتُ تَرَدُّدِى فالآنَ ، فَلْتقدُمْ بهولِكِ ياغَدِى

---

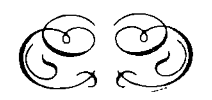
(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) ياليت شعرى : يتمنى أن يعلم .
(٣) الباصرة : قوة الإبصار .
(٤) البصيرة : قوة الإدراك والفطنة .
(٥) الأرج : أرِجَ الطِيبُ : فَاحَ .
(٦) صفصفا : المستوى من الأرض لانبات فيه
(٧) الفَدْفَدُ : الأرض الواسعة المستوية لا شيء بها .

غريبٌ .. ![1]

غريبٌ . أجل أنا فى غُرْبةٍ ... وإن حَفَّ بى الصَّحْبُ والأقربُونْ
غريبٌ بنفسِى وماتنطوى ... عليه حَنايا فؤادِى الحَنُونْ
غريبٌ وإنْ كَانَ لمَّا يزلْ ... ببعضِ القلوبِ لِقلبى حنينْ
ولكنّها داخلتْها الظنونْ ... وجَاورَ فيها الشُّكُوكَ اليقينْ
غريبٌ فَوَاحاجتى للمُعينِ ... ووالهفَ نفسى للمُخلصينْ

* * *

أكادُ أُشارِفُ قفرَ الحياةِ ... فأشْفِقُ من هولهِ المرعبِ
هنالك حيثُ رُكامُ الفَناءِ ... يَلُوحُ كمقبرة الغيهبِ[2]
هنالك حيثُ يموتُ الرّجاءُ ... وتُثْوَى الأمانى كالمُتْعَبِ
فأرْجِعُ كالجازعِ المُستطارِ[3] ... أُرجِّى أمانىَّ فى المَهْرَبِ
ولكنه مُقْفِرٌ أو يكادُ ... فيا للغريبِ ، ولم يَغْرُبِ !



(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الغَيْهَبُ : الظُّلْمَة .
(٣) المستطار : هائج مِنْ اسْتُطِيرَ : ذُعِرَ وأُفزِعَ ، ويقال : اسْتُطِيرَ فؤاده .

مَرَّ يَوم[1]

مَرَّ يومٌ منـــــذُ ماستيقـــــظتُ أمسِ ... مَرّ يومْ!
نَبــــأً يَأباه وِجْــــدَانى وحِسِّى ... فهـو وَهْــمْ

* * *

مَرّ يومٌ ؟ قالتْ الساعــــــــــهُ مَرَّ ... قولُ واثــقْ!
أسألُ الشمسَ : أحقًّـــا ؟ والقمـــرَ ... فيوافـــــقْ!

* * *

أهـــو يومٌ فى الـــرُّؤى لافى الزَّمـــانِ ... والحقيقَـــهْ؟
أمْ تُرى يومٌ طَواه العَقْرَبَــــــــــانِ[2] ... فى دقيقـــهْ؟

* * *

كيــف مَرّ اليــومُ ! ما هذا العـــجبُ ... كيــف مَرْ
تَكْـــذِبُ الأفـــلاكُ أمْ حِسِّى كَذَبَ ؟ ... أمْ سَخِـــرْ؟

* * *

لم تكـــنْ فيـــه حيـــاةٌ أو أمـــلٌ ... أو تَمَتُّـــعْ
وهـــو مَحْسُوبٌ علينـــا فى الأجـــلِ ... فهـو أضْيَـعْ!

* * *

تُحسَبُ الأقـــدارُ بالْكـــــم[3] فلا ... هى تُفَـــرِّقْ

---

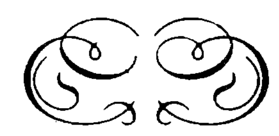
(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) عقربا الساعة حين تدير مفتاحها يطويان الدورة كلها فى لحظة واحدة ولا يكون معنى هذا مرور أربع وعشرين ساعة !.

(٣) بالكم : أى بالكمية لا بالقيمة .

بيـــــــــــــنَ يومٍ مَرٍّ[٤] أو يومٍ حَلاَ أو تُحقـــقْ !

ونُـــــــؤدِيها كما تَبْغِـــــــــى الحسابَ وهـو عُمـــرْ !
فيـــه من خصبٍ وفيـــه من يَبـــابٍ[٥] وهـــى تَذْرُو



(٤) مَرَّ : من المرارة ضد حلا من الحلاوة .
(٥) يباب : خراب .

إلى الثلاثين[1]

إلى الثّلاثِين نَصِّى[2] الرِّكابَ[3] حَثِيثـــةً[4] ياليـــالِ
مَضىٰ من العُمرِ أغْلىٰ اللُّبَابِ فلستُ آسٍ لِغَـــالِ
مَضىٰ من العُمـرِ مايُستَطـابُ مِنَ بَهجــةٍ أو جَمـــالِ
مَضى كمَا جَاء عَهدُ الشَّبابِ عهــدُ المُنَـــىٰ والخيـــالِ
وضَاعَ فى غَمـرةٍ واضْطـرابِ ومَـــرَّ دُونَ احتفـــالِ

فأسْرِعى ياليَالِ

عَلامَ مِنْ بَعْدِه تُمْهلِيـــنْ ؟ وأىّ غيبٍ تَهـــابْ ؟
ومـا احتفـالٌ بِمـرِّ السِّنين ؟ من بعــدِ مَرِّ الشَّبــابْ ؟
ومـا الـذى ياليـالِ يكـونُ بعـد اكْتِهَـالِ الرِّغَـابْ
يكونُ — وَاحَسْرتَاه — السكونُ عَلى ضفـافِ اليَبـابْ[5] ؟
يكونُ — كالقيد — عَقلٌ رزينٌ ! يعطُـــو[6] لشطِّ الصَّوابْ!

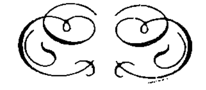
فيَا لسُوءِ المآبْ (٧)

فذلك العقـلُ رمـزُ القيــودِ ونحنُ شَرُّ العُنَـــاه[8]
يَزُودُنا عن مراقِى الخُلُــودِ وخَيــرِ ما فى الحَيــاه
والَطيشُ رمـزُ الشَّبـابِ المُريـدِ يَسمُــو بنـا عَن مداه
فنحـنُ نَرْنُو لهذا الوجــودِ بِفِتْنَــةٍ وانْتِبَــاه

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٣٧ .
(٢) نَصِّى : اظهرى من نَصَّ ينصُّ : رفع وأظهر ، عيّن وحدّد .
(٣) الرِّكاب : السَّرْج : ماتوضع فيه الرِّجل ، والمراد : الاستعداد والتهيئة من (نصّى الركاب) .
(٤) حثيثة : من الحثيث : السريع الجاد فى عمله .
(٥) اليباب : الخراب .
(٦) يَعطو : يبطىء .
(٧) المآب : المصير
(٨) العُنَاه : مفردها عانٍ : الخاضع الذليل .

فلا نُبالى بِصَرْفِ[9] الجُدودِ[10] ولا نَخـــافُ الغَـــداه
فكلٍّ يومٍ حَياه
يُضاعَفُ اليومَ مِنِّى الـمُصَاب إنْ لَم أعِشْ بالخَيـــالِ
قَضَيتُ ــ واحسرتاه ــ الشبابَ كالكهـــلِ فى كلٍّ حَالِ
يَجِيشُ بالنـفس سَيْـلُ الرِّغَابِ فلا يُمْسِى اعتـــدالْ
وَوُجْهَتـى فى الحيـاةِ الصَّوَابُ ونظـــرتى للمـــآلْ ! [11]
عصيتُ أمْـرَ الحيـاةِ المُجَابُ فكـــان رُشْدى ضَلالى !
فأسْرِعى ياليالِ



---

(٩) بَصْرِف : من صَرْف الدهر : نَوائبه وحِدْثانه .
(١٠) الجدود : الحظوظ والمراد : فلا نبالى بالأحداث التى يخطها الحظ لنا .
(١١) المآل : المصير والنهاية .

خُطَا الزَّمنِ الوثَّاب[1]

خُطَا الزَّمنِ الوثَّابِ . بعضَ التَّوثُّبِ ... إلى أينَ ؟ قد أوْغَلْت فى غيرِ مَذْهبِ
تَمُرِّينَ كالأوهامِ لا أستَبِينُها ... وتَمضِين عَنِّى مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبِ
وإنى لكالمخمُور قد غابَ وَعْيُه ... وكالشَّبح الهَيْمانِ[2] فى غيرِ مَطْلَبِ
تشَابهتْ الأبعادُ عِنْدِى فما أرَىٰ ... أمامِى فَرقاً بينَ نَاءٍ ومُكْثَبِ
ويَارُبَّما نَسِى أمُوراً قَرِيبَةً ... وأوغَلَ فى الماضى البعيد المُنَكِّبِ

خُطَا الزَّمنِ الوَثَّابِ . بعضَ التوثُّبِ ... طَوِيت حَياتى بينَ صُبحٍ ومَغْرِبِ
قِفى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى ... ضَممْتِ ثَناياه على كلِّ مُعْجِبِ
وأستَرْجِعُ المَاضِى رُويداً وَهِينَةً[6] ... أُداعبُ فيه الطفلَ أو أضْحِكُ الصِّبى
وأسْمَعُ أوهامَ الفتىٰ وخيالَه ... كما يَسْمَعُ المُشتاقُ ألحانَ مُطرِبِ
قِفى لحظةً ؛ أنظُرْ إلى الأملِ الذى ... أبَحْتُ له من مُهْجَتِي كلَّ مَشْرَبِ
وغَذَّيتُه نَفْسِى ، وقَدْ بِعْتُ دُونَه ... حَواضِرَ أيامِى ومَاضِى المُجَرَّبِ
قِفى . أنتِ قد جَفَّلتِ[7] مَاضِيَّ فانزوى ... ونَفَّرتِ آمالى وعَمَّيْتِ مَأرَبِى[8]

تَمرِّينَ ياأيامُ قَفْراءَ ؟ أمْ أنا ... خَويتُ[9] من الإحساس ؟ قُولى وأطْنِبى
وأحْسَبُ أنْ لَن تُعْرِبِى[11] بِمقالةٍ ... إذا كانَ سَمْعى لايصيخُ لمُعْرِبِ !

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٣٧ .

(٢) الهَيمان : من هَامَ يَهِيمُ : خرج على وجهه فى الأرض لا يدرى أين يتوجه .

(٣) ناء : بعيد .   (٤) مكثب : قريب .

(٥) المنكّب : من نَكَّبَ عنه : عَدَلَ وتنحَّى .

(٦) هينَة : يقال : امش على هِينتك : على رسلك : على مهل وتُؤدة .

(٧) جَفَّلتْ : طردتِ .   (٨) مَأربى : حاجتى الشديدة .

(٩) خَويتُ : من خَوَىٰ المكان : خلا مما كان فيه .

(١٠) أطنبى : أطيلى (تكلمى تفصيلا) .   (١١) تعربى : توضحى وتبينى .

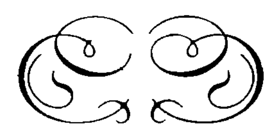
نهايةُ المطَاف[1]

تَنْشُدُ السُّلْوَانَ[2] من حُبٍّ عَقِيمْ ... وتَـرومُ البُـرْءَ من دَاءٍ قديـمْ
هاهُو السُّلوانُ فانْظُـرْ : أتَـرىٰ ... شَارَةَ الموتِ على تلكَ الرُّسُومْ ؟
شَاه[3] فى خاطرِك الكونُ وماتْ ... وتَخلَّتْ عنك أحْلَىٰ الذِّكْرَياتْ
وبَـدَا العُمْـرُ حَزِينـاً عَاطِــلا ... كامِدَ السَّحْنَةِ[4] مَجفُوَّ[5] السِّمَاتْ
قَدْ مَضَىٰ الحُلْمُ ، فَحقِّق فى العَيانْ ... هل تَرىٰ إلَّا خواءً [6] فى الزَّمَانْ ؟
وتهاويـلُ الـرُّؤىٰ ... ياويَحهـــا ! ... غالها[7] الصَّحْوُ فماتتْ مُنْذُ كَانْ !
نَمْ قَرِيرَ العينِ إنْ كنتَ تَنامْ ... لَفَّكَ الصمتُ وغَشَّاكَ الظَّلامْ
يَأْمَـنُ الدُّنيـا ويَخْلُـو لِلكَـرىٰ ... مُعْدَمُ الكفينِ مَفْقُودَ الحُطَامْ[8] !
قَدْ خَلا الهيكلُ من وَحْيِ الصَّنَمْ ... وغَدا معبودُكَ الأَسْنَى[9] حُطَمْ[10]
أتُطيـقُ الآنَ تَحيـا مُلْحِــدَا ... أم تُرى تَخلُو لشيطانِ النَّدَمْ
ضِقْتُ بالخوفِ ودُنيا الاضطرابْ ... أتَرىٰ الأمْنَ هُنا بين اليبَابْ ؟
أيها المنكوبُ فى أحلى المُنَىٰ ... الحياةُ الحبُّ والحُبُّ العَذابْ !
ضِقْتَ بالقيدِ ! فهاأنتَ طَلِيقْ ! ... مايُبَاليكَ إذن حَادِى الرَّقِيقْ !
فَهْو يُخْلِي[11] فى الفيافِي[12] كلَّ مَنْ ... لايُساوِى ثَمَنَ القيدِ الوَثِيـقْ !

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ .
(٢) السُّلْوان : من سَلَا يَسْلُو : نسيه وطابت نفسه بعد فِراقه .
(٣) شَاه : قَبُحَ . (٤) السَّحْنَة : الهيئة
(٥) مَجفُو : من جفا يجفو : غَلُظَ والمراد : حزين الهيئة غليظ السمة والطبع .
(٦) خواء : من خَوَىٰ يخْوِى : خلا مما كان فيه . والمراد : الفراغ .
(٧) غالها : أهلكها . (٨) الحطام : متاع الدنيا .
(٩) الأسنى : الأعلى . (١٠) حُطم : مُحطّم .
(١١) يخلى : يترك . (١٢) الفيافى : الصحراوات .

عُمْرُك الفَارِغُ كالثِّقْلِ زَهيدْ ... ليس فيه مِنْ طَرِيفٍ[١٣] أوِ تَليدْ
وهِـــى الأيامُ تَقْضِى مِثْلَمـــا ... تَنْـقَضِى أيـامُ مَأجُـورٍ شَرِيـدْ
أينَ أحْلامُكَ بالعُشِّ الجميلْ ؟ ... أينَ آمَالُك فى الظِّلِّ الظَّليلْ ؟
قَدْ مَضَى الحُلْمُ وولَّى مُوهِنَا ... فاركَنْ الآن إلى الصَّحوِ الطَّويلْ !
تَمَّ يامنكـودُ[١٤] ماكـــنتَ تَرومْ ... ومَشَى السُّلوانُ فى الحبِّ القديمْ
نَمْ قَرِيرَ العَينِ واهناً بالكَرَىٰ ... الكَرَىٰ المَيِّت فى القلبِ العَقيمْ !



(١٣) طريف أو تليد : حديث أو قديم .

(١٤) منكود : سيء الحظ ، الشؤم .

الحنين

كان والمؤلمُ في « كان » الفَنَاءُ !

حيث لا رجعى ولا طيفُ أمَلْ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

عَهدُ الصِّغر(١)

إذا الليلُ جَنَّ(٢) تجيشُ(٣) الفِكَرُ ... ويُـؤرِّق جَفْنِـي مَرُّ الذِّكَـرْ
ويخلُـو فؤادِى لِأحلامِـه ... فيجعـلُ منها حديثَ السَّمَـرْ
وتَخْلُـدُ رُوحـى إلى الذكريـا ... تِ فَتَسْرى تِبَاعاً سِراعاً تَمُرْ
فآنـا تَؤزُّ(٤) وآنـا تَلِـذُّ ... وآنـا تَسُوءُ وآنـا تَسُرْ
هدوءٌ طويـلٌ وصمتٌ رهيبٌ ... وفى النَّفْسِ أشجانُها تَشْتَجِـرْ
إذا ماذَكَـرْتُ زمانـاً تَقَضَّى ... بديـعَ الـرُّسُومِ جميلَ الأثـرْ
تراءى لِنَـفْسِى عهـدُ الصِّغَرِ ... فتشتاقُ نَفْسِى لعهـدِ الصِّغَرْ
لعهـدِ الـرِّضَاء وعهـدِ الحُبُـورِ ... وعهدِ الصَّفَاء القليـلِ الكَـدَرْ
أنـامُ وأصْحـو على ما أشا ... ءُ طروبَ الفـؤادِ قريـرَ النَظَـرْ
وتصحُـو الغزالـةُ(٥) مِن خِدْرِهـا ... فتزهُـو الـورودُ ويحيـا الزَّهَـرْ
وتبـدو الريـاضُ ريـاضُ القُـرَى ... بوشْيٍ جميـلٍ ووجـهٍ نَضِرْ
ويَسْجَـعُ فيها الحمـامُ طروبـاً ... وتشدُو البلابـلُ فوقَ الشجـرْ
رعَى الله عهداً جميلاً تَوَلَّـى ... وخَلَّفَنِـى للأسَى ثُمَّ مَرْ
وأسْلَمنِـى لِصعـابِ الأمورِ ... وكيدِ الصُّروفِ وطولِ السَّهـرْ

* * *

ألا يَارَعَى الله عهدَ الصِّغَرِ ... ألا يا لحا(٦) الله عهدَ الكِبَرْ
فذلك عهـدُ صَبُـوحٌ أغَـرُّ ... وهـذا عبـوسٌ ظَلـومٌ قَتِـرْ(٧)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٢٨ .

(٢) جَنَّ الليل : أظلم .

(٣) تجيش الفكر : تتدافع وتتدفق الأفكار .

(٤) تؤز : تهزُّ وتحرك فى شدة .

(٥) الغزالة : يقصد الشمس .

(٦) لَحَا فلاناً : لامه وعزله . والمراد : معاتبة عهد الكبر والمراد قبحه ولعنه .

(٧) ضيق العيش من قَتر. فلانٌ قَتْراً : ضَاق عَيْشهُ .

جولة فى أعماق الماضى[1]

حَدِّثانِى بما مَضَىٰ حَدِّثانِـى   وأعيـدَا إلـىَّ عَهْـدَ الأمانِـى
واذكُرا لى زمانَ عشتُ طَروباً   لا أُبالى بحادِثـاتِ الزمـانِ
وصِفَا لى لياليـاً قَد تَقَضَّتْ   كنتُ فيها كالحالِـمِ الوَسْنَـانِ
صَوِّرَا لى الرياضَ والزهرَ والورْ   دَ ولحنَ الطيورِ عَذْبَ الأغانِى
وأعيـدَا لمَسْمَعِـى ذكريـاتٍ   لا تَصَدَّىٰ لها يدُ النِّسيـانِ
واسمحَا لى بزفـرةٍ وحَنيـنٍ   ليس لِى سَلوة سِوى التحنانِ[2]
واغفرا لى دُموعَ عينى فإنى   لأرى الدمعَ فوقَ كل بيـانِ
إنهُ النَّفْسُ رُقِّقتْ ثم سَالتْ   أو هو القلبُ ذَائباً من حنانِ
وأقلُّ الوفـاءِ للعهـدِ ذِكْـرَىٰ   هى خيرٌ من حاضرِ الأزمانِ
وقليـلٌ عنـد التذكُّـر شوقٌ   ودُمـوعٌ تُكِـن أسْمـى المعـانى
إنّ ذِكْرى القديمِ للنَّفْسِ تُؤسِى[3]   وتُهيِّـجُ الشُجـونَ للوجـدانِ
وهُو واللهِ بعضُ أجزاءِ نَفسِى   باعـدتْ بينها يَدُ الحَدثَـانِ[4]
فاذكُرا لِى القديمَ همساً ورفقاً   ودَعَـانى أجـيشُ لا تَعـذِلانِ

* * *

يادِيـاراً نَشأتُ فيها صبيًّـا   وصَحِبتُ الشبابَ فى العُنفُوَانِ
لكِ منـى تحيـةٌ وسلامٌ   أنتِ دارُ النعيـمِ والـرِّضْوانِ

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٢٨ . ثم نشرت فى مارس بعنوان (سبحة فى أغوار الماضى)
(٢) التحنان : الحنين الشديد ، أو الرحمة . قال تعالى ﴿ وحَنَاناً من لَدُنَّا ﴾ .
(٣) تؤسى : تُحْزن من أسِىَ عليه وله يَأسَى (أساً ، وأسىً) : حَزِنَ .
(٤) الليل والنهار .
(٥) رسيس من رسّ يرُسُّ رسيسا : دخل وثبت والمراد : أثر باق ثابت .

فيك يادارُ من صِباي رسومٌ زاهيـاتُ النقـوشِ والألـوانِ
هي عندى أعزُّ من كلِّ شيءٍ وهى تبقى وكلّ ماعَزَّ فَانِ
فيك يادارُ من هَواى رَسيسٌ(٥) وألـذُّ الهوىٰ هوىٰ الشُّبـانِ

فهو رَوضُ الحياةِ فى ذلكِ الحيـ ـنِ وفيه القُطوفُ شتىٰ دَوانِ(٦)
وهو وحى من جانبِ الله يُوحىٰ وهو سرُّ الإلـه فى الإنسانِ
ما أرى العيشَ غيرَ حبٍّ بريءٍ من ذميـمِ الأهـواءِ والأدْرَانِ
رُبَّ يومٍ قضيتُه فى حُبورٍ بين جمعٍ من صفوةِ الخِلَّانِ
دونَـه الدهـرُ والحيـاةُ جميعـاً فى رِضاءٍ ومتعـةٍ وامتنـانِ

* *

إن تلك الحياةَ شيءٌ عجيبٌ وهى النَّفْسُ كلَّ يومٍ بشَانِ
كيف كان الربيعُ ثوباً بهيجاً وهـو اليـومَ نَاصِلُ(٧) الألـوانِ ؟
ها هو الروضُ والوردُ والزهـ ـرُ وهذا الحَمَامُ من فوق بانِ
لأرى الوردَ غير جذرٍ وساقٍ أو أُحِسُّ الغِناء عذباً شَجانِى
إنها النَّفْسُ حين تَصفو تَراها خلعتْ صَفْوهـا على الأكـوانِ
وهي النَّفْسُ حين تَغْبرُّ يَبْدُو كلُّ نورٍ أمامهـا كالدُّخـانِ
لو تساوىٰ الإحساس فى كلِّ آنٍ تتساوى الأشياء فى كلِّ آنِ
عَمَّـــرك الله ما المحاسنُ إلا صورةُ النَّفْسِ فى بديع افتنانِ
وكذا القُبْحُ صورةٌ قد تَراءتْ فى خيـالٍ فحُقـقت للعيـانِ
فرعى اللهُ عهـدَ أُنسٍ أرانى صورةَ الكَونِ فى جمالِ الحسانِ
ورَعــى الله خيرةً ورفاقــاً ورَعَــى اللهُ أربعــاً(٨) ومَعــانى(٩)

---

(٦) دوَان : دانية : قريبة .
(٧) ناصل الألوان : زالت ألوانه من نَصَلَ اللونُ ينصُلُ نَصْلاً : زال .
(٨) أربعاً : مفردة ربْع ، والرَّبْعُ محلة القوم ومنزلهم وقد يطلق على القوم مجازاً .
(٩) المَعَانُ : المنزل .

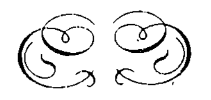
المَاضى[1]

شَبَحُ الماضى وما الماضِى سِوى بعضِ نَفْسِى قَد تولاَّه العَدَمْ
يَتراءى كُلَّما شَطَّ[2] النَّوىٰ[3] فإذا الذكرىٰ شُجُونٌ وألَمْ
وإذَا الكَامِنُ[4] فى نَفْسِى ثَارَ
جَائشاً[5] مُضْطرماً
كالجحيمْ
كُلَّما أقْبَلَ يومٌ ومَضَىٰ أوْغَلَ الماضى بمجهولٍ سَحِيقْ
ذاهباً عني كبرقٍ أوْمضَا ثم دَوَّىٰ بعدَه الصمتُ العميقْ
وهو صمتٌ تحتَه صَخَبٌ مُثَارُ
وحنينٌ أُضْرِمَا[6]
ووجُومْ
آه لو ملكتُ تصريفَ الزَّمنْ كيفمَا أهوىٰ وأنَّى أرْغَبُ
لرجعتُ الدَّهْرَ للماضِى إذَنْ فإذا بى حيثُ كُنَّا نَلْعَبُ
ورِفاقٌ لِدِّنو العودِ صِغارٌ
ليس تدرِى الأَلَما
والهُمُومْ
زَهَرَاتٌ نَضِرَاتٌ باسماتٌ تَلْمَحُ الغِبْطَةَ فيها والرِّضَاءْ
مَرِحَاتٌ مُشرقاتٌ لاهياتٌ لا تَرىٰ فى الكونِ إلا ماتَشَاءْ
فهو روضٌ زَاهرٌ دَانى الثِّمارِ

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٢٩ .
(٢) شطّ : بَعُد .
(٣) النوى : الفِراق .
(٤) الكامن : المختفى .
(٥) جائشا : هائجا .
(٦) أضرما : أشعِل .
(٧) الغبطة : الفرحة .

وهي نورٌ قد نَمَا
فى الكُرومْ
تَتَساقي[8] الودَّ مِنْ غيرِ انْتِباه فإذا العَيشُ سرورٌ وفَرَحْ
وإذا الكونُ وما فيه حَيَاه تتبدَّى فى نشاطٍ ومَرَحْ
تلك أيامٌ طويلاتٌ قِصَارٌ
فى زمانٍ بَسَمَا
ونَعِيمْ
أينَ مِنِّى ذلك العهدُ الوَسِيمُ أينَ مِنِّى بعضُ أيامِ الصِّغرْ
إنَّها مَرَّتْ كما يهفُو[9] النسِيمُ فيُحَيِّي ويُحيِيه الزّهَرْ
ذهَبَ الماضِى وأعيا الانتظارُ
وهو يعدُو قُدُماً
كالظّليمْ[10]
أيُّها الماضِى رُويداً فى خُطَاكَ فعلامَ اليومَ تَمْضِى مُسْرِعاً
إيه مَهْلاً حَسْبُنَا طولُ نَواكَ[11] وبِحَسْبِى مِنْكَ أن لن تَرْجِعَا
لَجَّتْ[12] الذكرى ولم يبقَ اصطبارُ
وستغدُو عَدَماً
لا يدُومْ



(٨) تتساقى : تتبادل الشراب .
(٩) يهفو : يَحِنُّ ويُشتاق .
(١٠) الظليم : ذكر النعام .
(١١) نواك : فراقك .
(١٢) لجت : لازمت وتمادت من لجَّ فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .

رِثَاءُ عَهْد(١)

أأنا أرْثيكَ يا عَهْدَ المُنَىٰ ؟ أأنا أرْثيكَ يا عهدَ الوَفَاءِ ؟
أنْتَ يَا عَهْدُ . أأرْثِيكَ أنَا ؟ لا . فَلَنْ أقوىٰ على هذَا الرِّثَاء !

لا . ولَنْ يَجرى على الطِّرْسِ(٢) قلمْ لا . ولَنْ تُعْلِنَ هَذَا كَلِمَاتْ
أرِثَاء ؟ أغَدًا الماضِي عَلَمٌ ؟ أو هل يَغْدُو رَهيناً بِفَواتْ ؟

* * *

رَبِّ . حقٌّ ذاكَ أمْ هاجِسُ سُوء يَنْفُثُ الهمَّ بنفسِي والقَلَقْ ؟
أمضَىٰ عهدٌ هو العمرُ الهنِيءُ ؟ أو حقٌّ ذاك ياربُّ أحَقْ ؟

* * *

أو عهدٌ هو رَيَّا مُهْجَتَين(٣) وهُو سَارٍ(٤) فى الحَنَايَا والشِّعَابْ
يَنْطَوِى كالبرقِ فى غَمْضَةِ عينٍ ثم يبدُو لائحاً مِثْل السَّرَابْ ؟

أو يغدُو ذلك العهدُ الوسيمُ حُطَماً(٥) تَلْهُو به أيدِى الفَنَاءْ ؟
زَهْرَةٌ فى الكُمِ(٦) تَلْقَاهَا هَشِيمْ(٧) ونعيماً وَادِعاً يَضْحَى شِقَاءْ

* *

أهُنَا مَثْواكَ ياعهدُ . هُنا ؟ أهُنا ياعهدُ أقْصَىٰ خُطواتِكْ ؟

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٩ .
(٢) الطرس : الورق الذى يكتب عليه .
(٣) ريَّا مهجتين : مايروى قلبين .
(٤) سار : سارى : منتشر .
(٥) حطماً : بقايا لا فائدة منها .
(٦) الكم : البرعم .
(٧) هشيم : عشب جاف .

وإذَا أدْعُـوك ياعهـدَ المُنَـىٰ لَم تُجِبْ دَاعيكَ من بعدِ وَفَاتِكْ ؟

* * *

وإذَا قَلّـبْتُ ياعهــدُ يديَّ حسرةً قاتِلـــةً أو لَهْفَـــا[٨]
أتُـرىٰ تَرنُـو بإشفــاقٍ إلـــىّ أم تَرُدَّ الطّرْفَ عَنِّى صَدْفَا[٩] ؟

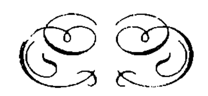
* * *

ولو انى اسطعتُ يا(عهدُ) الرِّثَاءْ بعدَ إذ يَمْضِى من العمرِ سنينْ
فبأي القـولِ أسطيـعُ الوَفَـاءْ وبأيِّ الدمـعِ تُذْرِيـه العيـونْ ؟

أنْتَ جزءٌ من فؤادِى قَدْ فقدتُه ماغَنَاءُ[١٠] القولِ فى صَدْع فُؤادْ ؟
أو غَنَاءُ الدَّمْعِ فى ماضٍ عَدِمْتُه هو أغْلَىٰ ما أُرَجِّى مِنْ تِلادْ ؟[١١]

* *

آه ياعهـدُ ومــا آلــمَ آهْ وهى ذَوْبُ النفسِ لارَجْعُ أنِينْ
أُغربِى عَنّي بعيداً يا حَيـاهْ لايطيقُ العيشَ منكوبٌ حزيـنْ



---

(٨) لهفا : شوقا .
(٩) صدْفَا : من صَدَفَ عنه يَصْدِفُ صَدْفا : أعرض ومال وصدف فلان عن الشيء : صرفه .
(١٠) غَنَاء : فائدة . (١١) تلاد : المال الأصلى القديم والمراد : الأصالة .

عَهْدٌ ذَاهِب ؟!

عَزَّ حتـى لَتُوقِيـه العيـونُ وتَفْديـه الأمَـانى والقُلـوبْ
وتَسامَى عَنْ مَنالاتِ الظُّنونِ وبَدَا كالخُلْدِ مَأمونَ المَغِيبْ
لا تَراه النـفسُ إلَّا بَاقِيـا
أبـدَ الدهـر قَوِيّـاً وَاقِيـا
طاهِرَ الأرْدَانِ(٢) عَفًّا سَامِيَا
كالرجاءِ العَذْبِ فى الذِّهن الخصيبِ زَاخِراً مَا إنْ يُرائِى أو يَخيبْ
هُو عَهدٌ صِيغَ من حُبٍّ نَقيٍّ وسُمُـو فوقَ إحْساسِ البَشَرْ
وَوِقاءٌ سابغُ الغيضِ(٣) نَديٌّ وحَنانٌ مِثـلَ أرْواحِ الزَّهَـرْ
صَوَّرتْه ساعةَ العَطْفِ السَّماءْ
ورعتْه يدُ أمْلاكٍ بَراءْ
فغذته بأفاويقِ(٤) النَّقَاءْ
وتَجلَّى الغيبُ عَنْه فَسفَـرَ فى جلالٍ وجمالٍ مُزْدَهِـرْ
كَانَ . والمُؤْلمُ في « كَانَ » الفناءُ ! حيثُ لا رَجْعَيْ ولا طيفُ أمَلْ
وَرَمَاه بَغْتَةً سَهْمُ الـقَضَاءِ فَتَراخَى فى انحلالٍ واضْمَحلْ
وتَراءى بَعدَ حِيـنٍ خَالِيَـا
من رُوَاءٍ(٥) كانَ فيه حَالِيَـا(٦)
مُوحِشُ الأرجَاء يبـدُو خَاوِيَـا

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) الأردان : من الرِّدْنْ : ما يخرج مع المولود والجمع أردان ـــ أو القز أو الخزُ أو المغزول والمراد : طاهر الوسط الذى يعيش فيه .

(٣) الغَيْضُ : القليل .. يقال أعطاه غيضاً من فيض : أى قليلا من كثير .

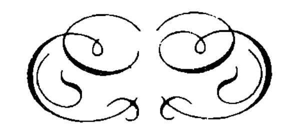
(٤) أفاويق : مفردها ، الفِيقَةُ : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد بأطيب وأطهر الطعام .

(٥) رواء : جمال . (٦) حاليا : مزينا .

غاضَ[7] مِنه كلُّ أُنْسٍ وارتَحلْ   مِثْلما يَخْلُوُ من الأهلِ الطَّلَلْ[8]
أيُّها العهدُ الذى مَرّ . ودَاعاً   هو ذوبُ النفسِ أو فيضُ الألَمْ
سوفَ تَبْقَى أبدَ الدَّهْرِ شُعاعاً   في ضميرى يَتَراءى فى الظُّلَمْ

سوف أبْكيكِ بُكاءَ الثَّاكِلِ[9]
وأرويكَ بِدَمْعِــى الهاطِــلِ
وأُناجِيكَ بِقَلْبِــي الذَّابِــلِ

طَالَمـا أحْيَـا فَأمَّـــا يَنْصَرِمْ[10]   ذَلكَ العمـرُ تولّانــا العَــدَمْ



---

(٧) غاض : نضب وانتهى .
(٨) الطلل : بقايا الدور .
(٩) الثاكل : من فقد وحيده .
(١٠) ينصرم : ينتهي .

السعادةُ حديثُ الأشْقِياء[1]

إيه حَدِّثْ عن السَّعادةِ إنى ... قد مللتُ الشَّقاء كلَّ الشَّقاءِ
أطْلِعْ الصُّبحَ في حَديثك يجلو ... بعضَ هذا الأسى بِفيضِ الضِّياءِ
يا أخي ضَاقَ بالحوادثِ ذَرْعى[2] ... وسَئِمتُ الشَّكَاةَ مِنْ بَأسائِي
ومَلِلتُ الحديثَ فيها فحدِّثْ ... أنتَ يا صَاحِبي حديثَ الهَناءِ
إنَّ بعضَ الحديثِ يُدنِي الأمانِي ... بخيوطٍ — وإنْ وَهتْ —[3] مِنْ رَجاءِ

أبعثْ الطَّرْفَ في الفَضاءِ مَليًّا ... فأرىٰ الأفقَ ضيقاً فى الفَضاءِ
والصباحُ الوديعُ ما عَادَ يَسْرِي ... لفؤادِى كما سَرَى بالرِّضاءِ
والربيعُ الأنيقُ ما عَادَ يُذْكِي ... فِيَّ وَمْضَ[4] الحياةِ كالأحياءِ
والجمالُ الذى يَشِيعُ فى النفسِ رُوحاً ... عادَ مَيْتاً مُعطَّلَ الإيحاءِ
هى نفسٌ أحالتْ الكونَ قَفْراً ... فتراءَى مُعطلاً مِنْ وَراءِ
هى نفسٌ تَحطَّمَتْ بالنفسِى ... هي دَائِي فلستُ أرجو شِفَائِي

* * *

يا أخي ثارتْ الشَّجُون وهاجتْ ... حُرقَاتى وأيقظتْ لأوائِي[5]
يا أخِي هَاتِ من حديثك . صوِّرْ ... فى خَيالي مَلامِحَ السُّعَدَاءِ
كيفَ يَحيَون غِبْطَةً وابتسامًا ... كيفَ يرضَون للأمانِى الوضَاءِ
أو فأمْسِكْ فكلُّ شيءٍ مُثيرٌ ... لِشُجُونِي . وخَلِّنِى وشَقَائِي

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٠ .

(٢) ضاق ذرعى : لم أطق : لم أتحمل .

(٣) وهت : ضعفت .

(٤) ومض : بريق ، لمعان .

(٥) لأوائى : المراد أيقظت آلامه وآهاته .

(١)

ليلات فى الريف[1]

مِنْ حنينِ الفؤادِ ؛ من خَفَقَاتِه ذلك الشِّعرُ ، من صَدَى زَفَرَاتِه[2]
وَسِعَتْه الألفاظُ وَزْناً ومَعْنَى ثم ضاقتْ عن رُوحه وسِمَاتِه
هُو وحىٌ لذكرياتٍ حِسَانٍ أوْدَعَ الخُلْدُ بينها ذِكْرِيَاتِه
وليالٍ يَا حُسْنَها مِنْ ليالٍ يَشْتَرِيها مُخلّدٌ بحياتِه
هَمسَ الصمتُ بينها هَمسَاتٍ خَفَّضَ الكونُ عِنْدها خَفَقاتِه
وسَرَى البدرُ مُغْمِضَ الجفنِ وَسْنَا نَ كَطَيْفٍ مُسْتَغْرِقٍ فى سُباتِه

* * *

يا جمالاً بريفِ مِصرَ قريراً هادىءَ البالِ فى خُشوعٍ وَقُورِ
لستُ أنسى لياليًا فيك مرتْ هُن أطيافُ عهدِنا المَأثُورِ[3]
حينَ نَسْرِى والبدرُ يَنْشُرُ ضوءاً فوقَ سهلٍ كالعيْلمِ المَسْجُورِ[4]
بينما الزهرُ حالمٌ فى رُبْاه وغُصونٍ مُهَدَّلاتِ[5] الشُّعُورِ
وخريرُ الأمواهِ سَاجٍ[6] رتيبٌ مثلَ شَدْوٍ فى عَالَمٍ مَسْحُورِ
ونَجِىٌّ[7] من الرِّفاقِ بِهَمْسٍ وحديثٍ مُسْتَعذَبٍ مِنْ سَمِيرِ
قَدْ وَعَى الدهرُ هذه الليلاتِ ووعيناَ آثارَها الباقياتِ
فهى ذِكْرَى تَوشَّجَتْ[8] بنفوسٍ حانياتٍ لطيفِها رَاجِفَاتِ[9]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .

(٢) زفراته : الزفرة : مايخرجه الإنسان نفس حار ، والمراد ما ينفس بها عن نفسه .

(٣) المأثور : المفضل .

(٤) العيلم المسجور : البحر المملوء .

(٥) مهدلات : مسترسلات الشَّعر .

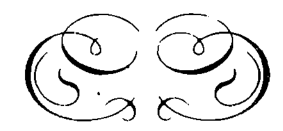
(٦) ساجٍ : ساكن هادىء .

(٧) نجيٌّ : من النجوى : الحديث الخافت بين الرفاق .

(٨) توشجت : ارتبطت برباط قوى (وشيجة ، وشائج) .

(٩) راجفة : مرتعشة (ليس عن خوف ولكن عن انفعال) .

سوف تُبقيه رُقيةٌ من خُلودِ عوَّذَتْها[10] الفنـاءَ والحَادثـات . !
هذه مَسْكَةٌ من الأبـد البَـا قِي المعهودِ قبلَ خَلْق الحياة
ذَخَرَتْها الأحقابُ حتى اجتمعْنَا فأبيحتْ فمالَهــا من فوَات



(١٠) عوّذَتْها : حصنتها .

(٢)

العودةُ إلى الريف(١)

مَهْــدَ الرَّجَــاءِ ومَهْبِــطَ الأحــلامِ وطَنــى علــيك تَحيتِــى وسَلامِــى
ياريف فيك من الخلودِ أثارَةٌ(٢) تنسابُ فى خَلَدِى(٣) وفى أوْهامِى
وتردُّ إحْسَاسِى إليك إِذَا خَلَتْ نفسى إلى الآمالِ والآلامِ
وكأنَّنِى المسحورُ يَقْفُو سَاحِراً فى بُهْـرةٍ(٤) كالطائـفِ النَّـوامِ !

* * *

إنى فقدتُكَ فى الطفولةِ غافِلاً عَمَّا حَوَيتَ من الوُجُودِ السَّامِى(٥)
لكن وجدتُك إذ كبرتُ بخَاطرى رمـزاً أُحيـطَ بِغَمْــرةِ الإبهامِ(٦)
وتـــكشفتْ نَفْسِى فلُــحتُ(٧) كأنما نَفْسِى وأنْتَ جُمِعْتُمـا بِتُـؤامِ(٨)
ووجدتُ أَحْلامى لديكَ وَضيئةً لم تُبْـلِ(٩) جِدَّتَهـا يدُ الأيــام
واليومَ عُدتُ إليكَ أحْسَبُ أنَنى طيرٌ يؤوِّبُ بعدَ جَهدٍ دَامِ(١٠)
يا ريفُ تَدعُونى إليك ؛ وإننى للمستطارُ إلى لقاكَ الظَّامِى !

* * *

هذا الهدوءُ كأنّما هُو عَالَمٌ فى الوهمِ ، لَمْ يَتَبَدَّ لِلأَقوامِ
وكأنّه الحُلُمُ الجميـلُ يَحوطُـهُ صمتٌ كصمتِ العابدِ المُتسامِى
وتَـحُسُّ بالسِّرِّ العميـقِ تَخالُهُ يُضْفِـى على الأيقـاظِ . والنُّـــوامِ

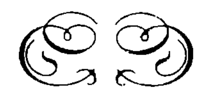
---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) أثارة : بقية .
(٣) خَلَدى : عقلى .
(٤) فى بهرة : فى دهشة .
(٥) غادر الشاعر الريف صبيا .
(٦) الإبهام : الغموض .
(٧) فلحت : فظهرت .
(٨) بتُؤام : التؤام : الصَّدَف ، التُّؤامية : الدُّرَّة
(٩) لم تُبْلِ : لم تفنِ [من تُبْلِى] .
(١٠) دام : من الدم أو من الدوام .

ويلوحُ في وضحِ النهارِ وَيَنْطَوِى ما بينَ طياتِ الظَّلامِ الطَّامِى[11]
هو ذلك السِّرُ الذى مِفْتَاحُه ضُمَّتْ عليه جَوانِحُ الأهرامِ

* * *

إنى أجولُ بِخَاطرٍ مُتنقلٍ في حيثما امتدَّ البسيطُ أمامِى
فإذا مَواكِبُ للجمالِ وَديعةٌ جَمعتْ طرائفَها يَدُ الإلهامِ
للطيرِ فيها ، للأزاهرِ ، مَوْكِبٌ للناسِ ، للحشراتِ ، للأَنْعامِ !
مُتآلفينَ ، سَرىٰ الرِّضَا لنفوسِهِم فيما اغْتَذَوا من مَشْرَبٍ وطَعامِ !
كلٌّ يرجِّعُ للطبيعةِ لَحْنَه في ذلك الوادِى الخصيبِ النَّامِى
وهُنا الطبيعةُ كالغريرةِ[12] إنما وَرِثَتْ وقارَ أُبوّةٍ مُتَرامِ[13] !
تَلْهُو ، ولكن فى براءةِ طِفْلةٍ من نَسْلِ آلهةٍ غَبَرْنَ كِرَامِ !
عَبَدتْهم الأوهامُ في غَمَراتِهَا واندسَّ بعضُ الوهمِ في الأفهَامِ
وتَوارَثَتْه طبيعةٌ خلدَتْ بها مصرٌ على كَرٍّ من الأعوامِ
يا ريفُ مِصرَ ، وأنت سِرُّ بَقائِها اسلمْ ، فَدَتْكَ مَواهِبى وحُطَامِى



(١١) الطامى : الشديد .
(١٢) كالغريرة : المراد على فطرتها .
(١٣) مترام : ممتد .

(٣)

الليلاتُ المَبْعُوثة(١)

بعد عامٍ كاملٍ من الليلاتِ الأولى عاد الشاعرُ للريفِ ، فقضى فيه ليلاتٍ مثلها ، فى جوٍّ نفسى مُماثل ، وبين رِفاق هم الرفاق ، وكان عدد الليلات الأولى والثانية مُتحداً .

أهُو البعثُ ياليالِى الخُلودِ ؟ ... أمْ تُرىٰ أنتِ خَلْقَةٌ من جديدِ؟
أم تُرىٰ صورةٌ منك صِيغتْ ... بين وَحى الإِلْهامِ والتجويدِ ؟
يا ليالىّ ما أراكِ سِوى أنتِ ... كما كنتِ مرةً فى الوجودِ !
ها هُنا والزمانُ يَحْلُم وَسْنَا ... نَ سعيدٌ لها (٢) بحُلْمٍ سَعيدِ !
ورَنَا(٣) البدرُ فى حَياءٍ وَديعٍ ... وهو راضٍ رِضاءَ طفلٍ وَليدِ
ورِفَاق هم الرِّفاقُ ، ونَفْسِى ... هى نفسِى ، وعَالَمِى ؛ وعهودِى !
ما أرى مَعْلَماً تغيَّر أو رَسْماً ... مَحَتْه يدُ الزمانِ الكَنُودِ(٤)
أنتِ ليلاتُنا ! فَقُصِّى علينا ... كيف أفْلَتِّ من زمانِ القيودِ ؟

قَدْ تسللنَ خِفْيَةً فى الظلامِ ... بينما الدهرُ سَادِرُ(٥) الأوهامِ !
ثم وَافينَنَا وهُنَّ سُكَارَىٰ ... حالماتٍ أُغْرِقْنَ فى الأحلامِ
هامساتٍ لَنا . لقد بُعِثَ العَهْدُ ... فهيا مِن كُلِّ لَهفانَ(٦) ظَامِ(٧)

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) من اللهو .

(٣) رَنَا يرنُو : أدام النظر فى سكون طرف .

(٤) الكَنُود : يذكر المصيبات وينسى النِّعم .

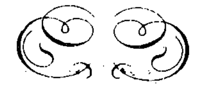
(٥) سادر : لا يهتم ولا يبالى بما صنع والمراد حائر الأوهام .

(٦) لهفان : المتحسّر .

(٧) ظام : ظامىء .

فأجبنَـــا دُعاءَهـــنَّ سِراعـــــاً ... وخلَعْنا دُنيا الحِجا(٨) والحُطامِ(٩)
ورقينـا مَدارجَ الخُلْـدِ والكَـو ... نُ مُسَجَّىٰ(١٠) فى غَفْلةٍ وظَلامِ
ها هُنا كنتُ منذُ عامٍ ! ولكن ... يا لنفسِى ! فها هُنا أىَ عامِ ؟
ما أرى للزمانِ رسماً ! فهـذا ... كلُّ شيءٍ هُنا كرمزِ الـدَّوامِ
إيـه ليلاتِنـا ، أعيـدِى علينـا ... قصة الخُلْدِ ، فالأمانِى ظَوامِ(١١)

خَيَّمَ الليلُ فى خُشُوعٍ رَهيبِ ... غير لمحِ الرؤىٰ ، وخَفْقِ القُلوبِ
وسَرينـا نرتــادُ سِرَّ الليالِـــى ... وهى تُفْضِى(١٢) بسرِّها المرهوبِ
وتُجَلِّى لنـــا زَمانـــاً زمانـــاً ... وعجيباً وراءَ سِتْرٍ عجيـبِ !
ومَتاعـاً مِنَ الحيـــاةِ نَفـــيساً ... ضَمَّنَتْه آلاف عهـدٍ خَصيبِ
قَد رَشفْنَا(١٣) خلاصةً منه تُغْنِى ... عن حياةِ الورىٰ وعيشِ الشُّعوبِ
وسَرىٰ فى النفوسِ معنًى جديدٌ ... عَبَّرَتْ عنـه بالغِنَـاءِ الرتـيبِ(١٤)
وتسامتْ أرواحُنـا فى نَجـــاءِ ... وتهادتْ قُلوبُنـــا فى دَبـــيبِ
تِلك ليلاتُنـا ، وهـذا صَدَاهـا ... إيهِ ليلاتِنا ؛ اخْلُدِى ، لا تغيبِى



(٨) الحجا : العقل (الإدراك والفطنة) .
(٩) الحُطام : متاع الدنيا .
(١٠) مُسَجّى : فى سكون أو مُغَطى من سَجَّىٰ الميت : غطاه .
(١١) ظوامىء : مفردها ظامىء .
(١٢) تفضى : تبوح بسرها .
(١٣) رَشَفَ : شَرِبَ مَصاً بشفتيه ، والمراد : الشراب باستمتاع .
(١٤) الرتيب : الثابت المستقر ، والمراد : ذى النغمة الثابتة .

رَيْحَانَتِي الاولى

أو

الحِرْمَان[1]

رَيْحَانَتِي الأُولىٰ ورَوْحَ[2] شَبابِي أئذَا دَعوْتُ سَمِعْتُ رَجْعَ جَوابِ
أنا فِي الجحيمِ هُنا وأنتِ بجنةٍ مِنْ رَوْحِ إعْجابٍ ورَيْقِ[3] شَبابِ
أنا فى الجحيمِ وأنت نَاعمةُ المُنَىٰ خَضْراءُ ذاتُ تَطلّعٍ وطِلابِ
أنا لا أُريدُكِ هاهنا فى عالَمِي إنى أُعيذكِ مِنْ لَظىً وَعذَابِ
لَكِنَّها الذِّكْرَىٰ تثورُ بِخاطِرِي مَجْنُونَةً حمقاءَ ذاتَ غِلابِ

* * *

عَيْنِي رَعَتْكِ وأنتِ نَابتَةٌ فلم تَغْفَلْ ولم تَفْتُرْ[4] ولم تَتَألمِ
وتَعَهَّدَتْكِ يَدِى وأنتِ نحيلةٌ وغِذَاكِ من نَفْسِي الحَنانُ ومِنْ دَمِي
فَنَمَوْتِ والآمالُ حَوْلكِ تَنْتَشِي وتَهُمُّ رَاقِصةً وتَهْتِفُ بالفَمِ
حتى إذا أيْنَعْتِ وانطلقَ الشَّذىٰ[5] ألفيتُ نَفْسِي فى صميمِ جَهنَّمِ
مُلْقىً هُنالك لا أحُسُّ ولا أرىٰ إلّا الشُّواظَ وكلَّ داجٍ مُعْتِمِ[6]

بينى وبينكِ شُقةٌ[7] لا تَنْتَهِى أبداً أُقارِبُ حَولَها وأُباعِدُ
هى شُقَّةُ النفسِ الخَرابِ ، وإنّها لمجاهلٌ لم تُكتشفْ وفَدافِدُ[8]

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٧ .
(٢) رَوْح : راحة أو من رَاحَ رَوْحاً : طابت ريحه .
(٣) رَيْق : من الرَّوق : أول الشيء ، روق الشباب : أول الشباب .
(٤) تفتر : تضعف .
(٥) الشذى : الرائحة الطيبة .
(٦) داج معتم : شديد الظلمة .
(٧) شقة : مسافة .
(٨) فدافد : أراض واسعة لاشيء فيها .

الشمسُ فيها لا تُطِلُّ ومَا بِها إلا الرواكـدُ والظَّـلامُ البَـــارِدُ
أنا لَسْتُ سَالكهَا وأنت حَفِيةٌ(٩) أن تَجْنُبِى عَنْها ونَجْمُكِ صَاعِدُ
فإذا الذى بَيني وبينكِ كلُّهُ ذِكْـرىٰ تُطِـلُّ برأسِهـا وتُعـاوِدُ

وأراكِ مِنْ خَللِ الغيومِ أسِيفةً إذْ تَذْكُرين رِعايتـى وجُهـودِى
وتَرِيْـنَ حَاضِرَنـا وَغابِرَنـا معــاً وتُراجعيـنَ مَواثِقِـــى وعُهـــودِى
نَفْسِي فداكِ فلا أراكِ شَجيّةً(١٠) تُرقِيْ(١١) الغُضُونُ لوجهكِ المَعْبُودِ
وقفٌ عليكِ تَطلُّعِى وتَلهُّفِـى وقفٌ عليكِ قَصائِدِى ونَشيدِى
لكن أُعِيذُكِ خَطْرَةً فى عَالَمِى إنّى أُعيذُكِ وَحْشَتِى ورُكُودِى



(٩) حفية : اللطيفة الرقيقة . قال تعالى : ﴿ إنه كَانَ بِى حَفِياً ﴾ .
(١٠) شجية : حزينة .
(١١) تَرَقّى : تنقل من حال إلى حال .

عِبَادةٌ جَديدة ؟![1]

لكَ يا جمالُ عِبَــــــادتى ... لك أنْتَ وَحدَكَ يا جَمالْ
تُعْصَىْ تعاليــــمُ الطُّغَـــــا ... ةِ ، أو الهُـدَاةِ على ضَلالْ
ويُخالَـــفُ التشريــعُ جهــراً ، ... أو خَفَـــاءً فى احتيـــالْ
وتُجَـــانَبُ الأديــــانُ أو ... تُنْسىْ وتُهْجَـــرُ عَنْ مَلالْ
وأراكَ وَحــــــدَكَ يا جمالُ ... تَلقــىْ الخضوعَ والاحتفــالْ
والحـــبَّ والإيمـــانَ مِــــنْ ... كلِّ الأنـامِ بكـــلِّ حَالْ!

المالُ مَعبــــــودُ الحيــــــا ... ةِ المُسْتَـذِلُ قُوىْ الرجـــالْ
هو بعضُ قُربـــانِ النفـــو ... س إلى مَقَـامِك فى اِبتهالْ
وأرىْ الأُلوهــــــةَ فيكَ تُو ... حى بالعبـــادةِ فى جَلالْ
ما أنتَ إلا مظْهَــــــــرٌ ... منها تُوشِّيـــهِ[2] الظِّـــلالْ
فإذا عَبـدتُكَ لم أكُـــنْ ... يا حُسْنُ مِنْ أهلِ الضَّلالْ
بل كنتُ محمــودَ العَقِيـــ ... ـدةِ فى الحقيقــةِ والخيــالْ
أعْنُــو[3] لِمــنْ تَعنُـــو لَه ... كلُّ النفـــوسِ بلا مِثَـــالْ
مُتَفرِّقـــاً فى الكَــــونِ فى ... شَتَىْ المَــرائي[4] وَالخِــلالْ[5]
فإذا تَركَّـــزَ ها هُنــــا ... بَطَلَ التَّمحُّـلُ[6] والجِـدالْ ![7]

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .

(٢) توشِّية : تنقشه وتُحَسِّنه من وَشَى الشيءَ وشْياً : نمنمه ونَقَشَه وحَسَّنَه .

(٣) أعنو : أخضع . (٤) المرائى : المناظر ، مفردها المرأى : المنظر .

(٥) الخِلال : مُنْفَرج ما بين الشيئين ، جاسوا خلال الديار : ساروا وترددوا بينها، والمراد : منتشر فى كل ما نرى وما بين الأشياء وبعضها .

(٦) التَّمَحُّلُ : الاحتيال ، من تَمَحَّلَ : احتال .

(٧) الجِدَال : المناقشة والخصومة ، من جَادَله مُجَادَلة : ناقشه وخاصمه .

تسبيح[1] ... !

لِعينيكِ تَسبيحى وهَمْسُ سَرائرى ... وفى صَمْتِها المُوحِى مرَادُ[2] خَواطِرِى
تُطلُّ على الدنيا فتوقِظُ قَلْبَها ... وتمنحُ هذا الكونَ إيمانَ شَاعِرِ
وتَسْكُبُ فى ألحانِه عبقريــةً ... من الفنِّ لم تخطرْ بآمالِ ساحرِ
وتجلُو من الدُّنيا عميقَ فنونها ... وتكشفُ فى أطوائِها كلَّ خاطرِ
ومِنْ عجبٍ تُوحِى بفتنةِ ساحرٍ ... وتَهْمِسُ فى ضمتٍ بتقديسِ طاهرِ

لقد شَفَّ هذا الوجهُ حتى كأنه ... خواطِـرُ فنـانٍ نَدِىِّ المشاعـرِ
وقد رَقَّ هذا الجسمُ حتى كأنه ... هَواتفُ حُلْمٍ ناعماتِ البَشَائِرِ
وقد رَقَّ هذا الصوتُ حتى كأنه ... أغاريدُ لَحْنٍ فى السمواتِ عَابرِ
وقد خفَّ هذا الخَطوُ حتى كأنه ... مرورُ نسيـمٍ بالأزاهيـرِ عاطـرِ
وخِلْتُكِ طَيفاً هامساً فى ضمائرِى ... وإنك طيفٌ هَامسٌ للنواظرِ !

* * *

لَأيقظتِ فى نفسى سعادةَ شاعرٍ ... وراحةَ موهوبٍ وغِبْطَةَ ذَاخـرِ
وأشعرْتنى معنىٰ الطلاقَةِ والرِّضَا ... ومعنى الغِنىٰ عن كلِّ آتٍ وغابرِ
مَدَىٰ فيه من أفقِ الخلودِ مدارجُ[3] ... رَقَيْتُ إليها فى سَنَى[4] مِنك باهرِ
سَبقتُ به خَطوَ الحياةِ لِنَهْجِها ... وجُزْتُ به آفاقَها فى المَعَابرِ
فيا لكِ مِن هَادٍ سَنِىِّ المنائرِ ... ويَا لى من سَارٍ وَحِىِّ البَصَائِرِ

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٣٨ .
(٢) مَرادُ : مكان ذهابها ومجيئها .
(٣) مدارج : مسالك .
(٤) سنى : ضوء .

في السماء[1]

أيقظتِ أبلَ ما يُجنُّ[2] ضَميرى — وبعثتِ جوهرَ عُنْصرِى المَطْمُورِ[3]
فإذا أنا الرُّوح التى تَسمُو بها — دُنيا الحيـاةِ لأوْجهـا[4] المنظـورِ
وإذا أنا النُّورُ الذى تجلُو به — تلك الحياةُ غَياهِبَ الدَّيْجُورِ[5]
وإذا أنا الشَّوقُ الذى يَحدُو لها — فتغِـذَّ بين مَسالِكٍ وصخـورِ
وإذا أنا الشِّعر الذى تَشْدُو به — فى نَشوةٍ وتجيشُ بالتعبيـــرِ
وإذَا أنا الخيرُ المُمَحَّضُ والهدَى — والحبُّ والنَّجوىٰ خِلالَ ضَميرِ

* * *

فَبأى معجزةٍ كَشَفْتِ ضَمائرِى — وجَلَوْتِ كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ ؟
وغَـدَوتِ فنِّى فَضَائلى ورَوَيْتِها — حتىٰ أطلَّتْ بالجَنىٰ المَذْخُورِ[6] ؟
وجعلتِ من زَادِ الخلودِ مَطامِحى — وجعلتِ أشْواقِى صلاةَ طُهورِ ؟
بالحبِّ والحُسْنِ الوديع ونظرةٍ — بيضاءَ صافيـةٍ تُريـحُ شُعـورى
وتُحيـلُ أشواقى رِضاءَ مُخلَّـدٍ — راضٍ بِخُلْدٍ لم يُشَبْ بقُصُورِ[7]
وتُحيلُنِى رُوحاً تَرِفُّ على الوَرىٰ — كالعطفِ ، أو كالحبِّ ، أو كالنُّورِ
فإليكِ تَسْبيحِى وهَمْسُ سَرائِرِى — وإليكِ غايةُ غِبْطَتِـى وسُرورِى

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ .
(٢) يُجنُّ : يستر .
(٣) المطمور : المستور ، طمَرَ الشيء طَمْراً : ستره حيث لا يُدْرىٰ أو لا يُرى .
(٤) أوجها : أعلى نقطة تُرى : العلو .
(٥) الدَّيجور : الظلام .
(٦) ذَخَرَ الشيء : خَبَأه لوقت الحاجة إليه . مذخور : مدّخر : مخبوء .
(٧) شَابَ يشُوب : خَلَطَ ، القصور : الإهمال : النقص .

بينَ عَهْدَيْن(١)

١ ـــ العُشُّ المَهْجُور

طِرْتِ عَنْ عُشِّكِ الْجَميلِ فَأُوبِى(٢) شَدَّ مَا اشْتَاقَ طَيْرُهُ أنْ تَؤُوبِى !
كانَ دِفئاً وَكانَ مَرْتَعَ(٣) صَفْوٍ فكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوبَ القُطُوبِ(٤)
مُنْذُ غَادرْتِهِ قَدِ انْتَثَرَ الحبُّ وطَـاحَتْ به رِيَـاحُ الْهُبُــوبِ
وَتخَــلَّتْ عِنَايــةُ اللهِ عَنْــهُ فَهُوَ فى وَحْشَةِ الغَرِيبِ الكئِيبِ
وَلَيَالِيــهِ شَاجِيــاتٌ حَيــارَى يَتَرَامَيْـنَ حَوْلَـهُ مِنْ لُغُــوبِ(٥)

٢ ـــ نداء العودة

عُودِى إلى الْــعُشِّ عودِى وَرَفْرِفــى مِنْ جَدِيــدِ
وَرَنِّمِــــــى بالأغانى فى جَوِّهِ وَاسْتَعِيــــدِى
وَأدْفِئِـــى بالأمَـــانى مَا مَسَّهُ مِنْ جُمُـــودِ
وَتَمْتِمِـــى بالتَّعَاوِيـــذِ(م) وَالرُّقَـــى وَالنَّشِيـــدِ
وَأطْلِقِـــى فِيـــهِ لَحْنــاً يَشْدُو لِحُبٍّ سعيـــدِ
وَيَطْــرُدُ الْيَـــأسَ عَنْـــهُ بالشَّدْوِ والتَّغْرِيـــدِ

* * *

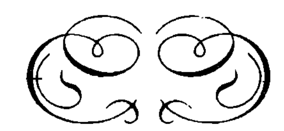
طَالَ انْتِظَـــارُكِ وَهْنـــاً(٦) فى ظُلْمَـــةٍ وَكُنُـــودِ(٧)
وَالرِّيـــحُ تَعْـــبَثُ فيـــهِ بكـــلِّ غالٍ مَجِيـــدِ

(١) نشرت فى فبراير ١٩٤٢ .
(٢) فأوبى : فارجعى .
(٣) مرتع : الأرض المتسعة الخصبة .
(٤) القطوب : من قَطَبَ فلانٌ يَقطِبُ قُطُوبا : ضمّ حاجبيه وعَبَسَ ، يقال : رأيته غضْبان قاطبا .
(٥) لغوب : التعب مع الإعياء .
(٦) وَهْناً : ليلا .
(٧) كُنُود : المراد فى انقطاع .

وَكُلُّ خَفْقٍ جَنَاحٍ أَوْ رَجْفَةٍ مِنْ بَعِيدِ
يخَالُ فِيها مَآباً بَعْدَ النَّوَى وَالشُّرودِ

* * *

عُودِى إلى الْعُشِّ عُودِى وَرَفْرِفِى من جَديدِ
أضْنَاكِ طُولُ الشُّرُودِ وَلَذَّةُ التَّصْعِيدِ
عُودِى إلى الدِّفْءِ فِى عُشِّكِ الأمِينِ الوَدُودِ
الْعُمْرُ يَمْضِى فَهَيَّا نُعِيدُهُ لِلْوُجُودِ



نَدَاءُ الخرِيف(١)

تَعالَــىْ . أَوْشَكَتْ أيامُنـــا تَنْفَـــدْ
تعالَــىْ . أوشكتْ أنفاسُنـــا تَبْــرُدْ
بلا أمَــلٍ ، ولا لُقْيَــا ، ولا مَوْعِــدْ

* * *

تعالَــىْ . هذه الأيـــامُ لا تَرْجِــعْ
ولا تُصْغِى لنـــا الدُّنيـــا ولا تَسْمَــعْ
ولا تُجْدِى شَكَـاةُ الدَّهْــرِ أو تَنْفَــعْ

* * *

كِلانَـا ضَائِــعٌ فى الكَــونِ مَفْقُــودُ
فلا هَدَفٌ له فى الأرضِ مَشْهُــــودُ
ولا أمــلٌ له فى الغَـيبِ مَوعُــودُ

* * *

ألا مَا أحْمَــقَ اثنَيْــنِ غَرِيبَيْــــنِ !
إذا عَاشَاــ مَعَ الحبِّ ــفَرِيدَيْــنِ(٢) !
وهــذا الكَــونُ لا يَدْرِى الشَّرِيدَيْــنِ(٣) !

* * *

نَعَـــمْ قَدْ أدْمَتْ الأشواكُ قَلْبَيْنَـــا
وَسَدَّتْ هذه الدُّنيـــا طَرِيقَيْنَـــا

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٣ .
(٢) فريدين : وحيدين .
(٣) الشريدين : الشريد الذى لا مأوى له .

ولكـــن أيـــن ماضى حُبِّنـــا أنـــا ؟

* * *

تعالـــىْ نحْيـــى بالأشواق ماضيهـــا
ولنبعثْ فى جمـــىْ الـــحُبِّ لياليهـــا
فهـــذا الحبُّ إذْ نحْييـــه نحْييهـــا

* * *

تعالـــىْ لمْ يعُـــدْ فى العُمْـــر متسعْ
تعالىْ لم يعُدْ فى الكوْن مُنتجـــعْ(٤)
وطـــولُ الدهـــر لا يُبقـــى ولا يدعْ

* * *

تعالى . نحـــنُ يعْتزنـــا السُّويعـــات
وضحْكتنـــا بأيـــامٍ عزيـــزات
فيـــا أختـــاه يكْفينـــا حماقـــات

* * *

أجـــلْ يا أختُ ما قدْ ضاع يكْفينـــا
فعُـــودى . ها هُو الـــعُشُّ يُناديـــنا
فلا نحْزنـــه يا أختُ بأيْدينـــا

* * *

ربيـــعُ العُمْـــرِ يا أُختـــاه قدْ مرّا
فلَـــمْ نُطْعمْـــه أو نغْنـــمْ به ذُخْـــرا
ومـــا عاد لنـــا منـــه سوى الذّكْـــرى

* * *

فلا نخْسرْ هزيعيـــن(٥) من العُمْـــر

---

(٤) منتجع : المراد لايوجد مكان يصلح للإقامة

(٥) هزيعين : الهزيع : ربع الليل أو نصفه ، والمراد مضى أكثر العمر .

فَدِفْءُ العُشِّ قَدْ يُجْدِي لَدَىٰ القَـرِّ(٦)
ورُوحُ الـحُبِّ قَدْ يُحيِي لَدىٰ القَبْـرِ

* * *

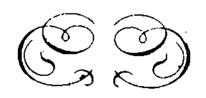
ويَـا أُخْتَـاه زَادُ الـعُشِّ يَغذُونَـا(٧)
فإنّ الـزَادَ قَدْ قَلَّ بِأيْدِينَـا
وجَـذْبُ العُمْـرِ يا أُخْتَـاه يُؤْذِينَـا

* * *

تَعالَـى نَقْطَـعُ البَاقِـى مِنَ العُمْـرِ
رَفِيقَيْـنِ على الخَيْـرِ عَلى الشَّرِّ
حَلِيفَيْـنِ عَلى الـيُسْرِ عَلى الـعُسْرِ

* * *

تَعـالى أوْشَكَتْ أيامُنَـا تَنْفَـدْ
تَعـالى أوْشَكَتْ أنْفاسُنَـا تَبْـرُدْ
بِلا أمَـلٍ ولا لُقْيَـا ولا مَوْعِـدْ



(٦) القر : شدة البرد .
(٧) يغذونا : من الغذاء .

هُتافُ رُوح(١)

« فى ليلة دفيئة من ليالى كاليفورنيا »

في الجوِّ يا مصرُ دِفءٌ ... يُدْنِــى إلــىّ خيــالَكِ
وتَسْتَجِــيشُ(٢) حنينــى ... إلى الليــالى هُنــالِكِ
للأُمسيــات السُّكــارَىٰ ... نَشْوىٰ تَرِفُّ خيــالَكِ
ونَسْمَــةٌ فيك تَسْرِى ... رَيَّانَــة من جَمَــالِكِ
نجواكِ مِلْءُ فُؤادِي ... تُرىٰ خطَــرتُ ببَــالك

* * *

النيــلُ والموجُ سَارَ ... يُقَبِّــلُ (الشُّطْــآن)
والبــدرُ والنــورُ سَاهٍ ... كحالــمٍ وَسْنَــانْ
وفى الجِــواءِ(٤) حنيــنٌ ... مُجَنَّــحٌ حَيرانْ
ومــن هُنــالِكَ لَحْــنٌ ... يَهْفُــو إلى الآذانْ
صَدَاه نَاءٍ عميــقٌ ... فى ناى هذا الزمــانْ

* * *

فى النــفسِ يا مِصرُ شوقٌ ... لخَطْــرَةٍ فى رُبَــاكِ
لِضَمَّــةٍ مِنْ ثَــراكِ ... لنَفْحَــةٍ مِنْ هَواكِ
لِوَ مَضْةٍ مِنْ سَمــاكِ ... لِهَاتِــفٍ مِنْ رُؤاكِ
لليلــةٍ فيك أُخْــرَىٰ ... مع الرِّفَــاقِ هُنَــاك
ظمــآنُ تهتــفُ رُوحــى ... متــى تَرانى أراكِ ؟

« سان فرانسيسكو »

نشرت فى ابريل ١٩٥٠ .

ريانة : فيها حيوية ونضرة .

(٢) تستَجيش : تمتلىء .

(٤) الجِواء : الواسع من الأمكنة .

دُعاءُ الغريب(١)

يا نائيـــــاتِ الضِّفَــــــافْ　　هُنـــــا فتـــــاكِ الحبـــــيبْ
عليــــــه طَالَ المَطَــــــافْ　　متـــى يعـــودُ الغـــريبْ ؟

* * *

متــــــــى تَمُسُّ خُطـــــــاه　　ذاكَ الأديـــــمَ(٢) المغبَّـــــــرْ
متــــــــــــــــى يَشُمُّ شَذَاه　　كالأقحــــوانِ المُعَطَّـــــرْ ؟

* * *

متــــــــى تَرىٰ عينـــــــــاهْ　　تلك الربـــوعَ المواثـــلْ(٣) ؟
أحلامُـــــــــه ومُنَـــــــــاه　　تدعـــوه خلـــفَ الحوائـــلْ(٤)

* * *

حنينُـــــــــه رَفَّـــــــافْ　　إلى الدِّيـــــارِ البعيـــــدهْ
مَتـــــى مَتـــــى يا ضِفـــافْ　　تَأْوِى خُطـــاه الشريـــــده ؟

* * *

رُؤَاكِ فى نَاظِرَيــــــــــــــهْ　　تَرِفُّ كالأحـــــــــــــــلامْ
تُرىٰ هَفَـــــوْتِ(٥) إليـــــه　　على مَدَى الأيـــــــــامْ ؟

* * *

ليـــــلاتُكِ السَّاريـــــــاتْ　　كالنَّسْمَـــــــةِ العبقريّـــــةْ
حالتْ إلى ذكريـــــــــــاتْ　　مُعَطَّـــــــراتٍ نَديّـــــــةْ

* * *

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٥٠ .
(٢) الأديم : وجه الأرض .
(٣) المواثل : القائمة والمراد قائمة فى ذهنه وخياله .
(٤) الحوائل : الموانع .
(٥) هفوت : اشتقتِ .

مُجَنَّحَـــاتِ العبيــــرْ مُرَفْرَفَـــاتِ الأمَـــانى
فى عَالـــمٍ مسحـــورْ مُوسع بالأغَانِـــــى

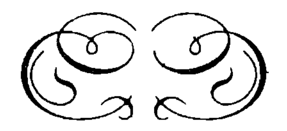
* * *

هُنـــاك حيثُ خُطـــاهْ مَنثـــورةٌ فى الطريـــقْ
مازَالَ فيها الحيـــــاةْ . تَدْعُـو دُعــاءَ الغريـــقْ !

* * *

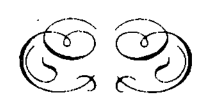
يا أرضُ رُدِّى إلـــيكِ هذا الوحيـــدَ الغـــريبْ
هَواهُ وقـــفٌ علـــيك رُدِّى فتـــاكِ الحـــبيبْ

« سان فرانسيسكو ـــ أمريكا »



ابتسامة(١)

أنِــرْ بِفــؤادِي كلَّ أسْوانَ مُظْلِـــمِ (٢) بَبَسْمَـــةِ رَاضٍ فى الحيـــاةِ مُنَعَّـــمِ
وصَوِّرْ بها الآمالَ : إنِّـــى رأيتُهـــا تطيـــفُ بريَّـــا ثَغـــرِكَ المُتَـــبَسِّمِ
وطالِـــعْ بهـــا وَجْـــهَ الحيـــاةِ نَدِيَّـــةً تَمسُّ حَشاشاتِ القلوبِ بِبَـلْسَمِ(٣)
وتَسْرِى إلى الأرواحِ رُوحـــاً مَهُومًا (٤) يفـــيضُ عليها من رِضاءٍ وأنْعُـــمِ
فَدَيْتُكَ لا تَأْلُ(٥) الحيـــاةَ ابتسامـــةً أرقَّ وأحنـــى مِنْ خيـــالٍ مُهَـــوِّمِ
مُرَنِّحَـــةَ الأعطـــافِ تُومِضُ خِلْسَةً وتخْطُرُ فى رِفْـــقٍ بذيـــالكِ الفَـــمِ !
فديتُكَ أرْسِلْهـا على الكَـوْنِ غِبْطَـةً تُشَافِهُـهُ همْسَ الرَّجَـــاءِ المُتَمْتِـــمِ
وتدرِكُهـــا الأرْواحُ فى خَطَرَاتِهـــا كما تدركُ الأسماعُ هَمْسَ التَرَنُّـــمِ
فديـــتُكَ لا تَألُ الحيـــاةَ تَبَسُّمـــاً فإنك لم تُخْلَـــقْ لِغَيـــرِ التَّـــبَسُّمِ
وقـتكَ الليـالى العـــابساتُ عُبوسَهـــا إذَنْ فَتَـــبَسَّمْ كيفمـــا شئْتَ وانعَـــمِ



(١) نشرت فى ١٩٣٠ .
(٢) أسوان : حزين .
(٣) بلسم : الدواء الشافى .
(٤) مَهُوماً : فى حالة نوم خفيف ، المراد فى راحة .
(٥) لا تأْلُ : من ألا يَألُو : قَصَّر وأبطأ ، ومنه : إنى لا آلوك نصحا ، والمراد : لا ينقص .

التـــأمل

إلى الشاطئِ المجهـولِ والعَالَمِ الذى
حَننتُ لمرآه ، إلى الضفة الأُخْرى ؟
إلى حيثُ لا تدرى إلى حيثُ لا تُرى
مَعالمُ للأزمـانِ والكـونِ تُسْتَقْرَا

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

بَسْمَةٌ بَعْدَ العُبُوس (١)
أو
حَياةٌ بعدَ مَوْت

بَسْمَةٌ ! أمْ تلكَ أنْفَاسُ الحياةِ ؟ ولقاءٌ ذاكَ أمْ رَجْعُ العُمُرْ ؟
نَفْحَـةٌ تَنْفُثُهـا(٢) تلك الشِّفــاه تبـعثُ الميِّتَ وتُحيـي ماانْدَثَـرْ

* * *

بَسْمَـةٌ كاللحـن مِنْ قِيثـارَةٍ رائـقِ المعنـى رَقيـقِ النَغَمـاتْ
أو شَذَىٰ يَأْرَجُ(٣) مِنْ نَوَّارَةٍ في غُصونِ الوردِ زَاكِي النَّفَحاتْ

* *

بَسْمَةٌ أنْدَىٰ علي القلبِ الكَليمِ(٤) من نسيمِ الصُّبْحِ أو طيفِ الأمَلْ
بَسْمَةٌ تُشْرِقُ في الوجهِ الكريمِ كابتسامِ الزَّهْرِ في الروضِ الخَضِلْ(٥)

* * *

نَظَـر الدهـــرُ إليها فابـــتَسَم وسرتْ في القَفْرِ فاخضَّل الجَدِيبْ
سَريان البُرْءِ(٦) هَوْناً فـي السَّقِمِ(٧) ودبيبُ الرُّوحِ في المَيْتِ السَّلِيبْ

* * *

ذلك القلبُ وقد جَفَّ نَدَاه وغدَا أجوفَ كالنبتِ الهَشِيـمْ
وخَبَا في أفقِـه ضوءُ الحَيـاة وبَـدَا كالمعبـدِ البَالِـي القديـمْ

* * *

---

(١) نشرت فى فبراير ١٩٢٩ .
(٢) تنفثها : تنفخها .
(٣) أرج : فاح : انتشر الطيب .
(٤) الكليم : المجروح .
(٥) الخضل : من خَضِل يخضَلُ : نَدِى وابتلّ .
(٦) البرء : الشفاء .
(٧) السقم : المريض .

ذلك القلبُ قد اخْضَلَّ وَحَنَّ   وأحسَّ الرُّوحَ في رِفْقٍ تَسيلْ
إذ تَراءى الأمَلُ الحُلْوُ الأغنُّ   في ثَنَايا ذلك الثغرِ الجميلْ

* * *

هَتَـفتْ رُوحـى وحَيَّـاه فُؤادِى   في هدوءٍ شاملٍ ضَافٍ حَنُونْ
وتـــــزودتُ من الحبِّ بزادٍ   ومِنَ الإخلاصِ تُبْدِيـه العيـونْ

* * *

إنَّ عَينيـه إذا تَرنُــو إلــىَّ   تسكب الرَّوْحَ(٨) بقلبي والرَّجَاءْ
وهو إذ يحْنو بِعِطْفَيـه عَلـيّ   يَغْمُرُ النفس بِفيضٍ من رِضَاءْ

* * *

إنّ في عينيه مَعنى للسُّمُـوِ   فوقَ مايُـــدْرِكُ هذا الـــبَشَرْ
وبها آيـاتُ عَطْـــفٍ وحُنُـــوٍّ   لستُ أدْرِيها ولكـــنْ أشْعُـــرْ

* * *

أتُرى أنْعَمُ مِنْ بعدِ الشَّقاء ؟   أتُرى في الشَّوْكِ قد تَحيا الوُرودْ ؟
بِحَياتِــي وأمَانِــي الـــوِضَاء   عَهْدُنا الغَابِرُ لو كانَ يَعُـودْ



(٨) الرَّوْح : الراحة : الرحمة .

هَدَأتَ ياقلْب ؟!(١)

هَدأْتَ ياقلبُ فاهدَأْ هكذَا أبداً   وعِشْ هنيئاً إذا أحْسَسْتَ سُلْوانا
فجمرةُ الحبِّ قد تخبو ويَعقُبُها   بَرْدُ السُّلو وتَنْسَى كلَّ ما كانا
فلا جَفَاءٌ ولا شَكْوىٰ تُرَدِّدُهَا   ولا دَلاَلَ وَلا وَجْداً وَتَحْنَانَا
تُمْسِي وتُصْبحُ حُرّاً غيرَ مضطربٍ   ثَبْتَ الجَنَانِ مُرِيحَ البالِ طَمْآنا
نَعَمْ سَتعْدِمُ حِسّاً رقَّ جَانِبُه   ودَقَّ في عالمِ الإحساسِ مِيزَانَا
ومَا يُضيرُك من فُقْدانِ رِقّتِه   إِذَا فَقَدْتَ بها بُؤسًا وأشْجَانا
وما الحياةُ إذا رَقَّ الشعورُ سِوى   بؤسٍ يَجْرَعُهُ(٢) الإنسانُ غصَّانا(٣)

* * *

ستُبصرُ الوردَ ورداً والسماءَ كما   تَلُوحُ للناسِ والأكوانِ أكْوانَا !
وتُبْصِرُ الحبَّ شيئاً أنْتَ تَعْرِفُه   وليس سِرًّا . ويَبْدُو الإِلِفُ(٤) إنسانا !
خلعتَ ثوباً عليه أنتَ وَاهِبُه   لولاه مَالاَحَ في الأنْظارِ فتَّانا !

* * *

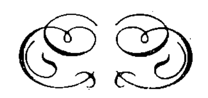
فخَلِّ ياقلبُ آمالاً تجيشُ بها   فقد تغررك الآمالُ أحيانَا
هذا الهدوءُ تُنَمِّيه وتَأْلَفُه   فيستحيلُ مع الأيامِ نِسْيانَا

---

(١) نشرت في مايو ١٩٢٩ .
(٢) يجرعه : يَبْلَعُه من جَرَعَ الماء ونحوه .
(٣) غصَّانا : من غصَّ بالماء : وقف في حلقه فلم يكد يُسيغُه .
(٤) الإلف : المألوف (الأنيس) من أَلِفَه : أنِسَ به .

الدنيا[1]

إيـه يادُنيـا ومـا أنْتِ سِوىٰ عبثِ الأطفـالِ فيمـا يلعبُـون
ضَجَّـةٌ صَاخِبــةٌ لا تحتــوِي غيـرَ أصْدَاءٍ قَويـاتِ الرَّنيـــنْ
فإذا فَتَّشْتَ عن مَبعثِهــــــا لم تجِدْ شيئاً تُخْبِيه[2] الوُكُون[3] !



(١) نشرت ١٩٣٠ .
(٢) تُخبيه : تستره وتخفيه من خَبَأ يَخْبَأُ : ستر .
(٣) الوُكُون : جمع مفرده وَكْنٌ والوكْن : عش الطائر حيث كان .

عودة الحياة[1]

عَجَبٌ خَفْقُكَ ياقلبـى فى هذه الأضلعِ من بعدِ الخُفُوتْ !
أوَمـا زلتَ إذنْ لم تَشْتَفِ[2] مِنْ حنينٍ فيك حَىٌّ لايموتْ ؟

* * *

أوَ مَازالَ إذنْ نبعُ الحيـاة لم يَغِضْ[3] فيك ولم ينضبْ مَعِينُهْ
رُبَّما فَاضَ على تلك الفلاةِ فى فؤادٍ مُقْفِرٍ جَفَّتْ غُصُونُهْ !

* * *

طالَ عَهدِى أيُّها القلبُ به ذلك الخفقُ الذى ذَكّرتَنِيه
ذلك الخَفْقُ الذى لاينتَهى حيث يَسرِى الشِّعْرُ كالتيارِ فيه

* * *

كم ربيعٍ مَرَّ يتلُوه ربيعٌ وفؤادِى فى خريفٍ راكدِ
هَامِدَ الإحساسِ جَاثٍ[4] بالضلوعِ فى حياةٍ ذاتِ نَمَطٍ واحدِ

* * *

وحُرِمْتُ الحِسَّ ، حتى بالألمِ ! والنَّدَى حتى بتسكابِ الدُّموعِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .

(٢) لم تشتف : لم يذهب غيظك من اشتفى من علته : برىء منها واشتفى من عدوه : بلغ ما يذهب غيظه منه .

والمراد : لم ترتو من حنينك حيث أن الشّافِه : العطشان .

(٣) يغيض : ينقص .

(٤) جاثٍ : من جثا يجثو : جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه .

والمراد : ذليلا قال تعالى ﴿ **ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهم حولَ جهنمَ جِثِيًّا** ﴾ .

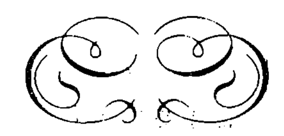
إيـه ماأقفرَ إحساسَ العَـــدَم والأمانِى راكداتٌ فى القَنُـو ع(٥)

* * *

هاتِ ياقلبُ من النبضِ القَوِى وتَفَتحْ كلَّ يومٍ عَن جديـدِ
لَم يَزَلْ فى جُعْبَةِ الكَوْنِ الغَنىِّ مَايُغَـــذِّيكَ بأحــلامِ الوُجُــودِ

* * *

وإذا لَم تستطعْ فاخلقْ حَيَاه ! من شُخوصِ الوهمِ أو طيفِ الأمانِى
ومن الحبِّ ، وماصاغتْ يَدَاه من جحيمٍ يتلظَّى أو جِنَانِ



---

(٥) قَنِعَ : رضى بما أُعطى ، وهو قَنِعٌ وقَنُوع .

البعث[1]

قد بُعثتُ اليومَ أحْيا مِنْ جَديدٍ ... فهو بَعْثٌ من حياةٍ خَامِدةْ
مَرَّ نِصفُ العُمرِ أو كادَ يزيدُ ... لهفَ نفسِي – فى حياةٍ رَاكدةْ
فِي حياةٍ لم أجدْ فيها حَيَاه !
بَلَغَ العُقْمُ بها أقْصَى مَدَاه
وتبدتْ بَلقعاً[2] مثلَ الفَلاه
ثم لاحتْ تَتراءى مِنْ بَعيدٍ ... شُعلةٌ مِن نارِ حُبٍّ وَاقِدةْ
تُلهبُ الحسَّ وتَسْتوحِي القصيدَ ... والأناشيدَ العِذابَ الخالدةْ
شاعرٌ قد صِيغَ من فيضِ الشعورِ ... مُلْهَمَ الفِطْرةِ منْهُومَ[3] النَّظَرْ
نَابضٌ بالعطفِ حساسُ الضميرِ ... يُدركُ الهَمْسَةَ تَسْرِى فى حَذَرْ
كيفَ يَحيا – وهو هَذا – فى عَمَاءْ
مُغْلَقَ الإحساسِ مَطْمُوسَ الرَّجَاءْ
مُقْفِرًا كالكهفِ مَحْجُوبَ الضِّياءْ ؟
هكذَا عِشْتُ كسكانِ القُبورِ ... فى ربيعِ العُمْرِ . فى العهدِ النَّضِرْ
آه لو أسْطِيعُ للماضِى الحسيرِ ... رَجْعَةً من بعدِ ماجَاء وَمَرْ !

* * *

كنتُ أُحييه كما يَحيا الشبابُ ! ... نابضاً بالحبِّ جَيَّاشَ الأمانِى
مُمْسِكًا أهدابَه[4] خوفَ الذَّهابِ ... مُستعِزًّا فيه حتى بالثوانِى !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .

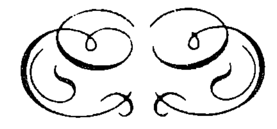
(٢) بَلْقَعاً : خاليا من كل شيء ، يقال : مكان بلقع .

(٣) مَنْهُومُ : أُولِعَ به من نُهِمَ بالشيء فهو منهومُ .

(٤) أهداب : مفردها هُدْبَةٌ : طرف الثوب الذى لم يُنْسَج .

ظَافـرًا أمـــرحُ فيـــه كالطيــورْ
حينما تشدُ بألحانِ البكـــــــورْ
بعدمـــا تَنْفحُهـــا ريـــحُ الزهــورْ

نصفُ عُمْرى قَدْ تَولّى فى اكْتئابِ فلأقضِ النصفَ نشوانَ الأغانِى !
هائماً أَلْهو بمعسولِ الرِّغَابِ[٥] أو أُغنِّى بالأمانىِّ الحِسانْ !



(٥) الرِّغاب : مفردها رغيب والرغيب : وادٍ كثير الأخذ للماء ، ويقال : رجلٌ رغيب : واسع الخطو ينهب الأرض نهباً والمراد : مايرغبه من آمال وأحلام كثيرة .

الشُّعَاعُ الخابِي(1)

لاحَ لى من جانبِ الأفُقِ شُعاعٌ بينما أخبِطُ فى داجى الظَّلامِ
فى صحارِى اليأسِ أسْرِى(2) فى ارتياع حيثُ تبدو مُوحِشاتٍ كالرِّجامِ (3)
حيثُ يَسْرِى الهولُ فيها واجما
ويطوفُ الرُّعب فيها حَائمَا
والفناءُ المحضُ يبدُو جاثما
وترىٰ الأشباحَ فى رأسِ التِّلاع(4) كالسِّعَالى(5)، أو كأشباحِ الحِمامِ(6)
فاغراتٍ تَتَشهىٰ. الابتلاعَ تنهشُ اللَّحم؛ وتَفْرِى فى العِظَامِ

* * *

فَتلفتُّ على الضوءِ يَلُوحُ مِثْلَما تَلْمَحُ عينُ السَّاهِرِ
أو كما تَهْمِسُ فى الأجداثِ رُوحٌ أو كمعنى شَارِدٍ فى الخاطِرِ
قد تلفتُّ بقلبٍ مُستَطارْ
شَفَّه(7) الذُّعْرُ وأضناه العِثَارْ(8)
طَالما رجَّى تَباشيرَ النهارْ
ثُم أزمعتُ إلى الأفقِ الصَّبُوحِ أرتجى فيه أمانَ الحائرِ
أصعَدُ الرابِىَ(9) وأهوىٰ فى السُّفوحِ وكأنى طيفُ جِنٍّ نَافِرِ

* * *

---

(1) نشرت فى ١٩٣٢ . (2) أسرِى : أسير ليلا .

(3) الرِّجام : من رَجَّمَ القبر : وضع عليه الرِّجام والرِّجام : شاهد القبر .

(4) التلاع : ماارتفع من الأرض . (5) السَّعْالَىٰ : مفردها السِّعْلَى : الغُولُ .

(6) الحِمام : الموت .

(7) شَفَّه : من شَفَّ أى نَحَلَ ودقَّ من همٍّ أو مرضٍ ويقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ .

(8) العِثار : الشَّرُّ أو السقوط (9) الرابى : الرابية والرابية ماارتفع من الأرض وعلا .

ثُم ماذا ؟ ثم قَدْ سَاد الحَلَكْ[١٠] فَجْأَةً والقَبَسُ الهادى خَبَا
ثم أحسستُ بدقاتِ الفَلَكْ لأهثاتٍ تَتراخَى تَعَبَا

رجفةُ الخائِف أضْنَاهُ العَياءْ
وهو يعدُو لاهثًا عَدوَ الطِّلاءْ[١١]
قبلما يَلْحقُها غُولُ الفَنَاءْ

وإذا قلبي خَفُوقٌ مُنْتَهكْ ليس يَدرى لخلاصٍ سَبَبَا
حولَه الظُّلْمةُ فى أيِّ سَلَكْ حيثُ ينسى الهارِبُون الهَرَبَا !

* * *

قلتُ ماذا ؟ قال لى رَجْعُ الصَّدىٰ إيه ماذا ؟! قلتُ للوهمِ عَلامَا ؟!
قال لى اخشعْ أنت فى وادِى الرَّدىٰ حيث يَطوِى الضَّوءَ طُرًّا[١٢] والظَلامَا !

ها هنا تُثوى الأمانِى ؛ هَا هُنا
فى مَهاوِى اليأسِ فى كَهْفِ الفَنَا
كلُّ شىءٍ هالِكٌ ، حتى أنَا !

ثم ضَاعَ الصوتُ يَفْنَى بَدَدَا وتَلاشَى تاركًا منه النَمامَا[١٣]
وإذا بِى عُدْتُ أسْرِى مُفْرداً لأرى شيئاً ، ولا أدْرِى إلامَا !

---

(١٠) الحلك : شدة السواد .

(١١) الطِّلاء : مفردها الطَّلا ، والطَّلا : ولد الظبية .

(١٢) طُرًّا : من طَرَّ أى كان طريداً ذا رُواءٍ وجمال .

(١٣) النماما : نهاية الصدى قبل تلاشيه [فنائه] .

فى الصحراء[1]

فى ليلةٍ من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدةِ الهواء ؛ المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد[2] ـــ كانت تَتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينها نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !

* * *

الصغيرة :

مالنـا فى ذلك القفـرِ هُنـا مَابَرحنا منذ حين شَاخِصَاتْ ؟
كلُّ شيءٍ صامتٌ مِن حَوْلنا وأرانـا نحن أيضاً صَامتـاتْ !؟
تطلُـــعُ الشمسُ علينـــا وتغــــيبْ
ويطـلُّ الليـلُ كالشيـــخِ الكئــــيبْ
والنجـومُ الزُّهْــرُ تغــدُوَ وتَئُـــوبْ
وهجيرٌ وأصيلٌ ... وطلوعٌ وأفولٌ ...ثم نَبقَى فِى ذهولٍ
سَاهِماتْ !

* * *

أفـلا تدريـنَ ياأُخْتـى الكـبيرةُ ماالذى أطْلَعَنا بينَ اليبـابْ ؟
أيُّما إِثْـمٍ جنيْنـا أو جريـرةٍ سَلَكَتْنا فى تجاويفِ العذابْ ؟
قد سئِمت اللّبْثَ فى هذا المكـانْ
لَبثَةَ المَصْلُوبِ فى صُلْبِ الزمـانْ
أفمــا آن لتبديـــلٍ .... أوان ؟

---

(١) نشرت ١٩٣٢ .

(٢) الأبيد : الموحش .

حدثينى لِم نَشْقَىٰ ... ؟ حَدثينى كم سَنَلْقَىٰ ؟... حدثينى كم سَنَبْقَىٰ ؟
واقفاتْ ؟

* * *

الكبيرة :

أنا يا أُختاه : لأدرِى الجوابَ ودَفِينُ السِّرِ لم يُكْشَفْ لَنا
منذ ما أطلعتُ فى هذا الخرابِ وأنـا أسأل : ماشَأنِى هُنـا ؟
فيجيبُ الصمتُ حولى بالسُّكُونْ !
وأنـا أخبِـطُ فِى وادِى الظنـونْ
لستُ أدرىَ حِكْمةَ الدَّهرِ الضنينْ(٣)
غير أنّا حائراتٌ ... والليالى العابثاتُ ... تتجنّى ساخراتٍ
لاهياتْ !

* * *

رُبَّمـا كُنّـا أسيراتِ القَـدَرِ تَسْخَـرُ الأيـامُ مِنّـا واللّيالِـى !
تَضرِبُ الأمثـالُ فينَـا والعِبَـرَ وإذا نشكُـو أذاهـا لا تُبَالِـى !
رُبما كُنـا مَساجِيـرَ الزَمـنْ !
قد مُسِخْنَا هكـذا بين القُنَـنْ(٤)
فى ارتقابِ الساحرِ المُحْيى الفَطِنْ !

فإذا كان يعود ... فكّ هاتيك القيود ... فرجعنا للوجودِ
ظَافراتْ !

* * *

أو ترانا نَسْلَ أربابٍ قُدَامىٰ قد جَفَاهـا وتَولّى العابـدُون !
جَفَّتْ الكأسُ لديها ، والنَّدامىٰ غادروا ندوتَهـا تَنْعِى القـرُون
أو ترانا مَسْخَ شيطانٍ رجيمْ !
صَاغَنا فى ذلك القفرِ الغَشُومْ !

---

(٣) الضنين : البخيل : الشحيح .
(٤) القنن : مفردها قُنّة : وهى أعلى الشيء .

وتولّى هارباً خوفَ الرُّجُومْ ![5]

فبقينا فى العَراءِ ... يجتوينا[6] كلُّ راءٍ ... وسَنَبْقَى فى جَفاءٍ

شارداتْ

* * *

لستُ أدرِى ، كلُّ شيءٍ قد يكونُ   فَتَلَقّي كلَّ شيءٍ فى سُكُونْ

وإذا ما غَالنا غُولُ المَنـونِ   فهنـا يَغْمُرُنـا فيضُ اليقيـنْ !

* * *

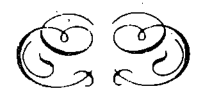
ثم سَادَ الصمتُ كالطيـفِ الحزيـــنْ

وتَسَمَّـــعْتُ لأقـــدامِ السنيـــــنْ

وهـى تَخْطُـو خَطْـوةَ الشيـخِ الرزيـنْ

هامساتٍ فى الرمالِ ... مُنشِداتٍ فى جلالِ ... كلُّ شيءٍ للزوالِ

والشتاتْ



(٥) الرُّجُوم : القتل بالحجارة من الرَّجم .

(٦) يجتوينا : يكرهنا من اجتوى : كره .

بين الظلال[1]

ياذكْرَيـــاتى البعيـــــدةَ في عالــــمِ الأشبـــــاحِ
يا أُمنياتِـــى الشَّريـــــدةَ فى عالــــــمِ الأرواحِ
إلىّ قبلَ الصباحِ

إلــــــىّ مِنْ كلِّ صــوبٍ فى عُزلَتـــى وانفـــــرادِى
فَهينمِـــــى[2] حولَ قلبـــى ورَفْـــــــرِفى فى فؤادِى
فأنت وَحْيِى وزَادِى

غَفـــلْت يا ذِكْرِيـــاتى عن وحـــيكِ القُــــدْسِىِّ
بين اصطخـــابِ[3] الحيــــاةِ بكــــلِّ صوتٍ دَوِىِّ
وكلِّ جَارٍ[4] قوِىٍّ !

سهـــوتِ ياأُمنياتِـــى عن النِّـــداءِ الخفِـــىِّ
إلى مَراقِـــى الحيــــاةِ إلى الخلـــودِ النَّقِـــىِّ
بحاضرٍ مَأْتِىٍّ ![5]

يا ذكريـــاتى البعيـــدةَ فى عالـــمِ الأشبـــاحِ
ياأُمنياتِــــى الشريـــــدةَ فى عالــــــمِ الأرواحِ
إلىّ قَبلَ الصَّبَاحِ

* * *

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الهينمة : الصوت الخافت .
(٣) الاصطخاب : الصياح والتضارب .
(٤) الجأر : الضخم (من الرجال) .
(٥) مَأْتِى : آتٍ من يَأتى .

الليــلُ أرْخَــى سُتُــورَه فى هُدْأةٍ كالخُلــــودِ
والبـــــدرُ أرْسَلَ نورَه كَبَسْمَــــةٍ من وَليــدِ
راضِى المُحيًّا سعيدِ

وخَفَـقَ الكــونُ خفقــاً قد ضَرَّمتْــهُ[٦] الليالِــى
وعــادَ يَهْـمِسُ رِفْقــاً بذكرياتِــى الخَــوالى
وأمنياتِى الغَوَالِى

وجــــدتُ نَفْسى وكانتْ ضَاعَتْ ضَيــاعَ الإيــاسِ[٧]
ورُضْتُ نفسِى فَلانتْ من بَعْـدِ طولِ الشِّمــاسِ ؟[٨]
وبَعْدِ صعبِ المِراسِ

ورفـــرفتْ ذكريـــاتٌ أثَــرنَ قَلْبــى حنينَــا
ونضَّرَتْ أمنيـــــاتٌ ذَبُلْــنَ كالزهــرِ حِينــا
فيالصنعِ السنينَا

ياذكريــاتى البعيــدةَ فى عالــمِ الأشبــاحِ
يا أمنيــاتى الشريــدةَ فى عالـــــمِ الأرواحِ

إلىّ قبلَ الصباحِ
فالفجرُ فى الكونِ لاَحَ
والصبحُ يُذْكِى الصياحَ

فأقبِلـــى فى انفــرادِى ورفرِفـــى فى فؤادِى

---

(٦) ضَرَّمته : بالغت فى إشعال النيران . (٧) الإياس : المراد فاقد الأمل نهائيا .
(٨) الشِّمَاسُ : الإباء : الرفض اعتزازا بالنفس .
(٩) المِرَاس : يقال : فلان ذو مِرَاس : جَلَد وقوة وممارسة للأمور .

الإنسانُ الأخير[1]

صَحَا ذاتَ يومٍ حينَ تَصْحُو البَواكِرُ   وتستيقظُ الدُّنيا وتَجلُو الدَّياجِرُ[2]
ويُشْرِقُ وجهُ الصُّبحِ فى غمرةِ الدُّجَىٰ   كما تشرقُ الآمالُ واليأسُ غَامِرُ
وتضطربُ الأنفاسُ خَفّضَها الكَرىٰ   وتخفقُ أرواحٌ وتَذْكُو مَشَاعِرُ
وحينَ يعِجُ[3] الكونُ بالصوتِ والصَّدىٰ   وبالكدحِ تُزجيه المُنى والمخاطرُ
وبالصرخةِ الهوجاءِ والضحكةِ التى   يَضِجُّ بها الأحياءُ ، والدَّهرُ سَاخِرُ

ولكنّه لم يُلْفِ بالكونِ نَأْمَةً[4]   تَنِمُّ[5] على حيٍّ ، ولم يَهْفُ[6] خَاطِرُ
ففى نفسِه ما يُشبِه الموتَ سَكْرَةً   ومن حولِه موتٌ نَمتْه المقابرُ
جَلالٌ كأنَّ اللهَ أطلَعَ وَجهَه   عليه ؛ فقرّتْ فى النفوسِ الضمائرُ
وصَمْتٌ فما فى الكونِ صوتٌ ولا صَدَىٰ   ولَا خَفْقَةٌ يُحْيِى بها الكَوْنَ شاعرُ
فأدرِكَ فى أعماقِه عَن بَديهةٍ   نهايةَ ما صَارتْ إليه المصائرُ

* * *

وما هَمَّ بالتنقيبِ عن أىِّ صاحبٍ   ففى نفسِه يأسٌ من النفسِ صادرُ
ولكنه ألْقَىٰ بها عَبْرَ نظرةٍ   على الكونِ والأيامِ وهى دوائرُ

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الدَّيْجُور : الظلام والجمع : دياجر .
(٣) عَجَّ يعِجُّ : رفع صوته وصاح . يقال : عجّ إلى الله بالدعاء .
(٤) نأمة : الصوت الضعيف الخفى أيًّا كان .
(٥) تَنِمُّ : تظهر والمراد تدلّ .
(٦) لم يهفُ : هَفَا يهفو : حنّتْ واشتاقتْ أو طربت ؛ هفا القلبُ : خَفَقَ .

رُكامٌ[٧] وأشلاءٌ[٨] وأطلالُ[٩] نعمةٍ وبؤسٌ ، وشَتّى ما حوَته الأداهرُ
وفى نفسِه من مثلِها كُلُّ ذَرَّةٍ فهاتيك أشلاءٌ وهَذِى خواطرُ
تَجَمَّعَ فيها ما تَفَرَّقَ فى الوَرَى وما ضَمِنَتْ تلك السُّنونُ الغوابرُ
خلاصةُ أعمارٍ وشتّى تجاربٍ ومجمعُ أشواقٍ بها الكونُ حَائِرُ

* * *

وأوغَلَ فى إطْراقةٍ مِلْؤُها الأسى فمرّت عليه الذكرياتُ العَوابرُ
تَحثُّ خُطاها مَوْكِباً إثرَ مَوْكِبٍ وقد جاورتْ فيها المآسِى البَشَائرُ
وأقبلتْ الآمالُ واليأسُ حَولها تُمزِّقُها أنيابُه والأظَافرُ
وجمّع فيها الخيرَ والشرَّ رابطٌ من النفسِ مشدودٌ إليها مُخَامِرُ[١٠]
وشَتّى عباداتٍ وشتّى عقائدٍ يُؤلِّفُها الإيمانُ وهى نَوافِرُ
وفيها من المجهولِ سرٌّ وروعةٌ ورغبةُ محرومٍ وخوفٌ مُساوِرُ[١١]
وقد كانَ فى المجهولِ مَطْمَحَ كاشِفٍ تُحَجِّبُه عن طالبيه السَّتائرُ
فياليتَه يَدْرِى بما خَلْفَ سِتْرِهِ فيختم[١٢] سِفْرَ الناسِ فى الأرض ظَافِرُ !

* * *

وعادتْ له الآمالُ إذ جدّ مَطْمَحٌ يُرَجّى ، وأذْكاه الخيالُ المغامرُ
لعلَ وراءَ الكونِ مِفْتَاحُ لُغْزِه وطلسم ما ضُمَّتْ عليه السَّرَائِرُ
وما هى إلا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَى ويخلعُ هذا الجسم والجسمُ جَائِرُ
ولولا مواثيقُ الحياةِ تَشدُّه إليها لأمضى عَزْمَهُ وهو صَابِرٌ .
وخلَّف هذا الجسمَ للموتِ والبِلَى وأشرقَ رُوحاً حَيثُ تَصفُو البصائرُ
وعَاودَه حبُّ الحياةِ لِذاتِها وقد أجْفَلتْ تلك النَوازِى[١٣] الكوافِرُ

---

(٧) الرُّكامُ : ماجتمع من الأشياء وتراكم بعضه فوق بعض .
(٨) أشلاء : مفردها شِلْوٌ : أجزاء الميت الذى بَلِىَ .
(٩) أطلال : مابقى من آثار الديار .
(١٠) مخامر : خَامَرَ الشىء : مارسه وخالطه وخامر المكان : لزمه وأقام به .
(١١) مساور : واثب ثائر ، يقال : ساورته الهموم والهواجس والأفكار : صارعته .
(١٢) سِفْرَ الناس : كتاب الناس .
(١٣) النوازى : جمع نازية والنازية : الحِدة والنشاط .

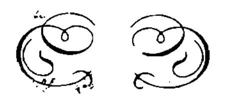
وهاجتْ به الأطماعُ حُبَّ امتلاكِها | له وحدَه والناسُ مَيْتٌ وداثِرُ(١٤)
فعادَ إلى الدُّنيا العريضةِ مالكاً | ولَا مَنْ يُلاحيه(١٥) ولا مَن يُشاطرُ(١٦) !
ولكنّه لم يستطبْ مُلْكَه الذى | تمحَّضَ لا يسعىٰ به أو يغامرُ
وما فيه من كدٍّ ولا من تسابق | ولا سابقٌ فى الكادحين وقاصرُ
وكيفَ يطيبُ العيشُ إلا تزاحماً | فيرْبَحَ مجدودٌ ؛ ويَخسرَ عَاثِرٌ ؟!

* * *

هنا لك دوّتْ فى السماكين(١٧) صيحةٌ | دعاءٌ لعزرائيلَ والكونُ سَادِرُ(١٨)
« بَرِمْتُ بهذا الكونِ هَمدانَ مُوحِشاً | بَرِمْتُ بِمُلكٍ ربُّه(١٩) فيه خاسر »
« فهيا إِذنْ للموتِ أرْوحُ رِحلةٍ | لِتُكْشَفَ أسْتَارٌ ويَهدَأ ثَائرُ »

* *

وفيما يُعانى سَكْرةَ الموتِ هَينَمتْ(٢٠) | إلى مَسْمَعيه هاتفاتٌ سواحِرُ
« هو السِّرُّ أن تهفو إلى السِّرِ لهفةٌ | وأن تَشْتَرُوا الآتى بِما هُو حَاضِرُ » !



(١٤) داثر : من دَثَرَ الشيء : قدُمَ ودَرَسَ والداثر أيضا : الغافل أو من لا يعبأ بالزينة ولا يستعمل الأدهان .
(١٥) يلاحيه : يقبحه ويلعنه .
(١٦) يشاطر : من شَطَرَ الرجل على قومه : أعيا قومه شرًّا وخبثاً .
(١٧) السماكين : نجمين نيرين ، والمراد فى السماء .
(١٨) السادر : من سَدَرَ : تحيّر بصره أو لم يهتم ولم يبال ماصنع فهو سادر .
(١٩) ربّه : صاحبه .
(٢٠) هينمت : من هَيْنَمَ : تكلّم وأخفى كلامَه .

إلى الشاطىء المجهول[1]

تَطِيفُ بنفسى وهى وَسنانةٌ[2] سَكْرَىٰ ... هواتفُ فى الأعماقِ سَاريةٌ تَتْرى[3]
هواتفُ قد حُجِّبْنَ ؛ يَسرِين خِفْيةً ... هوامسُ لَم يكشِفنَ فى لحظةٍ سِتْرا
ويَعْمُرنَ من نفسِى المجاهلَ والدُّجَىٰ ... ويُجَنِّبْنَ من نفسى المعالمَ والجَهْرَا
وفيهن مَنْ يُوحين للنفسِ بالرِّضا ... وفيهن مَن يُلْهِمْنَها السُخْطَ والنُكْرَا
ومن بينِ هَاتيك الهواتفِ مَا اسمُه ... حنينٌ ؛ ومِنهُنَّ التشوقُ والذِّكْرىٰ !
أَهَبْنَ بنفسِى فى خُفوتٍ ورَوعةٍ ... وسِرنَ بهمسٍ ، وهى مَأخُوذةٌ سَكْرَىٰ
سَواحِرُ تَقْفُوهُن[4] نفسى ولا ترى ... من الأمرِ إلا ما أردنَ لها أمرًا !
إلى الشاطىءِ المجهولِ ، والعَالَمِ الذى ... حَنِنتُ لِمرآه ؛ إلى الضِّفةِ الأُخرىٰ
إلى حيثُ لا تدرِى إلى حيثُ لا تَرىٰ ... معالمَ للأزمانِ والكَوْن تُستَقْرَا
إلى حيثُ « لا حيثُ » تُميزُ حدودَه ! ... إلى حيثُ تَنسى الناسَ والكونَ والدَّهرا
وتشعر أن (الجزءَ) و (الكلَّ) واحدٌ ... وتَمْزِجُ فى الحسِّ البداهةَ والفِكْرَا
فليس هُنا (أمسُ) ولَيس هنا (غدُ) ... ولا (اليومُ) فالأزمانُ كالحَلْقةِ الكُبْرىٰ
وليس هنا (غيرُ) وليس هنا (أنا) ... هُنا الوَحْدَةُ الكُبْرىٰ التى اِحْتجبتْ سِرًّا

* * *

خَلَعتُ قيودِى ؛ وانطلقتُ مُحَلِّقاً ... وبى نشوةُ الجبارِ يَستلهِمُ الظَّفرَا
أُهوِّمُ فى هذا الخلودِ وأرتقى ... وأسْلُك فى مَسْراهُ كالطيفِ إذ أسْرَىٰ
وأكشفُ فيه عَالماً بعدَ عالمٍ ... عجائبَ ما زالتْ ممنعةً بِكْرَا
لقد حَجَبَ العقلُ الذى نَستشيرُه ... حقائقَ جلَّتْ عن حقائقنا الصُّغْرىٰ
هُنا عَالَمُ الأرْوَاحِ فَلْنَخْلَعْ الحِجَا ! ... فَنَغْنَمَ فيه الخُلْدَ والحبَّ والسِّحْرَا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) وسنانة : أخذت فى النُعاس ؛ وهو مبدأ النوم .
(٣) تترى : متتابعة .
(٤) تقفوهن : تتبعهن .

السر[1]

أو

الشاعر فى وادى الموتى

اعتاد الشاعر أن يتردد كثيراً على وادى الموتى فى أوقات مختلفة ، أكثر ما تكونُ عند مغربِ الشمس ، وقبلَ طلوعها !

وهو يجد فى هذه الزيارات ، لذةً غريبةً ، كما يجد مجالاً لتأملاتٍ غيرِ محدودة ؛ ولكنها تُثيرُ فيه الشوقَ لمعاودتها كَرةً أخرى .

وفى مرةٍ منذ ستةِ أعوام ؛ أَرِقَ فى الهَزِيع[2] الثانى ، فجال بخاطره ، أن يلجأ إلى حِمى المَوتى ، مدفوعاً بشعورٍ غَامض ، لا يبالى وحشةَ مثل هذه الأماكن ، فى جُنْحِ[3] الليل المُدْلَهِم[4] !

وسار خطوات ، ولكنه أحس بالرهبة ؛ وساوره الوجل ، وشعر كأن أصواتا من وراء الحفائر تتناجى ، ثم تُوجه إليه الخطاب .

ليس للشعر يد فى هذا التصوير ؛ فهو الحقيقة التى أحسها ، كما يسمعُ الصوتَ ، وكما ينظر المرئياتِ .

وقد عاد صامتا واجماً[5] ؛ وبعد أن ذهب عنه الرَّوع[6] ، حاول أن يفسر عن طريق (الوعى والتأمل) ما دفعه لهذه الرحلة ، وما شعر به فى أعماق نفسه .

ولقد ظل يعجز عن ذلك ، كلما حاوله ؛ مدى ستة أعوام ، حتى استطاع فى هذا العام ، أن يترجم هذا الشعور شعرا ؛ بعد أن فقد كثيرا من روعته ، ووصل إلى الدرجة التى يستطاع عنها التعبير .

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الهزيع : الثلث أو الربع من الليل .

(٣) جُنْح الليل : ظلامه أو جزء منه .

(٤) الليل المدلهم : الشديد الظلمة .

(٥) واجماً : سَكَتَ فَزَعاً .

(٦) الروع : الخوف والفزع .

مَنِ الطـــارقُ السَّارِى خلالَ المقابـــرِ كخَفْقَةِ رُوحٍ فى الدُّجْنَاتِ(٧) عَابرُ ؟
مِنَ الوجلُ المذعورُ فى وحشةِ الدُّجَى تقلِّبُـه الأوهـامُ فى كلِّ خاطـــرِ ؟
ينقِّلُ فى تلك الدياجيرِ(٨) خَطْوه ويخطرُ فى هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحاذرِ ؟
وقد سَكَنَتْ مِنْ حَولِهِ كلُّ نَأْمَـةٍ(٩) سِوى قلبه الخفاقِ بينَ الدَّياجــرِ ؟
وغَشَّاه رَوعُ الموتِ ، والموتُ رَوعـــةٌ تَغْشَى ، فيعنُو(١٠) كلُّ نِكْسٍ وَقَادرِ ؟(١١)

* * *

« هو الشاعرُ الملهوفُ للحقِّ والهُدَى وللســرِّ لم يَكْشِفْــه ضَوءٌ لناظـــرِ !
تحيَّـــرَ فى سرِّ الحيــاةِ ومـــا اهتـــدى إليه ، ولَم يَقْنَعْ بتلكَ الظَّواهرِ
وسَاءلَ عنه الكونَ والكـــونَ حائِـــرٌ يسيرُ كَمغْصُوبٍ بأيدِى المقــادرِ !
وسَاءَلَ عنه الموتَ ، والموتُ سَادرٌ(١٢) وسَاءلَ عنه الشِّعرَ فى حَنَقٍ(١٣) ثَائرِ !»
وسَاءلَ عنه كلَّ شيءٍ ، فلــم يَفُــزْ بشيءٍ ولم يرجـــعْ بصَفْقَـــةِ ظَافـــرِ

* * *

أفى هذه الأجـــــــداثِ طِلْسمُ سِرِّه لعلَّ ! فمـــن يَدْرِى بسرِّ المقابـــرِ ؟
ألم يخلعْ الموتَى الأحابيلَ(١٤) كلَّها ؟ أحابيلَ أوهامِ الحياةِ الجَوائِـــرِ !(١٥)
ألم يتركُـــوا الدُّنيـــا الغَـــــرورَ لأهلِها ؟ويستوثِقُوا مما وراءَ المصائرِ ؟
ألا تهمسُ الأرواحُ بالسرِّ إنْ سَرَى إليها ؟ ، ألا تُهدِى اليقينَ لحائـــرِ ؟
أجلْ ! رُبَّما تُعْطِى الجوابَ لسائـلٍ ورُبَّمـــا تجلُـــو المصيـــرَ لشاعـــرِ !

* * *

وفيما يُناجِى فى حِمَى الصمتِ نَفْسه تَسمَّـــعَ هَمْساً من خلالِ الحَفائِـــرِ
« مَنِ الطـارقُ السَّارِى خلالَ المقابـــرِ فَأقلقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ(١٦) وسَاهرِ » ؟

---

(٧) الدُّجْنَات: الدُّجْنَةُ : السواد أو الظلمة الدُّجْنَةُ : الدُّجُنَّةُ .

(٨) الدياجير : مفردها دَيْجُور : الظلمة . (٩) نأمة : الصوت الهامس .

(١٠) يَعْنُو : يخضعُ ويَذِلُّ. (١١) نِكْسٌ : ضعيفٌ .

(١٢) سادر : غير مبال بشيء . (١٣) حَنِق يَحنَقُ حَنَقاً : اشتد غيظُه .

(١٤) الأحابيل : مفردها الأُحْبُولُ : والأُحْبُولَةُ : المصيدة ، والمراد : المظاهر الخادعة التى تقع فى الشَّرَك أو المصيدة .

(١٥) الجوائر : مفردها جائرة : من جَأَرَ : رفع صوته والمراد ماتخدعنا به الحياة من أوهام وخدع واضحة صارخة .

(١٦) غاف : من غفا يغفو : نام نوما خفيفاً .

« أما يَقْنَعُ الأحياءُ بالرَّحْبِ كلِّه ؟ أيا ويحَ للأحياءِ صَرْعَى المَظَاهرِ »
« تَركْنا لهم دُنْياهُمو ودِيارَهم ولم يَدَعُونا فى حِمى غيرِ عَامرِ »

* * *

وقالَ فتى مِنهم حديثٌ قُدومُه بنَغْمَةِ إشفاقٍ ، ونَبْرةِ سَاخِرِ !
« لعلّ الذى قَدْ دَبَّ فى ذَلك الحِمىٰ وأيقظَ فى أحْشَائِه كلَّ سَادِرِ »
« أخُو صَبْوةٍ ، يهفُو إلى قبرِ مَيِّتٍ لَهُ عنده وَجْدٌ وتَحنانُ ذَاكرِ »
« يقرِّبه منها التَّذَكُّرُ والهوىٰ وتُبْعِدُه عنها غِلاظُ السَّتائِرِ »
« ومَا أخْدعَ الحبَّ الذى فى ديارِهم ! يُغَشِّى عَلى أبصارِهم والبَصائرِ »
وقالتْ لَهم أمٌّ وفى صوتِها أسىً وَنبْرةُ تَحنانٍ ، وكِتْمانُ صَابرِ
« ألا رُبَّما كانتْ ثَكُولاً حَزِينةً على فَلْذةٍ مِنْ قَلبِها المُتَناثِرِ »
« ورُبَّما كانتْ عَجُوزاً تأَيَّمتْ(١٧) وضَاقتْ بِدَهْرٍ نَاضِبِ العَونِ غَادِرِ »

* * *

وقَدْ ذَهبُوا فى حَدْسِهم(١٨) كلَّ مَذْهبِ وفيما حَوَتْه نَفْسُه مِنْ مَشاعِرِ !
وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يدْوِى كأنّما هو الدهرُ فى صوتٍ من الرّوعِ ظَاهرِ
« مَنِ الطارقُ السَّارِى خلالَ المقابرِ فأقلقَ مِنَّا كلَّ غَافٍ وسَاهِرِ ! »

* * *

فقالَ أخو الأحياءِ ؛ والقلبُ خافِقٌ مِنَ الوَجَلِ الأخَّاذِ ، فى صَوْتٍ حاسِرِ
« أنا الحىُّ لمَّا يدرِ أسبابَ خَلْقِه أنا المُدْلِجُ(١٩)الحيرانُ بينَ الخواطِرِ »
« دلفتُ إلى وادِى المَنَايَا لَعلَّنى أفوزُ بسرٍّ فى حَنَاياه غَائرِ » ؟
« أما تَعلَمُون السرَّ فى خَلقِ عَالمٍ يَموتُ ويَحيَا بينَ حينٍ وآخرِ » ؟
« وَتكْنُفُه الأحداثُ من كلِّ جَانبٍ ويركبُ للغاياتِ شَتى المَخَاطِرِ » ؟
« وليس لَه من غايةٍ غيرَ أنَّه مَسُوقٌ إلى تحقيقِ رَغْبةِ قَاهرِ » !
« ضَنينٌ بما يَبغِيه ليس يُبيحُه لسَائِله عَمَّا وراءَ الظَّواهرِ »

---

(١٧) مات زوجها .
(١٨) حَدَسَ : ظنَّ وخمَّنَ .
(١٩) المدلج : من أَدْلَجَ القوم : ساروا آخر الليل أو ساروا الليل كله .

« وماذا لِقيتم بعـد ما قَدْ خَلَعْتُمـو قيودَ الليالى الخادعاتِ المَواكـرِ ؟
« وماذا وراءَ الغيبِ ؛ والغيبُ مُطبقٌ ؟ وهَـل يتجلّـى مرةً للنواظـرِ ؟ »
« سؤالُ أخى شوقٍ ، وقد طالَ شَوقُه وحيرتُه ، بينَ الشكـوكِ الكَوافـرِ »

* * *

أَرَيْتَ[٢٠] لو انَّ الهولَ صوّرَ منظـراً تُجلِّلُـه الأخطـارُ جَدَّ غوامـرِ ؟
كذلك سَادَ الصمتُ بين الحفائـرِ ورَانَ على أرواحِهـم والضَّمائـرِ
وأذْهَلَ هَاتيك النفـوسَ فَخـفَّضَتْ من البَهْرِ[٢١] والإعياءِ دقّاتِ طافـرِ ![٢٢]

* * *

وجَلْجَلَ صوتُ الشيخِ يَلْوِى كأنّـه يُحَـدِّثُ مِنْ كَوْنٍ قَصِيٍّ المَعَابـرِ !
« أيـا وَيْلهـا تلك الحيـاةَ وأهلَهـا تُكَشِّفُ عن بلوائِهـا كلَّ سَاتـرِ » !
« وتطلبُ أسبابَ الشَّقاء لنفسِها ! فتضربُ فى تيـهٍ من الشكِّ غامـرِ »
« وتسألُ عن « سرٍّ » وليستْ بحاجةٍ إلى السرِّ تَشْرِيه بأنْـفَسِ حَاضرِ » !
« لقد أغمضَ الموتُ الرحيمُ جفونَنَا وهَـدَأ فى أفكارِنـا كلُّ نَافـرِ »
« نسينـا سؤالاً ؛ لم يزلْ كلُّ كائـنٍ يردِّدُهُ حيرانَ فى حَزَرٍ[٢٣] حَازرِ
« نسيناه فارتحْنا من الحَيْرةِ التـى خسرْنـا بها الأعمـارَ جَدَّ نواضرِ »
« وها أنتَ ذا تُذْكِيه . يا لك جائـراً ويـا لكَ مخدوعـاً بسرِّ المَقَابـرِ » !
« وها نحـنُ وَدَّعنـا هدوءاً وهينـةً شرينَاهما بالعُمرِ ، يا للخسائـرِ » !
« أريْتَ لو انَّ الهولَ صوَّرَ مَنظـراً تجلِّلُـه الأخطـارُ جَدَّ غوامـرِ ؟
كذلك سَادَ الصمتُ بيـنَ الحفائـرِ ورانَ على أرواحِهـم والضمائـرِ
وأذهَلَ هَاتيك النفوسَ فخـفضتْ من البهرِ والإعيـاءِ دَقـاتِ طَافـرِ

* * *

---

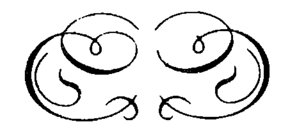
(٢٠) أريت لو ان : أرأيت لو أن .

(٢١) البَهْر : من بَهَرَه : أجهده حتى تتابعَ نَفَسُه . ويقال : بَهَرَه الأمر : أجهده وأتعبه .

(٢٢) طافر : من طَفَرَ الشيءَ : قفز من فوقِه وتخطّاه إلى ماوراءه ، والمراد : دقات طافر دقات القلب المذعور .

(٢٣) حَزَرٍ : تخمين وحَدْس .

وعَاد أخو الأحياءِ يعطُو[٢٤] بحسرةٍ ... ولهفــةِ محرومٍ ، وإعيــاءِ خَائــرِ
لقد كانَ فى المَوتىٰ وفى الموتِ مَأْمَلٌ ... يُعلله بالكشفِ عن كلِّ ضَامرِ[٢٥]
فألفىٰ سَرابـاً ثمَّ لا يَنْقَـعُ الصَّدَىٰ ... فوا ندمــاً عن بحثِــه المُتَواتــرِ !
فقد كان خيراً أن يعيشَ على المُنَىٰ ... ويأملَ بعــدَ الموتِ كَشْفَ السَّتائــرِ
ويالــيتَ هذا الموتَ يُسْرِعُ خَطــوهُ ... فيَطْوِى حَيــا عُمــرِه رِبْــحَ خَاسرِ !



(٢٤) يعطو : يسير ببطء .

(٢٥) ضامر : ماخفى فى القلوب

التجارب(١)

كثيرا ما يَبْرَمُ الإنسانُ بماضيه أو حاضره ، ويسخطُ على تجاربه ومصائبه !

وقد تصوَّر الشاعر شقياً أعفته الأقدارُ من ماضيه وتجاربه ، وأطلقته كأنما وُلد في لحظتِه ، ولكنه لم يستطبْ حالَه ، لأنه لم يجدْ رَكيزةً يَرْكنُ إليها ، ووَدَّ لو أن الأقدار وهبته ماضيا سعيدا ؛ فاستجابت له . ولكنه عاد يشعرُ بغربتهِ عن ذلك الماضى ، ولم تعدْ هناك قيمة لآمالِه ، التى خلقها ماضيه هو ، وارتبطت به ، وعندئذ عاد لماضيه فى لهفةٍ واشتياقٍ إليه .

* * *

شَكَا بُؤسَ ماضيه الحفيلِ(٢) الجوانب ... بكلِّ مُصابٍ فادحِ العِبْءِ صَائبِ !
وضَاق به صدرًا على طُولِ صُحْبَـةٍ ... تُملُّ ، ويَا بِئْسَ الأسَى من مُصاحِبِ !
وودّ لَو انَّ الدهرَ يُعْفِيه بُرهةً ... من الغَابرِ المملولِ جَمِّ النَّوائبِ
فأصْغَتْ له الأقدارُ فى أُمْنياتِه ... على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطالبِ
وأعْفَتْه من ماضِيه حتى كأنَّه ... وليدٌ خَلِيُّ القلبِ من كلِّ نَائبِ !

* * *

نَضَا(٣) عَنْه أعْبَاءَ السِّنينَ الغَوارِبِ ... ونَحَّى عن الآمالِ قيدَ التجاربِ
وعَـادَ طَليقـاً لا يُعـوِّقُ خَطْـوَه ... مَرَّاسٌ(٤) ؛ ولا يَثْنِيه خَوفُ العَـواقِبِ
وخُفِّضَ صوتُ الذكرياتِ أو امَّحـى ... وجَلْجَلَ كالنَّاقوسِ صَوتُ الرَّغَـائبِ

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الحفيل : الكثير .
(٣) نَضَا الشيءَ : نَزَعَه وألْقاه .
(٤) من مَرِسَ يَمْرَس : كان شديدا فى معالجة الأشياء فهو مَرِسٌ والجمع أمْرَاسٌ ، مَرَّاسٌ أى ذُو الشِّدةِ العظيمةِ .

وآضٍ[٥] وليدُ اليومِ فى مَيْعةِ[٦] الصِّبا ... جديداً بدنياه ؛ جديدَ المطالبِ
بعيداً عن الماضِى الذى آدَهُ[٧] الأسى ... وحَفَّتْ به الأحداثُ من كلِّ جَانبِ

* * *

ولكنّه ألْفَاه أسْوانَ[٨] مُوحشاً ... كما أُفْرِدَ الإنْسِىُّ من كلِّ صَاحبِ
وألفَاه فى هذى الحياةِ كأنّه ... غريبٌ عَرا[٩] ، فى عَالمٍ مِنْ غرائبِ
وألفاه مقصوصَ الجَناحِ إذا هَفَا ... إلى الأوجِ[١٠] لم يُسْعِفه عزمُ المُغالبِ[١١]
وإنْ هَمَّ لم يُبْصِرْ لَه من ركيزةٍ ... تَضَاعَفُ عندَ الوَثْبِ جَهدَ المُواثِبِ[١٢]
وقَدْ أبْصَرَ الآمالَ عَرْجَاء لم تجِدْ ... لها سَنَداً من ذِكْرَياتٍ ذَواهبِ[١٣]
فعادَ إلى الأقدارِ يشكُو صَنيعَها ... ويُوسِعُها فى شَكْوِه عَتْبَ عَاتبِ !
أما يستطيعُ الدَّهرُ ـــ لو شَاء نَصفَةً ... له ـــ عوضاً من غابرٍ مِنه خَائبِ
بماضٍ سعيدٍ لم يَشُبْ[١٤] صَفوَه الأسَى ! ... فيحيا على رُكْنَيْنِ : آتٍ وذَاهبِ !

* * *

فَأصْغَتْ له الأقْدارُ فى أُمنياتِه ... على أنها لم تُصْغِ يوماً لِطَالبِ !
وأعطتْه أنْقَى صفحةٍ فى كِتَابها ... لِأسْعدِ مَخْلوقٍ وأهنَأ رَاغبِ !

* * *

ولكنه ألفاه لم يغدُ مالكاً ... لِما مَنَحَتْه مِنْ عَزِيزِ المَواهبِ
وألفاه لم يكْشِفْ خَبيئةَ نفسِه ... لذيالك[١٥] الماضِى الذى لَمْ يُصَاحِبِ !

---

(٥) آضَ الشيءُ كذا : تحوّل إليه ؛ آض الثلجُ ماءً .
(٦) مَيْعَة : مَيْعَة الشيء : أوله .
(٧) آداه : من آدَىٰ فلانٌ إيداءً : قوى ، وآدىٰ فلانا على كذا : قوّاه وأعانه .
(٨) أسوان : حزين .
(٩) عَرَا : من العُرْى ، والمراد : أنه وجد نفسه غريبا أو عاريا من كل فضيلة .
(١٠) الأوج : قمةَ العمل .
(١١) يزيد فى القوة أن يشعر الإنسانُ أنه يغالب ، فإذا لم يجد مايغالبه لم يكن هناك مايثير عزيمته .
(١٢) « محور الارتكاز » يساعد « القوة » فى عالم المادة وهو هنا الماضى الذى يتكىء عليه .
(١٣) الآمال والذكريات ركنا الحاضر ، فإذا ذهبت الذكريات بقيت الآمال عرجاء .
(١٤) لم يُشِبْ : من شَابَ يشوب : يخلط .
(١٥) لذلك .

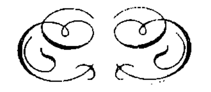
وأبْصرَ بالآمالِ حَيرىٰ كأنما تَساءَلُ عن دَاعٍ لها جَدٍّ دَائبِ
دَعَاهـا فلمَّـا أقْبـلَتْ من سَمائِهـا رأتْ غيرَه فى غَفْلةٍ غيرَ رَاقبِ(١٦)
ومـا الأمـلُ « البسَّـامُ » إلاّ رغيبـةٌ لنفسٍ ترىٰ مِنْ دَهْرِها وَجْهَ « غاضِبِ »

* * *

فَعَادَ إلى الأقْدَارِ يَطْلُبُ عَوْنَهـا على رَجْعِ مَاضيه بِحَسْرَةِ تَائبِ !
أجَلْ عادَ مَلْهُوفاً لِمُرِّ التجارب وأيامِه الأولى الظِّمـاءِ السَّواغِبِ(١٧)
أجَلْ ذلك الماضِى الذى هُو بِضْعَةٌ من النفسِ دُسَّتْ فى الحَشا والترائبِ(١٨)

* * *

فأصغتْ له الأقـدارُ فى أمنياتِـه على أنَّها لَم تُصْغِ يومـاً لطـالبِ !
وعَـادَ إلى دُنْيـاه مِنْ بَعْـدِ غُربـةٍ وألـقتْ عَصَاهـا واستقَـرّتْ بآيبِ



(١٦) دعاها الماضى الشقى وأقبلت فوجدت الماضى السعيد غير ملتفت لها .
(١٧) السواغب : مفردها ساغبة : جائعة متعبة .
(١٨) الترائب : عظام الصدر موضع القلادة والمراد دُست فى القلب والصدر .

خبيئة نفسي[1]

خبيئةَ نفسي ؛ قد غفَا الكونُ فاسفِري[2]
وكوني سَميري ، بعد أنْ نامَ سُمَّرِي

سَهَا الدهرُ والأقدارُ رنَّقَها[3] الكَرَىٰ
وهوَّم في جوفِ الدُّجَى رُوحُ خيِّرِ

يُطيفُ على العَانين بالعطفِ والرِّضا
ويغمرُ بالإغفاءِ رأسُ المفكرِ

وينتظمُ الدنيا هدوءاً كأنها
عوالمُ في وادِي المُنى لم تُصوَّرِ

فلا صوْتَ إلا خَفْقةٌ من جوانحٍ
كما خفقتْ للضوءِ عينُ المُصوِّرِ

ولَمْ يَبْقَ من تلك الحياةِ وأهلِها
سوى طيفِها السَّارِي بوادِي التَّذَكُّرِ

* * *

خبيئةَ نفسي مِن عهودٍ سحيقةٍ
ومن جَوفِ آبادٍ مضتْ قبلَ مَولِدِي !

أُحِسُّكِ في أغوارِ نفسي ولَا أرَىٰ
مُحيَّاكِ إلا كالخيالِ المُشرَّدِ

علمتُكِ حتى أنتِ مِنِّي بُضْعةٌ
جهلتكِ حتى أنتِ في غيرِ مَشْهدِ[4]

وياطَالما أخلفتِ لي كلَّ مَوْعدٍ
وياطالما ألقاكِ في غيرِ مَوْعِدِ !

عجبتُ فكمْ مِنْ نفرةٍ تَنْفُرِينها
على فَرْطِ ماتُبْدِينه من تودُّدِ !

حديثُكِ من نفسِي قريبٌ ؛ وإنما
إخالُكِ في وادٍ من التِّيهِ سَرْمَدِ[5]

* * *

خبيئةَ نفسي ، ماترى أنتِ ؟ إنني
أريدُكِ في جوٍّ من الضوءِ مَعلَمِ

أعنصرُكِ الإيمانُ والطُّهرُ أصلُه
وإلا إلى الكفرانِ والرِّجسِ مُنْتَمِ ؟

وفي أي وادٍ أنْتِ تسرين خِلْسةً ؟
ومن أي عهدٍ في الجهالاتِ مُبْهَمِ ؟

وكم فيك من نصرٍ ، وكم مِنْ هَزيمةٍ
تَجاورتَا في حَشْدِكِ المتزَحِّمِ

---

(١) نشرت في ١٩٣٤ .

(٢) سَفَر يَسْفِر سُفُورا : وضح وانكشف .

(٣) رنّقها : من رنّق الماء : كَدَّره .

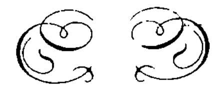
(٤) مشهد : اسم مكان من شهد بمعنى رأى .

(٥) السرمد : الدائم الذى لاينقطع .

وكم فيكِ من يأسٍ ؛ وكم فيكِ مأمـــــلُ وكم من تردٍّ ، أو وثـــوبِ تَقَحُّـــمِ
وكم فيك من حُبٍّ ، وكم فيك بغضةٌ ومـــنْ رُشْدِ إلهامٍ ، إلى خَبْـطِ مُظْلِـمِ

* * *

خبيئـةَ نفسى فى ثنايـــاكِ مَعْـــرِضٌ لما لَقِيَتْـــهُ الأرضُ فى الجَـــوَلاَنِ
وفـــيك من الآبادِ[6] سرٌّ وروعـــةٌ وفـــيك صِراعـــاتٌ بكـــلِّ زمـــانِ
وفيكِ الْتقى الإنسانُ من عهـدِ خَلْقِــهِ وفـــيك الْتَقَـــى الرُّوحـــيُّ والحَيوانِـــى
وإنكِ طَلْسمُ الحياةِ جميعِهـا وصورتُها الصُّغرى بكـلِّ مكـانِ[7]
أبينِى إذنْ عن ذلك العالم الذى تضمَّنتِـهِ من صُورةٍ ومَعَـــانِ
أبينِى أُطَالِعْ فى ثناياكِ مَا مَضَى وما هُو آتٍ مِنْ رُؤىً وأمَانِ



(٦) الأبد : الدهر ، والجمع الآباد .

(٧) منظور فى هذا البيت لقول العقاد .

تماثيـــل مصر أنت صورتها الصغـــرى وطلسمهـــا الواقى وآيتها الـــكبرى

الخطيئة[1]

مِنْ خِلال الظَّلماءِ[2] فى بَهْمَةِ اللَّيلِ[3] | تَمَشَّتْ كالحيَّـةِ الرَّقْطـاءِ[4]
تُوقظُ الجِسْمَ والغريزةَ بالْهَمْسِ | وتَطغَى على الحِجَا[5] والذكَاءِ
وَهْىَ من خشيةِ الضَّميرِ تَوارَى | فى زَوايا الميـولِ والأهـواءِ
فإذا شَعَّ مِنْ سَنَاهُ شعـاعٌ | أَرْجَفَتْ[6] منه ، وانزوتْ فى التواءِ
وإذا خيَّـم الظَّـلامُ تراءَتْ | فى احتراسٍ من أعينِ الرُّقَباءِ !

* * *

لحظـةٌ تلك ثم خَيَّـم صمتٌ | وظَـلامٌ ؛ فمـا تَرَى مِنْ ضِيَـاءِ
فمضتْ تُضرِمُ[7] الغريـزةَ ناراً | وتُثيـرُ الشُّواظَ بين الدِّمـاءِ
البِـدارِ[8] البـدارِ ياأيها الْـجِسْـمُ ، شِفـاءً من الطَّـوى والظَّمـاءِ ![9]

* * *

وتـوارى « الإنسانُ » حين تبـدَّى | « حيـوانٌ » ذو شِرَّةٍ نَكْـرَاءِ
وإذا بالخطيئَـةِ السَّوْءِ نَشْوَى | بانـتصارٍ ، نالتْـهُ فى الظَّلْمَـاءِ !

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٣٥ .

(٢) كل مافى القصيدة من ألفاظ الظلام والليل يقصد بها الظلام المعنوى المضاد لضوء الفكر وسنا الضمير ، اللذين تهرب منهما الخطيئة .

(٣) بهمة : الليلة التى لايطلع فيها القمر .

(٤) الرقطاء : من الرُّقْطَة : لون مؤلف من بياض وسواد أو من حُمرة وصُفرة .

(٥) الحِجا : العقل (الفطنة والإدراك) .

(٦) أرجفت : اضطربت .

(٧) تُضرِم : تُشعِل .

(٨) البِدار : الإسراع .

(٩) الطوى والظماء : الجوع والتعطش .

القطيع[1]

لَظىٰ الشمسِ ؟ أم فَوَّارةٌ من جهنمِ تَسيلُ شَظَاياها ، وتنضَحُ بالدَّمِ
هو القيظُ قد فارتْ ينابيعُ وَقْدِه وفاضتْ على الأرضين فى كلِّ مَجْثَمِ
وضَاقَ رُواقُ الظِّلِّ عنها وأرسلتْ من الشمس أرسالٌ[2] إلى كلِّ مُبْهَمِ
فمالَ إلى الرَّاعى الشَّطوطِ[3] قطيعُه يَبثُّ رجاءً فى ثُغَاءٍ مُتَمْتِمِ
ونَاجَاه ، ويحَ الظلِّ إنْ نحن لم نَمِلْ إليه ، ويابُؤْسَاه سعياً لِمَغْنَمِ !
عَيينا بهذا الضَّرْبِ فى كلِّ حَرَّةٍ[4] وراءَ ذَمَاءٍ[5] من شَرابٍ ومَطْعَمِ
وماأنتَ — لو تدرى — برابحِ صَفْقَةٍ ولانحن ؛ إنَّا كَلَّنَا ذلك العَمِى !
نسيرُ بصحراءِ الحياةِ ، ولانَرىٰ سِوى ظِلِّنا ، يَطْغَىٰ على كلِّ مَعْلَمِ
يُسَخِّرُنا مَنْ لانراه ، لغايةٍ يَراها ، ولم نُؤْذَنْ بها أو نُفَهَّمِ !
فياأيُّها الرَّاعِى هدوءًا وهَيْنَةً إلى الظلِّ نَرْتَعْ لحظةً أو نُهوِّمِ[6]
فمالَ به الرَّاعى إلىٰ ظلِّ دَوْحةٍ ظليلٍ ، وعُشْبٍ نابتٍ قُرْبَ جَدْولِ

* * *

تَنَاهَى إليها الطيرُ من وَقْدةِ اللَّظىٰ وتَابَ إليها الظِّلُّ فى غير مَعْجَلِ
وأَلْقَىٰ عصاه ، ثُمَّ أَلْقَى بجسمِه وقد ضَافَه بالأَيْنِ[7] طولُ التنقلِ

---

(١) نشرت فى يونيه ١٩٣٥ .

(٢) أرسال : جمع مفرده الرَّسَل : القطيع من الإبل والغنم أو الجماعة من الناس .
أَرْسَلَتْ : انطلقت دون قيد .

(٣) الشطوط : البعيد .

(٤) الحَرَّة : أرض ذات حجارة سُود كأنها أحْرِقت

(٥) ذَماء : البقية ، بقية الروح فى المذبوح .

(٦) الهَوْمُ : النوم الخفيف .

(٧) الأين : الإعياء والتعب .

ورَاغَ إلى الماء القطيـعُ كأنما تَدَهْدَهَ[7] جَرفٌ من نَطيحٍ مُزَلْزَلِ
يَعُبُّ ويَستسقى بشوقٍ ولهفـةٍ ويُفْعَمُ ريَّـا من مُعـلٍّ ومَنْهلِ
فلما ارْتوى آوى إلى الظلِّ مُجهداً وقد خلَّ[8] فى أعضائه كلُّ مَفصِلِ
فنامَ على الأعشابِ ، مَاإنْ تُرىٰ له رءوسٌ ، فقد دُسَّتْ بأحناءِ مَدْخَلِ
توحَّدَ جسمُ الشَّاءِ كالزَّرَدِ[9] التقتْ مَدَاخِلُه ، وانْسَابَ جَمَّ التَسَلْسُلِ
كأنَّ شاءَ ذياك القطيعِ تَوَحُّداً فأغفلَ ذاك الرأسَ رمزَ التعقلِ
وياطالما قد فَرَّق الناسَ رَأْسُهم ومايَقتضيه من طِمـاحٍ ومَأْمَـلِ

* * *

وطافتْ على الراعى رُؤىً عَسْجَديةٌ وجالتْ به الأحلامُ كلَّ مَجالِ
لقد هبطَ الوادى فَأَلْفَاه جنةً بما فيه من خَفْضٍ وهَدْأةٍ بَالِ
وماءٍ غزيرِ النبعِ سَلْسَالِ مَنْهلٍ يَحُفُّ به عُشبٌ وفيضُ ظِلالِ
ويَاحَبذا نَفْـحُ النَّسِيـمِ وطِيبُـه ورَيَّـاه من رِفْـقٍ به وبِـلالِ
أَلاَ إنـه هذا النعيـمُ ، وإنها هى الجنةُ الفَيْحاء خلقُ خَيالِ !
وقد غادرَ الوادى إلى الغابِ ، ياله من الخوفِ فى هَوْلٍ به وصِيالِ[10]
يُزمجر فيه الوحشُ من كل فاتكٍ قد اختلـطتْ أصواتُـه كعَـوالِ
وتَعْصِفُ فيه الريحُ ، ياهَولَ عَصفِها زئيرُ أُسودٍ ، أو فحيحُ صِلالِ[11]
فهَـبَّ مَفيقاً ، يستبين حياتَـه ليوقن أن لم تَصطدم بوبال[12]
فألفىٰ قطيعَ الشاءِ يدعُو فصيلَه إلى الثَّدىْ ، فى صوتٍ يجلجل عالِ

* * *

---

(٧) دَهْدَهَ الرجلُ الحجر : دحرجه ، دَهْدَه الشيءَ : قلَّبَ بعضه على بعض ، تَدَهْدَهَ الحجرُ : تدحرج والمراد : اختلط القطيع ببعض أثناء نزوله فى عنف وشدة إلى الماء .

(٨) خَلَّ : صار فيه خَلَلٌ : ويقال : خَلَّ العَسْكَرُ : كان غير متضام ، والمراد أحس القطيع بالفتور والتراخى .

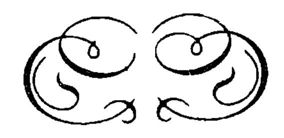
(٩) الزَّرَدُ : حِلَقُ الدِّرْع ، المراد أن الشاء فى تجمعها أو تكورها كأنها مغطاة بدرع من حلَقٍ (الزَّرَد) .

(١٠) صَاوَلَه مُصَاولةً وصِيالاً وصيالة : غالبه ونافسه فى الصَّولِ والصَّوُلُ : من صَالَ أى سَطَا عليه ليقهره .

(١١) الصِّلُّ : الحية من أخبث الحيات ، والجمع : الصِّلال .

(١٢) بوبال : بشدة من وَبُلَ وَبَالاً .

وأطرقَ يستوحى الرُّؤىَ ويحها الرؤىٰ إلى أين قد طافَتْ به غيرَ عَالِمِ ؟
وأينَ من الوادى خُطَاه ؟ وإنها لآمالُ رَاجٍ أو خيالاتُ حَالِمِ !
وأين هو الغابُ الرَّعيب ؟ وإنّه ليهفُو إلى ماضٍ سحيقِ المعالِمِ
لأعياه تأويلُ الرُّؤى ، غير أنّه يحسُّ هدوءاً فى ضَلالِ الطلاسِمِ
فمال على « أرغوله » يَستَجيشُه خواطـــرَه بالذكريـــاتِ الهوائمِ
فرجَّعَ أنغاماً من الغابِ وَزْنُها وألحانُها نسمُ الرياضِ الحَوالـِمِ
فأوزانُها ذكرى ، وألحانُها مُنىً كذلك يشدو فى الورىٰ كلُّ نَاعِمِ
وقد رقَّتْ الآصالُ وانْسلّتِ الصَّبا وصاتَ مع الأرغولِ صوتُ السَّوائِمِ
فكان مِزَاجاً من جمالٍ ووَحْشَةٍ ولـذّات مَوهُـوبٍ وآلامِ غَارِمِ
وغَشّىٰ على الدُّنيا ظلاَمٌ فهوَّمتْ ونامتْ كطفلٍ فى الغِرارةِ هَائِمِ



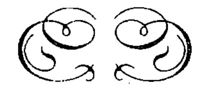
على القمة[1]

نظرتُ إليها وهي شَمَّاءُ تذهبُ ... كما لاَحَ فى أفْق السموٰاتِ كوكبُ
فأعجبنى منها السُّموقُ[2] وهَالَنى ... تَطاوُلها والرِّيحِ تَطغَى وتَصخبُ
وطارَ خيالى فوقَها ووراءَها ... يصوِّر من أطيافِها [ما تغيبُ]
عجائبُ لَم تخْطرْ على البالِ مِثْلُها ... ودُنيا من الأحلام تَزْهُو وتعجبُ
وقلت : « سعيدٌ من تطاولَ كَفُّهُ ... ذَرَاها وتدرى عينه ماتَحجبُ »
دَلِفْتُ[3] إليها ، والخُطَا تَسْبِق الخُطَا ... وفى النفسِ شَوقٌ يَسْتَحِثُّ ويُلْهِبُ
هو الشوقُ للمجهولِ يَهْمِسُ طيفُه ... وتهفُو[4] رُؤاه مغرياتٌ وتَغْرُبُ
هو الشوقُ للرُّقيا وفى الحيِّ حافزٌ ... إليها فيرقى فى الحياةِ ويَغلبُ
دَلفْتُ فلم أنْظُرْ إلى الخلفِ مرةً ... وهل ينظرُ العَجْلانُ ماذا يُعَقِّبُ[5] ؟
وماعَاقنى جُهدٌ ولا وَقْعُ عُسْرَةٍ ... وأنْسَتْنِى الأشواقُ أنِّى مُتْعَبُ
هنا القِمَّةُ الشَمَّاءُ يَاحُسْنَه هنا ! ... ويَاحُسْنَ مايدنُو إلى النفسِ مَأْرَبُ
تأمَّلْتُها فرحانَ أخفقُ نَشوةً ... وأُوشكُ أُغْذِى سَنَاهَا وأشْرَبُ
وقلتُ : « هنا يانفسُ أشْرَفُ بُقْعةٍ ... وأرْحَبُ أفقٍ فى السموٰاتِ يَرْقُبُ
وإنّك مِن فوقِ التلالِ طَلِيقةٌ ... ولم يَبْقَ مَستورٌ عليك مُغَيَّبُ
فَقَرِّى هنا يانفسُ جَدُّ سعيدةٍ ... فليس وراءَ الأفقِ يانفسُ مَطْلَبُ »
وأغمضتُ عينى سَابحاً فى خواطرِى ... ولى نَشْوةٌ تَطفُو بنفسٍ وتَرْسُبُ
فما رَاعَنى إلاّ الزمانُ يَلُفُّنِى ... إلى الضِّفَّةِ الأُخرى كما لَفَّ كوكبُ

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٧ .
(٢) الارتفاع والعلو .
(٣) دَلَفَ : مشى رُوَيْداً وقارب الخطو ، دَلَفَ إليه : أقبل عليه .
(٤) تهفو : من هَفَا فى المشى : أسرع وخف فيه ، وهَفَتْ النَّفْسُ إلى الشىء : حَنَّتْ واشتاقتْ أو طَرِبَتْ .
(٥) يعقِّبُ : يأتى خلفه .

إلى أينَ ؟ لاتَعجلْ رُويدكَ هَيْنَةً فما هكذا تُطوى الأُمَانِى وتَذْهبُ
وماهكذا يُجْزَىٰ الذى جَدَّ جَدُّه إلى القمةِ الشمّاءِ ، والقلبُ مُلْهَبُ
وخلّفَ فى ناءٍ من السَّفْحِ زَادَه وما عَزَّه فى ذلك الوعرِ مَرْكَبُ
رويدكَ ياهذا الزمانُ فإننى من الهوّةِ الجَردَاءِ أخْشَىٰ وأَرْهَبُ
وإن لا يكنْ بُدٌّ من السير فانطلقْ إلى الخلفِ إنِّى عَاذِرٌ لك مُعْتِبُ
تَأَلَّفْتُه يوماً فإنْ عُدتُ لم أعُدْ إلى غربةٍ تجفُو علىّ وتَنْكُبُ(٦)
ولكنّه لم يُصْغِ لى فى ضَرَاعتِى ومازال يَهْوِى بى ولا يَنْكُبُ
إلى الهوةِ الجرداءِ فالعُمرُ مُجْدِبُ إلى الهوةِ الجرداءِ فالدَّهْرُ يَلْعبُ



(٦) تَنكُبُ : تميل عنى . والمراد تبتعد .

مصرع قصيدة[١]

أحسستُ مَصْرَعَها بنَفْسِي بيـنَ التــأوُّهِ والتَــأسِّى[٢]
وسَمِعْتُ حَشْرَجَةَ[٣] الجَريح تَئـنُّ فى أطْــواءِ حِسِّى
هِىَ مِنْ بَنَاتِ الشِّعرِ لَمْ تُولَــدْ ولم تُوأدْ لِــوكسٍ[٤]
جَاشَتْ لِفَاتنةٍ على الشُّطآ نِ ذاتِ رضَا وأُنْسٍ
نَضِجَتْ مَحَاسِنُها كَمَا نَضِجَتْ قُطوف جنىً بِغَرْسٍ
وَحسبْتُها صِينَتْ على الْـ أنْظَارِ مِنْ قَطْـفٍ ومَسٍّ
فَهَمَـمْتُ[٥] أدْعُوها دُعَـا ءَ الفَنِّ فى خَطَراتِ هَمْسِ
شِعراً يُسَجِّلُ حُسْنَهـــا للكونِ فى أحْنَاءِ طِرْسٍ[٦]
وإذَا الأيــادِى القَاطِفَــا تُ تَجُولُ فى عَبَثٍ وَبَخْسٍ !
يَا وَيـلَ قُطَّـافِ الجَمَـا لِ بغيرِ مَا وَرَعٍ[٧]وَنَطْسٍ[٨]
بَيْنَـا نَحُـومُ عليــه فى تَقْوىً كما نَزْنُو لِقُدْسٍ !

* * *

وإذا التى جَاشَتْ بِنَفْسِى تَتَوَّى مُضَرَّجَــةً[٩] بِحِسِّى !

---

(١) نشرت فى ديسمبر ١٩٣٨ .

(٢) التأوه والتأسى : الألم والحزن .

(٣) حشرجة : يقال حَشرَجَ المُحتضرُ عند الموت ، وحَشرجت روحه فى صدره : أوشك أن يموت والمراد صوت تردد النفس عند الاحتضار .

(٤) توأد لوكس : وَأدَ ابنتَه : دفنها حية (عادة جاهلية) . وَكَسَ : نقص . والمراد : حينما أخفى قصيدته لم يكن لعيب فيها .

(٥) فهممت : من هَمَّ : عزم على القيام بأمر ولم يفعله .

(٦) طرس : كتاب (كُتِبَ ثم مُحِىَ ثم كُتِبَ مرة ثانية) أو صحيفة .

(٧) ورع : تقْوى أو خوف من الله .

(٨) نطس : من نطِسَ أى دقق النظر فى الأمور واستقصاها .

(٩) مضرجة : من ضَرَّجَه أى لطخه بالدم أو صبغه .

وُجوهٌ طَرِيفَة[1]

طَالِعِينى فى كلِّ يومٍ بِوَجْهِ ... فلديكِ الوجُوهُ شَتىٰ طَرِيفَهْ
وَافْجَئِينِى لديك بالخَطْرِ[2] المَحبوبِ ... يُجَدِّدْ حياتَنا المَأْلُوفَهْ
تُّ أشْتَاقُهُ وأرقُبُ مَاذَا ... يَحْمِلُ اليومُ من أمانٍ مَخُوفَهْ !
كلُّ سَمْتٍ[3] أراكِ فيهِ جميلٌ ... كلُّ ظلٍّ أراكِ فيه شَفيفه
أنتِ ما أنتِ ؟ عَالَمٌ مُترامٍ ... أبْدَعَ الفنُّ والمُنَى تَأْلِيفَهْ
أنت كُثْرٌ فَفِيكِ تَحْيَا طُيُوفٌ ... كلُّ طَيفٍ له رُؤاهُ المُطِيفَهْ
تارَةً أنتِ حَرَّةٌ[4] أصْطَلِيهَا ... وإذَا أنتِ كالرِّيَاضِ الوَرِيفَهْ[5]
وَتَلُوحِينَ قِطْعَةً من حَنانٍ ... وَتَلُوحِينَ بَعْدَ حِينٍ مُخِيفَهْ !
وأرى فيكِ طِفْلَةً لم تبارحْ ... مَلْعَبَ الطِّفْلَةِ اللَّعوبِ الخَفِيفَهْ
وإذَا أنتِ قَهْرَمَانَةُ[6] دَهْرٍ ... مُوْغِلٍ فى المَسَارِبِ[7] المَلْفوفَهْ
وإذا ما انْطويتِ أمسيتِ سِرًّا ... صَانَهُ الدَّهْرُ مُحْكِماً تَغْلِيفَه
وإذَا ما انطلَقْتِ مثلَ شُعَاعٍ ... كنتِ رَقْرَاقَةً وكنتِ لَطِيفَهْ
لكِ طَعْمٌ أذُوقُهُ بل طُعُومٌ ... كُلُّهَا نَاضِجٌ هَويتُ قُطُوفَهْ
هُوَ طَعْمُ الحياةِ فى فَوْرَةِ النُّضْجِ ... شَهِيُّ الجَنَى خَبِرْتُ صُنُوفَهْ

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٢ .

(٢) بالخَطَر : من خَطَر فى مشيه خَطْراً وخَطَرانا أى اهتزّ وتبختر .

(٣) سمت : هيئة .

(٤) حرة : شديد الحرارة .

(٥) الوريفة : الظليلة .

(٦) قهرمانة : مُدبِّرة البيت ومتولية شؤونه ويقال : المرأة ريحانة وليست بقهرمانة .

(٧) المسارب : المسالك والممرات .

إلى الظَّلام[1]

إلى الظَّــلامِ الأميـــنِ تَحــدُّرى[2] يَا سَفِينِــى
وَجَانبـــــى كلَّ نُورٍ النُّــورُ يُؤذِى جُفُونِــى
لَقَـدْ حَطَمْتُ شِرَاعِــى ومِجْدَفِــى ويَمينِـــى
وهـــدَّ عَزْمِـــىَ مَوجٌ يَثُـــورُ كالمَجْنُــــونِ
أَخْشَاه أَخْشَاه جُهــدِى فَحَــاذِرى يا سَفِينِــى !

طَالَ الصِّرَاعُ ونَـــاءتْ[3] نَفْسِى بِعبْءِ السِّنيــنِ
أُريــدُ وَقْفَــةَ أَمْـــنِ فى مَجْهَــلٍ مَأْمُـــونِ
أُرِيــحُ فيـــهِ قَليـــلاً عَن عَاتِقِــى المَوْهُــونِ
وأستريــــــحُ رُويـــــداً من الصِّرَاعِ الحَـــرُونِ[4]
وقــد أُعــاوِدُ سَيْـــرى فى اللُّجِّ[5] أُزْجِى[6] سَفِينِى

* * *

إلى الظــلامِ الأميـــنِ إلى مَلاذِ السُّكُــــونِ
طَالَ التَيقُّـــظُ حتَّـــى أعْشَىَ[7] السُّهـادُ عُيونِـى
إلى الـمَسَـــارِبِ فَامْضِى لِأَنْزَوِى عن شُجُونِـــى
وعَــنْ رَجــائى ويَـــأْسِى وكــــلِّ ما يَعْنِينِـــى
الانْــــــزِوَاءُ مُريـــــحٌ فَأوْغِلِـــى يَا سَفِينِـــى

---

(١) نشرت فى ١٩٤٣ .
(٢) تحدرى : الانحطاط من أعلى إلى أسفل .
(٣) ناءت : ضعفت تحت أعبائها كما تضعف تحت أثقالها .
(٤) الحرُون : المتمرد والمراد : الصراع المرير .
(٥) اللُّجّ : تردد أمواج البحر .
(٦) أُزْجى : أدفع .
(٧) أعشى : المراد أضعفها .

قَافِلةُ الرَّقِيق(١)

قِفْ بنا يا حَادِى العُمرِ هُنا لَحْظَـةً نَنْظُـرْ ماذَا حوْلَنـا
فى طَرِيقٍ قَدْ نَثَرْنَا عُمْرَنا فيـه أشلاءَ حيـاةٍ ومُنَـــى

* * *

قد نَثَرْنَاها على طَولِ الطرِيق ومَضينَا ضِمْنَ قُطْعانِ الرَّقيقْ !
مَوكِبٌ يَعطُو إلى الشَّطِّ السَّحِيقْ مُغْمَضَ العينين يَسْرِى مَوْهِنا(٢)

* * *

من ظَلامِ الغَيبِ تَخطُو قَدمَاه لظلامِ الغيبِ تَنْسَاقُ خُطَاه
فى طريقٍ غامضٍ يُدْعَى الحياه يَهْتِفُ الحادِى . فيمضِى مُذْعِنَا

* * *

قِفْ بنا ننظرْ إلى أشْلائِنا نحنُ لا نَرْجِعُ يوماً هَاهُنَا
مرةً تَمْضِى ، ونَمْضِى وَحْدنَا فى ظلامِ الغيبِ نَطْوِى الزَّمنَا

* * *

لَهفَةً لو عُدتُ أَرْعَى خُطَواتى فى طَرِيقٍ دَرَجْتُ فيه حَياتِى
فَتطلَّعتُ إلى هذا الشَّتاتِ(٣) وأنا فى الكَرَّةِ الأُخرى أنا !

* * *

لَتَمَلَّـــيتُ شِيَــاتى(٤)وسِمــــاتى وأمَانِـىَّ ويـــأسِى ورَجَاتِـــى

---

(١) نشرت فى ١٩٤٦ .

(٢) المَوْهِنُ : نحوٌ من نصف الليل أو بعد ساعةٍ منه . والمراد : ليلاً .

(٣) الشتات : التفرُّق . (٤) الشيات : مفردها الشِّيَةُ : العلامة .

وحَماقَاتِي ورُشْدِي وهَنَاتِـــي والهَوىٰ الحَانِي الذي ظَلّلنا

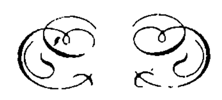
كلُّها عَاهَدتُ أن أقْضِي عُمرِي وأنا أُخْلِصُها سِرِّي وجَهْرِي
وإذَا السّوْطُ هَوىٰ يُلْهِبُ ظَهَري حيثُ لا أسْتطِيعُ رَيْثاً أو وَنى(٥)

* * *

وإذا الآمَالُ والآلامُ خَلْفِـي سَاخِرَاتٌ مِنْ مواعِيدى وخُلْفِي
مُلْقَياتٌ بينَ إهمالٍ مُسِفٍّ(٦) لم أُوَدِّعْهـــا . فيا وَاحَزَنَـــا !

* * *

أَيُّها الحَادِي أَلَا فامضِ بِنَا قد أثارتْ ذِكْرَياتي الشَّجَنَـا
لم نعُدْ نَجزعُ لو تَحْلُو لَنَا : « نحن لا نَرْجِعُ يوماً ها هُنا »



---

(٥) ريثاً أوونى : بُطْئاً أو ضعفا .

(٦) مُسِفٌ : فى جهل وطيش .

في مفرقِ الطريق[1]

بين نفسين من النفوس الكثيرة التي تعيش في الإنسان الواحد متفرقة في بعض الأحيان . دار هذا الحوار ... فأما إحداهما فتتعلق بماض عزيز لا رجعة له ولا أمل فيه ، وأما الأخرى فتنزع إلى العزاء بالتطلع إلى جديد :

أنْتَ أوْغلتَ في الظلامِ طويلًا ... فمتي يارفيقُ تبغي القُفولا[2] ؟
شدَّ ما آدَنَا[3] التخبُّطُ في الليلِ ... وخِفْنا ظلامَه المدخولا !
ورأينَا الأوهامَ تبدو شخوصاً ... ورأينا الشخوصَ تبدو هَيُولَى[4]
وَخَبَرْنا فلم يُفِدْنا اختبارٌ ... وسَخِرْنَا مِمَّا خَبَرْنَا طَويلاَ
يا رفيقى . إذا قَدَرْتَ فأوِّبْ ... إن هذا الظلامَ يُضْنِى العُقُولاَ

أنا أخشى الضياءَ أُبْصِر فيها ... ذكرياتى تبدلتْ تبديلاَ
أنا أخْشى النَّهار يكشفُ عنى ... كلَّ وَهْمٍ أرُودُه[5] تعليلا
أنا يا صاحبى أُشيحُ بوجهى ... أنا أرى عهْدنا تَرَدَّى قتيلا
أنـا يَا صَاحِبـى أُدافِـع عَقْلِـى ... أنْ يَرُودَ الْيَـقِين جَهمـاً ثَقِيـلاً
الظَّلامَ الظّلام أرْوَحُ للقلبِ ... ولو كان لا يُريح العقولا !

* * *

(١) نشرت في أغسطس ١٩٤١

(٢) القفول : الرجوع (رَجَعَ) .

(٣) آدنا : من آدَىٰ فلانٌ إيداءً : قَوِىَ ، وآدىٰ فلانا على كذا : قوَّاه عليه وأعانَه .

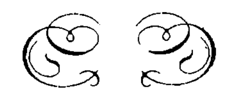
(٤) الهَيُولَى : مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة ، قابلة للتشكيل والتصوير في شتى الصور . ويقال ـــ حديثا ـــ مادة الشيء الذى يصنع منها ، كالخشب للكرسى .. وهكذا والكلمة معربة . والمراد أن الأشخاص ظهرت لا شكل لها ولا هيئة ولا لون .

(٥) أرود : أطلب أو أتردد عليه .

يارَفيقُ . الحَيَاةُ أَسْمىٰ وَأَغْلىٰ أن تُقَضَّى كذاك وهماً ضئيلَا
يا رفيقُ . الحياةُ أقصرُ عهداً أن تُضحَّى ساعتها تخْييلا
أُبْ من الظُّلمةِ الحبيبة واهجُرْ كلَّ ما كان فى الحياةِ الأُولىٰ
وتطلَّعْ إلى جَمالٍ جَديدٍ أفلم تَلْقَ فى الحياةِ جميلَا ؟
عِشْ بما قد وُهِبْتَهُ من حياةٍ مُسْتَثارَ الإحساسِ نَهِمًا عجُولا

* * *

آه يا صاحبى أتجهلُ أنِّى أفقِدُ الدَّارَ إنْ فقدتُ الطُّلولَا(٦)
ذاك عهدٌ أنفقتُ فيه رَصيدِى كلَّهُ لم أُبْقِ منه قليلَا
أتُرانى أُجدِّدُ الذُّخرَ والعُمرُ مُوَلٍ والجَهْدُ أمسى هَزيلَا ؟
أنا باقٍ هُنا فإن شئتَ دَعْنى وردُ الكَوْنَ حافلاً مَأْهُولا
أنا باقٍ هُنا أَرُودُ طُلُولِى لَم أعُدْ بَعدُ أستطيبُ القُفُولا !



(٦) الطلول : مفردها طلَلٌ : مابقى من آثار الديار ونحوها .

أقدامٌ فى الرِّمال(١)

نحنُ ؟ أم تلك على الأرضِ ظلالْ ؟ وخيـــالٌ سَارِبٌ(٢) إثـــرَ خَيـــالْ
فى مَتاهــــــاتِ وُجُـــــودٍ لِزوَالْ كبقَايَا الخطـو فى وَجـهِ الرِّمَــالْ

* * *

زُمَـــرٌ(٣) تَدْلِـــفُ فى إثـرِ زُمَـــرْ ويـحَ نَفْسِى ! إنّـــه رَكْبُ الـبَشَرْ
مغـمضُ العَيْنَيْـن فى كَفِّ القَـــدَرْ كلمـــا أوْغَـــلَ فى التِّيــهِ انْدَثَـــرْ

أيـنَ رَأْسُ الـركْبِ أم أيَّـــانَ سَارَا ؟ ما أرىٰ فى إثْـرِهِ حتّـــى غُبَـــارَا
ما أرى قبراً ومــــــــــا أُبْصِرُ دَارَا ضَلّــةً(٥) لى ! ذاكَ ظِلٌّ وتَـــوَارَىٰ

* * *

مِنْ ظَلامِ الغـيبِ فى التيـهِ البعيـــدْ لظـلامِ الغـيبِ فى التيـــهِ المديـــدْ
وَمْضَةٌ كالبرقِ تجتـــازُ الوجـــودْ ويُسَمِّيها بنُـــو الأرضِ الخُلُـــودْ !

* * *

خُدْعَـــةٌ رَاقتْ لأبنــاءِ الفَنَـــاءْ حينما أعْيـــا على الأرضِ البَقَـــاءْ
المساكيـــــنُ هَبَـــاءٌ فى فَضَاءْ رَحْمَـــةً للـــذرِّ فى مَسْرَىٰ الهواءْ !

* * *

---

(١) نشرت ١٩٤٦ .

(٢) سارب : سارب فى الأرض ذهب على وجهه فيها .

(٣) زُمَرٌ : جماعات .

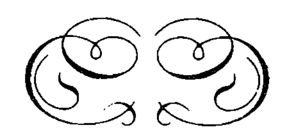
(٤) تدلُف : تمشى رويدا متقاربة الخطو .

(٥) ضَلّة : حَيْرة .

ما أرىٰ الأرضَ تَحِسُّ الوافديـــــن		أو أرىٰ الأرضَ تَحسُّ الرَّاحليـــــنْ
كلُّ مَا كَانَ ومـــا سوف يَكُـــونْ		نَأْمَةٌ(٦) تَهْجِسُ(٧) فى جَوْفِ السُّكُونْ

* * *

خَطَـــواتٌ ذاهبـــاتٌ فى الرِّمَـــالْ		وخيـــالاتٌ تَرَاءَتْ لخيـــالْ
وشُخُـــوصٌ تتـــوارى كظـــلالْ		للـزوالِ ... كلُّ شيءٍ للــزوالْ !



(٦) نَأْمَةٌ : صوت ضعيف خفى أيا كان .

(٧) يَهْجِسُ : من هَجَسَ : خطر بباله .

خُدعَةُ الخُلُود(١)

لا أنتِ سَالِـكِ الزمـانُ ولا أنـا لا أنْتِ داعيـةٌ ولا أنـا مُسْتَجِيبْ
هذى مَياسِمُـه(٢)على قَسَمَاتِنـا قَرَّتْ أمانينـا على الأُفقِ القَـريبْ
ودَبِيبُـه ينسابُ فى خَطَرَاتِنـا ويَكْشِفُ الوهمَ المُغَلْغلَ(٣) فى الغيوبْ
ويَـدَاه تَنْسِلُ(٤) من خيـوطِ حَياتِنـا وبـدوتِ عاريـةً من الألَقِ(٥) العجيبْ
ويَدُ البِلىٰ تَطوِى الرغائبَ والمُنىٰ وبـدوتُ عَادِيَّ المحاسنِ والعيُـوبْ !

* * *

ما الفجرُ ؟ ما الأحلامُ ؟ ما الشوقُ الدفينْ ألقـاكَ كالذكـرىٰ تَمـرُّ بِخَاطِـرِ
مَا نَشْوةُ الذِّكراتِ ؟ ما حَرْقُ الحنينِ ؟ كالخَطْـرَةِ الوَسْنَىٰ(٦) بفكـرةِ شَاعـرِ
مَا وَهْلَةُ الغيبِ المُوشَّحِ(٧) بالفتـونِ ؟ كالـرسمِ يَبْـهتُ لا يَبِيـنُ لناظـرِ
ما اللهفـةُ الكبرىٰ تُراوِدُ فى جنـونِ ؟ كبصيصِ نارٍ فى الرمـادِ الفَاتـرِ
مرَّتْ عليها كُلِّهـا كَفُّ السنيـنَ ! وَيْحِـى وويحُكِ نحنُ ذِكْرىٰ عَابـرِ !

* * *

خَطَواتُكِ النَّشْوىٰ التى كادتْ تَطِيرُ وَيْحِى وويحُكِ ما الحياةُ وما الخُلُودْ ؟
وتوَفُّزُ(٨) النَظَـراتِ فى ألَـقٍ مُثيـرِ خُدَعٌ تُهَدْهِدُنـا بها الأُمُّ الولُـودْ

---

(١) نشرت فى ١٩٤٨ .

(٢) مياسم : جمع مفرده مِيسَمُ : السِّمة أو العلامة التى تميِّز شخصا عن آخر من وَسَمَ الشيء .

(٣) المُغَلْغَل : المتداخل فى الغيب بحيث صار جزءا منه ، من غَلْغَلَ الشيءَ فى الشيء : أدخله فيه حتّى يلتبس به ويصير من جملته .

(٤) تَنْسلُ : من نَسَلَ الشيء ، ونسولا : انفصل عن غيره وسقط .

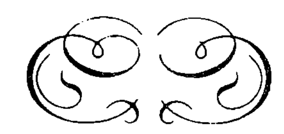
(٥) الألَق : التزين والبريق .

(٦) الوسنى : كثيرة النعاس .

(٧) المُوشّح : المرتدى بالفتون من اتشح أى يرتدى الوشاح .

(٨) تَوَفُّز : تَعَجُّل وتَهيىء .

وتَـوثُّبُ اللفتـاتِ فى لَهَــفٍ حَرورٍ[٩] ويدُ البِلىٰ تَطْوِى القديمَ على الجديـدْ
وتُقَـلُّبُ الرَّغَبـاتِ فى قَلَـقٍ غَريـرٍ[١٠] والدَّهــرُ ماضٍ لا يكِــلُّ ولا يَحِيــدْ
وَيْحِىْ وويحُكِ قَدْ تَعَاوِرَهـا[١١] الفُتُـورُ والنــاسُ والأيــامُ والدُّنيـا عَبيــدْ



(٩) حرور : شديد الحرارة .
(١٠) غرير : سَاذج (من لا خبرة له)
(١١) تعاورها : تَعَاوَرَ : تداول .

الغـــزل

هـــى أنْتِ التـى خُلِقَتْ لِنَحْيـــا
في ظـــلالٍ من الوفــاءِ الرَّشـيدِ
كحيـاةِ الأرْواحِ تُضْفِـى حنـــاناً
وهـــى تهْفُـــو فِـــى ظِلِّهـا المَدُودِ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

لَيْـلَـةٌ[1]؟!

يالَيلَـةَ الأمسِ والليـــلاتُ ذاهبـــةٌ ... كغَمْضَةِ العيـنِ فى أَضْغَـاثِ[2] أَحْلَامِ

يَرْعَـــاكِ مَنْ وَهبَ الإنسانَ عاطفـــةً ... تَجيشُ بالحُبِّ عَن وَحْـــــيٍ وإِلهامِ

يَرْعَـاكِ مَنْ خَلَـقَ الأرواحَ شَاعِـرةً ... دقيقـةَ الـحِسِّ فى رِفـقٍ وإحكـامِ

لأنتِ أقصرُ ليلاتِـــى وأخْلَدُهـــا ... وأنتِ أَزْهَـرُ سَاعَــاتي وأيامِـــى

فيكِ التقينـــا فلا إثـــمٌ ولا حَرَجٌ ... فى ظلِّ طيــفٍ من الإخـلاصِ بَسَّامِ

ورُوحٌ من الحبِّ خَفَّـاقٌ يَحـفُّ[3] بنـا ... حفَّ النسيـمِ بِغُصنِ الدَّوْحَةِ النَّامِــى

ويُـنْشِدُ الحبُّ أنغامــاً يُلحِّنُهـــا ... لحنَ الطبيعـةِ ذَاتِ المنطـقِ السَّامِــى

بالليـلِ يَتْلُـو على الأكـوانِ آيَتَـه ... ماأبـدعَ الليـلَ في شَدْوٍ وأنْغـــامِ

* * *

ياليلـــةَ الأمس هَلّا أنتِ عائـــدةٌ ... إلى الزمــــــانِ فَأَنْسَى كلَّ آلامِي

إنّـى لألْمَـحُ طيفـاً مِنْكِ يُؤْنِسُنـــى ... فى وَحْشَتِـى بيـنَ أيقـاظٍ ونُـوَّامِ

ذكـراكِ باقيـةٌ مهمـا يَطُـلْ زَمنِـى ... فأنتِ زهــرةُ أيامِـــى وأعْوَامِـــى

فِيــكِ أولُ آمـــالى وآخرُهـــا ... وأنتِ مَنْبَـعُ إمــدَادِى وإلهامِـــى

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٢٨ .

(٢) أضغاث : أضغاث أحلام : ما كان منها ملتبساً مضطربا يصعب تأويله .

(٣) يَحفُّ : استدار وأحدق (يحيط) .

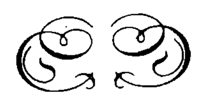
نَظْرَةٌ مُوحِشَةٌ(١)

أهــو حَظِّـى مِنك تلكَ النَّظَـراتُ ... كلمــا جادتْ بِمــرْآكَ الصُّدَفْ ؟
وخيــالاتٌ تَراءى فى سُبــاتٍ(٢) ... مُذْكِياتٌ مَا بنَـفسِي مِنْ شَغَـفْ ؟
أكــذا تَمْضِي بَقِيَّــاتُ الحَيَــاه ... ليتَ شِعْـري وكــذا يُقْضَي العُمُـرْ ؟
آه . مَاأشْجَـى ومَــا آلَــمَ . آه ... إن يكـنْ هذا فمــا أقْسَى القَــدَرْ !
أيْـنَ ساعـاتٌ مَضَتْ قبــلَ الفِــراقِ ... مِلؤها العَطْـفُ وريَّاهــا(٣) الوَفَـاءْ ؟
هكــذا الدُّنيــا اجتماعٌ وافتــراقٌ ... وهـي آهــاتٌ وذِكْـرىٰ وشَقَـاءْ !
شَدَّ ماألْقَــاه فى هذا النَّــوىٰ(٤) ... من عَذَابٍ يَنْكـأُ(٥) القـلبَ أليـمْ
شَدَّ ماتَسْتشعِـرُ النـفسُ الجوىٰ ... فَتلظَّــىٰ فى شُعـورٍ كَالجحيـمْ
ليتنـي أدْرِي ــ وإن لم يُشْفِنـي ــ ... كيـفَ أُبْدِى مَا بنَفسِي مِنْ ألَـمْ !
رُبَّ إحساسٍ أليــمٍ شَفَّنِــى(٦) ... لَمْ أُصوِّره بلفــظٍ فاضطـرمْ
آلم الإحساسَ إحساسٌ دفيــنٌ ... وشعــورٌ في فؤادٍ يَشْتَجِـرْ
لم يَجِــدْ لفظــاً فأدَّاه الأنِيــنُ ... ودمــوعٌ سَاكِبَــاتٌ تَنْهَمِـرْ
أتُـرىٰ آلَـمُ للقــلبِ الكَليـمِ(٧) ... مِنْ رَجــاءٍ كان يَزْهُــو فَخَبَـا ؟
وانطــوىٰ يَغْمــرُه يأسٌ عَقيـمٌ ... يتـركُ القــلبَ قِفَـاراً مُجْدِبــا ؟
أتُـرىٰ أوْحَشَ مِنْ ديــرٍ كئيـبٍ ... فى فَلاةٍ لا يُدانِيها البَشَـرْ

---

(١) نشرت فى أبريل ١٩٢٩ .
(٢) سُبات : راحة أو نوم .
(٣) رياها من روى العطشان .
(٤) النوى : البُعْدُ .
(٥) ينكأ : يجرح ويقتل .
(٦) شَفَّنى : جعلنى نحيلا هزيلا من مرض ، يقال : شَفَّه الحبُّ أو الهمُّ .
(٧) الكليم : المجروح .

وتكـادُ الرِّيـحُ تَحميـه الهبــوبَ ... دَقَّ نَاقـوسٌ به عنـدَ السَّحَـرْ ؟
ذَاك قَلْبـي بعـدَ فُقْـدانِ الأمـلِ ... مُوحِشٌ يَطْرُقُـه صوتٌ سَحِيـقْ(8)
تبعثُ الذكرىٰ صَدَاه إِذْ تُطِلُّ ... مُشْجِياً يُوغِلُ في الصَّمْتِ العميقْ
ما الـذي كانَ ومـاذَا سيكُـونَ ؟ ... لستُ أدْرِي مَاجَـوابي ، لاجَـوابْ !
لَيتنـي أدرِي خَبيئـاتِ السنيـنِ ... إنْ فِراقـا أو يَكُـن بعـدُ اقتـرابْ
إِيـه يامِـلءَ فُؤادِي ومُنَـاه ... إِيـه يارمـزَ الأمَـاني والأمـلْ
يا نسيمـاً ضَمَّ أنْفَـاسَ الحيـاةِ ... نَفْحَـةٌ تُهْـدِي إلى مَيْتٍ أجَـلْ
أنـا إذ ألْقَـاك عَفْـواً لا أُحِسُّ ... فِيك جسْمـاً كبقيـاتِ الجسُومْ
إنما ألقـاكَ طَيفـاً لا يُحَسُّ ... طائفا يَهفُـو(9) كما يَهفُـو النَّسِيـمْ
فى خَيـالى أنتَ أنْقَـىٰ وأرَقّ ... أنتَ رُوحُ فيـه أو طيـفُ مَلَكْ
بجناحَيـه تَراءى فخفَـقَ ... بسنـاءٍ هَادِيءٍ يُغْـرِي الحَلَكْ
أفَـلا لُقْيـا بثغـرٍ بَاسِمٍ ؟ ... أفـلا قلبٌ أُناجِيـه سَمِيـعْ ؟
أفـلا شَكْـوىٰ فؤادٍ هائـمٍ ؟ ... أفـلا نَجْـوى بِصَمْتٍ وخُشُوعْ ؟
« بحَياتِـى أفْتَـدِى هذا اللقـاءَ » ... وأمانِـيَّ ومـا ضَمَّتْ يَدَاى
وبِنَـفْسِي لو دَنـا عهـدُ الـرِّضَاءِ ... فَمَحـا بُؤْسِي وأوْدَى بجَـواى
وأوَىٰ قلـبين فى بُرْدِ(10) الوَفـاءِ ... مثـلَ ما كانَـا شَقِيقَـيْ مَوْلِـدِ
ليتَ . لكـن « ليتَ » لاتُدنِى رَجاءَ ... فَلأَمُتْ أو أبقَ حِلْـفَ الكَمَـدِ(11)



(8) سحيق : بعيد .
(9) يهفو : يُسْرِعُ .
(10) بُرْد : كِساء يُلْتَحَفُ به .
(11) الكمد : الحزن الشديد مع كتمانه .

طَيْف!![1]

هو هذا أنتَ ياطيــــفُ ؟ فَأهــــــلاً   مرحبــاً ياطيـفَ مَنْ أهــوىٰ وسَهْــــلا

* * *

هَوَّمَ النَّــــــــومُ وأرْخَــــــــىٰ رِيشَه   واحتـــواني بِجَنــــاحٍ قَد تَدلَّـــــى
وانــزوىٰ العَالــمُ عنِّـــي وَخَـــبَتْ   ضَجَّــةُ الكَـونِ ومـــا فيــه وَوَلَّــى
هاهُنــــا في النــومِ أَلْقَــىٰ عَالَمــــاً   هَادِئـــاً رَحْبـــاً وبَسَّامـــاً مُظِــــلَّا
وتَــراءىٰ الطيـــفُ سَمْحـــاً رَاضِيــاً   بَاسِماً كالأمــلِ الحُلـــــو وأحْلَـــىٰ
هُو هذا أنتَ ياطيـــفُ ؟ فأهـــــلاً   مرحبـاً ياطيـفَ مَنْ أهــوىٰ وسَهْـــلا

* * *

أدْنُ مِنِّـــي فاستمــــعْ لَحْــنَ فُؤادِي   إنَّـــه لَحْــــنٌ يُغَنِّيــــه بَدِيــــعْ

* * *

إنَّــه عنــــوانُ حُبٍّ وَوِدَادٍ   وهَيـامٍ بين أَحْنـاء[2] الضُّلُــوعْ
إنَّـــه أُنْشُودَتِــــي أخْلُــــو إليها   بيــــنَ صَمْتٍ وهَيــــامٍ وخُشُوعْ
إنـــه لَحْـــــنٌ أُغَنِّيــــه وَقلْبِــــي   خَافِقٌ والعيـنُ تَهْمِــي[3] بالدّمُــوعْ
أدْنُ مِنــي فاستمــــعْ لَحْــنَ فُؤادِى   إنَّـــه لَحـــنٌ يُغَنِّيــــه بَديـــــعْ

* * *

---

(١) نشرت في يونيو ١٩٢٩ .
(٢) أحناء : مفردها حِنْو ، والحنو كل شيء فيه اعوجاج كالضلع .
(٣) تهمي : من هَمَتِ العين أي صبتْ دموعها .

هاك قَلْبِـــى فتسمَّــــعْ خَفقاتِــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَشـــارُ الخَفَقـــاتِ

* * *

بَلِّـلْ[٤] الوَجْـدَ[٥] وهَدِّىء زَفَرَاتِــه[٦]   فهـــو قَلْبٌ ضَيـــقٌ بالزَّفَــــراتِ
أنتَ ياطيــفُ الـــذى يرجُـــو فُؤادِى   بعـد ماقَـــدْ ضَاقَ ذَرْعـــاً بالشكـــاةِ
هاكَ قَلْبِـــى فتسمَّــــعْ خَفَقَاتِــــه   فهـــو قَلْبٌ مُسْتَشـــارُ الخَفَقـــاتِ

* * *

أنْتَ ياطيــفُ ويارَيَّـــا[٧] حبيبـــــى   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْـــــزُ السَّلامِ

* * *

لك مِنِّى كُلُّ مَعْنىٰ قُدْسِيٍّ   يَهْمِسُ الحبُّ بِه بينَ الأنام
أنتَ يا طيفُ ويارَيَّا حبيبي   أنتَ رُوحُ الحبِّ أو رَمْزُ السَّلامِ



---

(٤) بلل : من بلَّ بَلَلاً : بَرَأ وصَحَّ أو تَندَّىٰ .   (٥) الوَجْدَ : الحزن .
(٦) زفراته : من يقال : زَفَرَتْ النار : يُسمعَ لاتِّقادِها صوتٌ .
(٧) ريًّا : من رَوَىٰ ريًّا : استقى أو الشرب التام .

صَوت ؟![1]

تُذَكِّرُنى الماضِي فآسىٰ لِذِكْرِهِ ... وتُوقظُ أشْجَانِي وقد كنتُ نَاسيَا
وتُلْهِبُ إِحسَاسِي بأنغامِكَ التى ... تحدِّثُ عن قلبى إذَا أنَّ[2] باكيا
حنانَك هذا القلبُ قد آدَه[3] الأسىٰ ... فخلَّفَه نِضْواً[4] مِن الهمِّ واهيَا
تُهيجُ بِهِ الأنغامُ آلامَه التى ... تحمّلَها بالرغم أسْوانَ[5] رَاضِيًا !
تحمَّلها لم يَشْكُ للناسِ ثِقْلَها ... وقد كان معذوراً لو آلتاعَ[6] شاكيَا

تُذَكِّرُنى حُبًّا قديماً دفنتُه ... ونفضتُ كَفِّى يائساً منه آسيَا[7]
ورحتُ أُوارِى كلَّ آثارِه التى ... تَراءىٰ فَتُذْكِي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابيَا
بعثتُ به حيّاً يُطِلُّ ويَنْزَوِي ... ويفتحُ أجْفَاناً مِراضاً سَواهِيَا
يُجَرْجِرُ أكفاناً من القلبِ صُغْتُها ... تُمَزِّقُ أشتاتاً وتبدُو بَوالِيَا[8]
هو اليومَ ذِكْرىٰ لاتُرْجَىٰ حياتُه ... فلا هو مَعْدوماً ولا هُو باقيَا
هو اليومَ آلامٌ وقد كان مُتْعةً ... ورُوحاً ورَيْحاناً وطيْفاً مُناغيَا

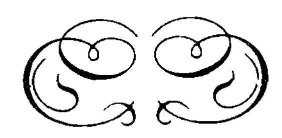
* * *

ترددَ هذا اللحنُ في النفسِ قَبْلَما ... بعثتُ به صوتاً من الثغرِ شَاجِيَا
وجَاشَ به صدرُ الحياةِ فَرجَّعَتْ ... أغاريدَه كالنَّوحِ أسْوَانَ دَاوِيَا

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ ، والمراد بالصوت : محمد بخيت .
(٢) أنَّ : يَألم : صوت الألم .
(٣) آده : قوِىَ عليه .
(٤) نضوا : هزيلا .
(٥) أسوان : حزين .
(٦) آلتاع : اشتد به الألم .
(٧) آسيا : حزينا .
(٨) بواليا : مفردها بالية : قديمة .

وحدَّثْتَنَا عَما أكَنَّتْ[9] نُفُوسُنا فأيقظت فيها كلَّ ماكانَ سَاهيَا
تَحدَّثْ إذنْ ننصتْ وإن ثَارَ شَجْونَا ونُمْسِكُ أكباداً تَنْزَّى[10] دَوامِيَا



(٩) أكَنَّتْ : أخفت .

(١٠) تنزى : تسرع إليه .

هى أنتِ[1]

هى أنتِ التى خُلِقَتْ لِنحيَا ... فى ظلالٍ مِنَ الوفاءِ الرشيدِ ؟
كحياةِ الأرواحِ تُضْفِى حنانـاً ... وهى تهفو فى ظلّها الممدودِ ؟
حيثُمـا الحبُّ طائـفٌ يَتَـراءىٰ ... كالملاكِ المهـوِّمِ المَكْـدُودِ[2]
حَانِى العِطْفِ[3] إذ يَضمُّ علينا ... ضمـةَ الأُمِّ رَحْمَـةً بالوليـدِ
فإذا الكـونُ والحيـاةُ جمالٌ ... وإذَا العيشُ فُسْحَةٌ فى الخُلُودِ ؟

* * *

هى أنْتِ التى أطافتْ بنفسِى ... وتراءتْ فى خَاطرِى من بعيدِ ؟
حينما كنتُ هائمـاً أتلقـىٰ ... أغنياتِ الآمالِ شتّىٰ النشيدِ ؟
فى ظِلالٍ من الأمانِى تَتْرىٰ[4] ... بين وادِى التعِلَّةِ[5] المعهـودِ !
إذْ تَراءَيْتِ هَالـةً مِنْ رجـاءٍ ... هادِىءٍ لَيِّـنٍ رفيـقٍ وَئيـدِ[6]
ثم دَانَيْتِ فى دَلالٍ وديـعٍ ... ثم باعدتِ فى دلالٍ شَرودِ ؟

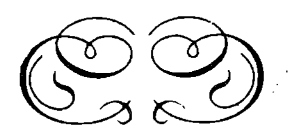
* * *

هى أنتِ التى تلاقيتِ رُوحاً ... مع روحِى فَهَامتَا فى الوجودِ ؟
هى أنتِ التى تُحَدِّثُ عنها ... خَطَرَاتى ، فى يقظتِى وهُجُودِى ؟
إن تَكُونِى ! إذَنْ فهاكِ فؤادى ... كلّه خالصاً نقـىَّ العهـودِ
وتعالَىْ نَبْغِ الحيـاةَ جِهـاداً ... عبقـرىَّ التصويبِ والتَّصْعيـدِ !
شَجِّعِينـى على الجهـادِ طويـلاً ... فجهـادُ الحيـاةِ جِدٌّ شَديـدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .
(٢) المكدود : المغلوب .
(٣) العِطْف : الجانب .
(٤) تترى : تتابع (متواترة) .
(٥) التعلة : ما يُتعلَّل به .
(٦) وئيد : من اتَّأد فلان : تَأنَّى وتَمَهَّل ، ويقال : مشى مشيا وئيداً : على تؤده .

أشْعرينـــى بأن قلبــاً نقيًّـــا يَرتَجِى سَاعِدى ويهــوِى وُجُودِى
ثم سِيرِى معى نَخُطُّ طرِيقاً كمهادٍ فى الصَّخرةِ الجُلْمُودِ[7]
نظـرةٌ منكِ وابتسامـــةُ حُبٍّ تتركُ الصَّعْبَ لَيِّنــاً كالمُهـودِ[8]
لك مِنـى عَواطِفـى وعُهـودِى لك منـى رِعايتـى وجُهـودِى



(٧) الجلمود : الشديدة .

(٨) المهود مفردها مهد : فراش الطفل .

أحبك[1]

أُحبكِ كالآمالِ إذْ أنتِ مِثْلُها تُذَكِّين[2] فى نفسى أعزَّ مَواهبِى
وما هِى إلا نظرةٌ شاعريَّةٌ تعبِّرُ عما شئتُه مِنْ رَغَائبِ
فَتَسْرِى إلى نَفْسِى مَضَاءً[3] وجَرْأَةً ووثبةَ حسَّاسٍ . وَعزْمَـةَ راغبِ
ورُوحاً ذَكِيَّ النفحِ يَسْرِى كأنَّه نشيدُ مَلاكٍ هَائـمٍ مُتقَـارِبِ
يعيدُ إلى المكدودِ راحة نفسِه ويبعثُه خَلْقاً جديـدَ المطـالبِ

* * *

أُحبُّكِ من قلبى الذى أنْتِ مِلْؤُه ومِنْ كلِّ إحساسٍ بِنَفْسِى ذَائبِ
فُؤادِى الذى فتَّحْتِ فيه مشاعراً من الحبِّ والإحساسِ شَتَّى المَذَاهبِ
سموتُ بهِ حتى تَكَشَّفَ دُونَه عَوالِمُ أُخرى تائهاتِ الجوانبِ
عوالِمُ لا تبدُو لقلبٍ مُنَقِّبٍ[4] بلا ذلِك القلبِ الرفيقِ المُصَاحبِ !
بها كلُّ لذاتِ الحياةِ ودونَها لذائذُ أُخرى كاذباتِ العَواقبِ !

* * *

أُحِبُّك إذ تَرجين منِّى رعايةً وتَهوِينَ ساعاتِ الحياةِ بجَانِبِى
هنالك نَسْمُو بالحيـاةِ فَنَرْتقِـى إلى كَنَفٍ[5] بينَ السمواتِ ضَارِبِ
هنالك نَحيـا والأمانـىُّ حَوْلَنـا تُغَـرِّدُ ألحانَ المُنـَى والرغَـائبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٠ .

(٢) تذكين : من ذكت النار : اشتد لهبها والمراد : تنمين وتقوين أو تزداد حرارة .

(٣) مضاءً : قوةً ، يقال : مَضَى السيف مضاءً : صار حاداً سريع القطع .

(٤) مُنَقِّب : باحث . (٥) كَنَفٍ : من كَنَفَ الشيء : صانه وحفظه .

تَوارُدُ خَوَاطِر ![1]

خطَرَ ببالِ الشاعر اسمٌ مُعين ، ثم نَظَر فجأةً ؛ فإذا بصاحِبةِ هذا الاسم تنظرُ إليهِ وتحييه ... !

أفأنتِ ذِى ؟ أم ذاكَ طيفُ منامِ ؟ إنى أراكِ كطائـفِ الأحـلامِ !
لما خَطَرْتِ وقد سَمَوْتُ بخاطرى ألفيتُ شَخْصَكِ كالملاكِ أمَامِى
فَدُهِشْتُ أو فَارتعْتُ أو فَتضَرَّمَتْ خَفَقاتُ قلبى المُنْتَشِى البَسَّامِ
عجباً ! أكنتِ هُنا فأوْمَضَ خَاطِرى بكِ ؟ أم سَرَيْتِ على جَناحِ غَرامِى
إنِّـى لَأومِـنُ بالغــرامِ وإنَّـــه يَقْـوىٰ على مُتَعَـذِّرِ[2] الأوهـامِ !

* * *

ماذا صنعتِ بعالَمِى وخَواطِرى لَمَّا لَقِيتُكِ كالخيالِ السَّامِى ؟
أفَأنْتِ سَاحِرةٌ تَصُوغُ من الدُّجىٰ نوراً ، وتبعثُ فى الحياةِ حُطامِى ؟
وتُحيلُ صُمَّ القافـراتِ[3] نَوابضاً بالزهـرِ ، والآمالِ والإلهَـــامِ ؟!
وتُجمِّلُ الدُّنيـا وتَخْلُقُ عَالَمـاً للخُلْـدِ فيـه مَدارِجٌ ومَسَامِ ؟
الله ! . أو فالحبُّ . فهو ظِلالهُ فى عالـمِ الأوهـامِ والأفهـامِ !

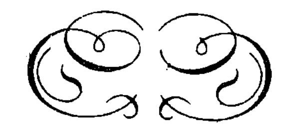
* * *

ياللقاءِ ! فكيـفَ قد حَجَّبته عن نفسِ منهومِ العواطِفِ[5] ظَامِ[6] ؟
هو هذه الدُّنيا وعَالَمُ سِحرِها ؟ هو ذلك النبعُ الجميلُ الطَّامِى ؟[7]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) متعذر : شاق عسير .
(٣) صم القافرات : المراد الأرض الفضاء الخالية من أية حياة .
(٤) مدارج ومسام : مسالك وممرات للعلو والارتفاع .
(٥) منهوم العواطف : قوى العواطف من : نَهِمَ فى الشىء : أفرط الشهوة أو الرغبة فيه .
(٦) ظام : ظامِىء : شديد العطش .
(٧) الطامى : من طما الماء : ارتفع وملأ النهر .

حَجَّبتِه عنى ، فأسفَر بغتةً بيدٍ تجىء بِمُعْجِزِ الأيــامِ !
الحبُّ ؛ ياللحبِّ ! يَرْتَجِلُ المُنى من غيرِ تدبيرِ وغيرِ نِظَامِ !
إنى وَثِقْتُ به وماهُو باخلٌ بكِ ياسعادُ بيقظتى وَمَنامِـى



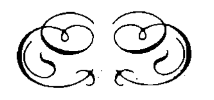
عَيْنَان[1]

هما عينان لم يدر الشاعر مدى نظرتهما ، وتصوّر أنهما تستطيع اختراق الحجب والأستار ، وعجب أى مدى يستنفد طاقة هذه النظرة حتى ماوراء الكون ، وهذه الطاقة فى تصوره لايستنفذُها بعدٌ من الأبعاد فتساءل : —

إلى أىِّ سِرٍّ بَلْ إلى أىِّ طَلْسَمِ تَوَجَّه مِنْ عينك شُعَاعُ مُلْهِمِ ؟
إلى مَخْبأِ الأَسْرارِ فى نفسِ كَاهِنٍ تُحجِّبُها أستارُ دُجْوان[2] مُظْلِمِ
إلى الغابرِ الماضِى الذى ضَاعَ رَسْمُه وغيَّبه النِّسيانُ فى تيه عَيْلَمِ[3]
إلى القابلِ الآتى الذى نَدَّ طيفهُ عن الوهمِ بل ضَلَّته رُؤيا المُنَجِّمِ
إلى حَيثُما الأقدارُ تُمضى أمورَها على خِفْيةٍ من وهمِه المُتَوهِّمِ
إلى ماوراءَ الكونِ والعالِمِ الذى يُحِطُ به رُؤيا السُّحَيْرِ المُنوِّمِ

* * *

لأَحْسَسْتُ فيها رِعدةً[4] إذْ تَوجَّهَتْ وَدَبَّ لها قَلْبى وأنكَرها دَمِى
وأَحْسَبُها قد جاوزتْ فى عُبورِها عَوالِمَ لم تُخْلَقْ ولم تُتوهَّمِ



(١) نشرت فى مايو ١٩٣٤ .
(٢) دجوان مظلم : المراد تامة الظلمة من دَجَا يدجو : تمَّ وكمُل .
(٣) عَيْلَم : بحر .
(٤) رِعْدة : اضطراب الجسم من فزع أو حمى أو غيرهما .

حَدِّثِينى[1]

رأى الشاعر سحابة من الأسىٰ على جبينها لايعلم لها سببا :

حدثينى بمستَثار شُجُونِكِ ... واكْشِفِى لي عما اخْتَفَىٰ مِنْ شئُونِكِ
حَدِّثينى بما تُكنِّينَ[2] إنى ... أنا أولى بِعبئِه مِنْ دُونِكِ
أنا أقْوىٰ على الحياةِ إذا عِشْتُ ... حَياتِي مُزَوَّداً مِنْ يقِينِكِ
ولقد عِشْتُ للمآسِى إلى أنْ ... قَدْ عَرَفْتُ السُّرورَ مِنْ تَلْقِينِكِ
ولَقَدْ عِشْتُ للبكاءِ إلى أنْ ... قد سَمِعْتُ الغِنَاء فى تَلْحِينِكِ
ولقد عِشْتُ للظلامِ إلى أنْ ... قَدْ لَمَحْتُ الضِّياءَ بينَ عُيونِكِ

* * *

حَدِّثينى عَنْ سِرِّهَا نَظَرَاتٌ ... أو دُموعٌ تَجُولُ بينَ جُفُونِكِ
حَدِّثينى عن الأسىٰ يَتَراءىٰ ... كأسِيفٍ[3] الرَّجاءِ فوقَ جَبِينِكِ
أو تعالَى لذلك الكَنَفِ[4] الحا ... نِى عليك وارْكَنِى لِسكُونِكِ
هُو أحْنَىٰ عليكِ مِنْ قَلْبِها الأمِّ ... وَأدْرَى من قَلْبِها بحَنِينِكِ
فَاغْمُرِى في عُبَابِه[5] المُتَرامِى ... مَامَضَىٰ عَنْكِ أو أتَىٰ مِنْ شُجُونِكِ
وَابْعثِيها ابتسامةً وحياةً ... مِلْؤُها السِّحْرُ والهوىٰ مِنْ فُتُونِكِ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٣٤

(٢) تكنين : تخفين أو تكتمين .

(٣) أسيف : رقيق القلب .

(٤) الكَنَفُ : جانب الشيء ، وكنفا الرجل : حضناه عن يمينه وشماله ، وكنف الطائر : جناحاه .

(٥) عُباب : موج البحر المرتفع .

خِصَام(١)

تَخَاصَمْنــــا . تخاصمْنـــــا ! كذلك يعـــــبثُ الحبُّ !
ألــيسَ الطِّفــلُ إذْ تَنْــزُو(٢) قُواه يَهُـــمُّ أو يَكْبُــــو ؟(٣)
أَلَيْسَ يُحطِّمُ اللُّــعَبَ الــ ـتى كانَ لهَـــا يَصْبُـــو ؟
ألــيسَ يَهـــزُّه الصَّخَبُ ويَحْلُــو عِنْـدَهُ الـوثْبُ ؟
كذلكَ حُبُّنَـــا يَحيَــــا وَليـــــــداً جَدُّه لعِبُ !

* * *

تَخاصَمْنــــا . تخاصمْنـــــا وإنْ لَم يَسْمَـعْ القــلبُ !
ألـــيستْ لا تُحَيِّنِــــــى ولا يُمْتِعُنـــا القُـــرْبُ ؟
ألسنَـــــا إن تَلاقَيْنَـــــا نَغُضُّ(٤) وتُسْدَلُ الحُـــجُبُ ؟
وَمـــا قُبلاتُنـــا تَتْـــرَى(٥) ولا الـرُّسُلُ ولا الكُــتُبُ
كذاكَ نَعِـــيشُ فى صَمْتٍ فلا غَزَلٌ ولا عَتْبُ

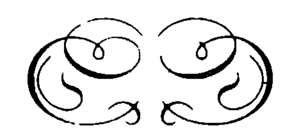
* * *

تخاصمْنـــــا . خُصُومَتُنــــا سلامٌ ثَوبُـــــــه حَرْبُ !
سلامٌ بيـــــنَ قَلْبيْنـــــا فكـــلٌّ هَائِــــمٌ صَبُّ
ونَخْسِـــــرُ فى مَظاهِرِنــــا ومِـــلْءُ وطَابِنــــا(٦) كَسْبُ !

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٤ .
(٢) تنزو : تتحرك .
(٣) يكبو : يسقط .
(٤) نغض : نكف ونخفض ، يقال : غضّ من بصره وصوته .
(٥) تترى : تتابع .
(٦) وِطابنا : جلودنا المراد : أنفسنا .

ونَظْمَـــــأُ إِن تَنَاءيْنَـــــا فَيحلُـــو الْــــورِدُ والشُّرْبُ
وتَذْكُـــو للهَـــوىٰ شُعَـــلٌ فلا يَسكـــنُ أو يَخْبُـــو
كذلك حُبُّنَـــا يَحيَـــا كذلك يَعْـــبَثُ الـــحُبُّ



بيانو وقلب(١)

هُو قلبٌ لَمَسْتِه ، أمْ « بيَانهُ » ؟	فَتَنَادتْ مِنْ جَوْفِه ألحَانُهُ
هو قلبى أجَلْ فَهذى الأغانى	هُو يَشْدُو بِها ، وذا تَحْنَانه(٢)
أم تُراه — كما أرْجو — فؤادٌ	بيـنَ جنبيكِ مُلْهَمٌ خَفقَانُه
فتلاقى القلبانِ فى ذلك اللحن	وحَـاكتْ خفقاتِهما أوزانُه
وتَراءى فى اللحن طيفُ الأمانى	مُطْبَقاتٌ على الرؤى أجْفانُه

* * *

لَحنى أنتِ خَفقَ قَلْبِى نشيداً	أنْتِ أدْرَى بما حَوىٰ وِجْدَانُه
والْمَسِى بالحنانِ قَلْبى فيشدُو	مِثْلَمَا تَلْمَسُ البنانُ(٣) « البَيَانُه »
بَلْ فُؤادِى مُلَحِّنٌ عَبْقَرِىٌّ !	لَحْنُهُ مِنْه قِطْعَةٌ وَبَنانُه
ألْهِمِيه النشيدَ وهو يُغَنِّى	لكِ لَحْنَ الخلودِ سَامٍ حَنَانُهُ
ألْهميه النشيدَ وهو يُجَلِّى	لك وادِى الخلودِ زُهْرٌ جِنَانُهُ
أطلقِيه مِن القيودِ بِلَحْنٍ	قَدْ تَسامىٰ على القيودِ افْتِنَانُهُ
ودَعِيه يَطِرْ دونَ جَنَاحٍ	غيرَ حبٍّ يَزيدُه طَيَرَانُه

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٣٤ .

(٢) تحنانه : التحنان : الحب الشديد .

(٣) البنان : أطراف الأصابع .

الظَّامِئة[1]

بِعَيْنَيْكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّمـاءِ وبِالنفسِ أَلْمَـحُ طَيْفَ القَلَـق
ففى الخَطَرَاتِ ، وفى اللَّفَتَاتِ وفى النَظَرَاتِ ، وبينَ الحَـدَق[2]
يُطِـلُّ التلهــفُ فى وَثْبَــةٍ وتَعْصِفُ ريحُ اللّظَىٰ المُحْترق
لِأَىٍّ من الأمرِ هذا التطلّع هذا التـوثبِ ، هذا الحَـرَقِ[3]
شُوَاظٌ من الشَّوْقِ ؟ أمْ جَمْرَةٌ ؟[5] من الحبِّ محمـرةٌ كالشَّفَـقِ ؟

* * *

أُحِسُّ بِأَنَّك مَلْهُوفَـــــــــــةٌ لأن تَنْهلِى كلَّ مَعْنَى الغَرَامِ !
وأن تَنْهبِى النورَ من فجـرِهِ وأن تَسْلُبِى زَفَـرَاتِ[6] الظَّـلامِ !
وأن تَقْطِفى كلَّ زَهـرِ الرُّبـا وأن تَرشُفِى كلَّ قَطْرِ الغَمامِ
وتَسْتَوْعِبِـى كلَّ وَحْـى الحيـاةِ من الشَّجْوِ والوَجْدِ أو الابتسامِ
تَفَتَّـحَ فيكِ شُعــورُ الحيـــاةِ فَشَفَّكِ مِنهَـــا الهوىٰ والأُوَامِ[7]

* * *

إلـــىَّ إلـــىَّ ؛ ولا تَجْفَلِـــى[8] فإنى ظمِئتُ لِمـا تَظْمَئِيـــنْ
وأحسبُنِـى كنتُ أهْفُـو إلـيك كما كنتِ لى فى المُنى تَرقُبِينْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) الحَدَق : مفردها الحَدَقَة : السواد المستدير وسط العين .

(٣) الحَرَق : النار .

(٤) شُواظ : لهب لا دخان له أو وهج الحر .

(٥) جمرة : قطعة ملتهبة من النار .

(٦) زفرات : المراد : أنفاس .

(٧) الأُوام : حرارة العطش .

(٨) لا تجفلى : لاتنزعجى ولا تفزعى .

وشَطَّتْ بِنــا بدواتُ اللِّقــاءِ وضَلَّتْ بِنَـا خُطَـواتُ السِّنيـنْ
إلى أنْ لِقيـــتُكِ فَتانـــــةً فحرّكْتِ منى اشتياقِى الدَّفينْ
تَعالَـى نروّ ظِمَــاء السنيــنِ تعالَـى نَعِشْ للمُنـى والفتُونْ



لِماذَا أُحِبُّكِ !؟[1]

أُحِبُّكِ حُبَّ الهوىٰ والجُنونِ أحبُّك حبَّ الرَّشَادِ الرَّزِينْ
أحبك بالقلبِ فى وَقْدَةٍ أحبكِ بالعقلِ جَمّ السُّكُونْ
وتَبدينَ فى قلبِى المستطارِ[2] كما تُسْفرينَ[3] بفكرِى الرَّصِينْ[4]
ففيك تَلاقَىٰ الهوَى والهُدىٰ وشَابَه فيك الرشادُ الجنونْ
فأما ازْدَهانِى[5] بحبِى الفتون رَكَنْتُ بِه للحِجَا[6] واليقينْ

* * *

لماذا أحبكِ ؟ هل تَفكرِينَ ؟ ومَاالسرُّ فى الأمرِ ؟ هل تَعلمينْ ؟
أَلِلحُسْنِ ؟ كَم قد لَقِيتُ الحِسَانَ فَما هِجْنَ بى وَمْضَةً مِن حنينْ
أللعطفِ ؟ إنى القوىُّ العطوفُ فمـا أرْتَجِى رحمةَ العاطِفينْ
أللنظـــراتِ ولِلَّفتـــاتِ وللسِّحرِ فى مُهْجَتِى تَسْكُبِينْ[7]
وشتىٰ الخلالِ وشتىٰ السِّماتِ ؟ لقد طالَما اجتمعتْ لِلمئينْ[8]
إذَنْ فلأىِّ المزايـا يكـونُ هَواى وحُبِّى ؟ هَلْ تُدْرِكِينْ ؟

* * *

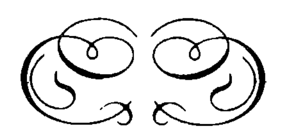
ألا فاعلمِى الآنَ عِلْمَ اليقين سأَكْشِفُ عن سِرِّ حُبِّى الدَّفِينْ
لقد لَجَّ[9] بي قبلَ هذا ، السكونِ وقد آدنِى[10] الصمتُ ، صمتُ الحَزِينْ

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) المستطار : المفزوع .
(٣) تسفرين : تشرقين وتضيئين .
(٤) الرصين : الثابت .
(٥) ازدهانى : ازدهى : أخذته خِفة من الزهو (الافتخار والكِبْر) وغيره .
(٦) الحجا : العقل .
(٧) تسكبين : تصبين .
(٨) للمئين : للمئات .
(٩) لجَّ : لازمه ولم ينصرف عنه .
(١٠) آدنى : أجهدنى .

وقـد عِشْتُ للجِــدِّ ، جِدِّ الرصيــــنِ أهُــمُّ وأكبُـــو[11] بعبءِ السِّــنينْ
إلى أنْ لَقِيتُـــــــكِ خَفَّاقَـــــــةً تَوَقَّــدَ فيك الهَــــوىٰ والفُتُـــونْ
فأنتِ هُنــــا فَرْحَــــةٌ تَمْرَحِيــــنْ وأنتِ هُنــــا نَشْوَةٌ تَقْفِزِيــــنْ
وأنْتِ هُنـــــا جمرةٌ كاللّظَـــــىٰ وأنتِ هُنــا شُعْلَـــةٌ تُومِضِيــــنْ
فأكمَـــــلَ هذا المراحُ الطـــروبُ هدوءَ الحزيـــنِ وجِــدَّ الرَّصيــــنْ
وأعجبنـــــى حُسْنُ هذا الكمـــالِ وإنى عليــه الحفيــــظُ الأميــــنْ

* * *

لهذا أُحـــبُّكِ : هل تَفْكِريـــــنَ ؟ وهــذا هو السرُّ . هل تَعْلَميـــنْ ؟



(١١) أكبو : من كَبَا يكبُو : انكب على وجهه : عثر وسقط .

رَسُولُ الحياة[1]

أفــى كلِّ لُقْيَــا شُعــورٌ جَديــدٌ ؟ وفى كلِّ قُرْبٍ ظِمَــاء يَزِيــدْ ؟
أفى كلِّ يومٍ أرى عَالَمــاً مِنَ الحبِّ يَنْسُبُنا للخُلودْ ؟
وألقاكِ والكونُ قفرٌ جديبٌ فتنبضُ فيه المُنى والوُرُودْ
ويَخْفُقُ بالحبِّ قلبُ الحَياةِ وتَشْدُو هَواتفُهــا بالنَّشيــدْ
كَأنَّ الحيــاةَ وآمالَهــا إذَا مَالقِيتُكِ خَلْقٌ جديــدْ
هو الحبُّ لا القَــدَرُ المستطيــلُ[2] يُقَسِّمُ فى الكونِ شَتَّى الجُدودْ[3]
فيمنــعُ فالكــونُ شاكٍ شَقِــيٌّ ويمنــحُ فالكــونُ راضٍ سَعيــدْ !
ويَنْبِــضُ فالكــونُ فى نَشْوةٍ ويَجْمُدُ فالكــونُ جاثٍ[4] بَليــدْ !

* * *

لَقِيــتكِ خَفَّاقَــةً كالرجـاءِ فذكَّرْتِنــى أنَّنــى بَعْــدُ حَيْ
وجَـاشَ بِنَفْسِي شعــورُ الحيــاةِ وفتّحتُ فى رَجْفَــةٍ[5] مُقْلَتَــيْ
أقــلِّبُ عينــى بهذا الوجــودِ وترتادُ رُوحــى منــه الخَفِــيْ
فيــا للجمــالِ ، وياللغِنَــاءِ ويــا للخواطــرِ تهفُــو إلَــيْ !
ويالِــى مِنْ ظَامِــىءٍ لاهــفٍ ويــالى مِنْ عَاشِقٍ عَبْقَــرِيْ !
يحيــلُ الحيــاةَ إلى فتنــةٍ وأصداءَهــا لنشيــدٍ شَجِــيْ[6]
ويُطْــرِبُ بالشعــرِ قَلْبَ الحيــاةِ وَيَنْفَحُهــا بالــرِّضا القُــدْسِيْ
ومــاأنتِ إلا رسولُ الحيــاةِ وحــبُّكِ مُعْجِــزَةٌ مِنْ نَبِــيْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) المستطيل : المُترفع أو المُتفضل .
(٣) الجدود : الحظوظ .
(٤) جاث : من جثا يجثو : يركع فى ذلة .
(٥) رجفة : اضطراب .
(٦) شجى : حزين .

سِرُّ انتصارِ الحياة(1)

أطِلِّـــى بِطَلْعَـــتكِ السَّاحـــرةِ وحَيِّـــي بنظـــرتِكِ الشَّاعـــرهْ
أفـيضِى على الكـونِ فيضَ المِـراحِ وغَذِّيـه بالقـــوةِ الطَّافـــرةِ(2)
ومـــالكِ أنتِ ؛ ومـــا للسُّكُـــون ؟ ومـــاأنتِ إلا القُـــوىٰ الثائـــرهْ
قُوىٰ الحبِّ تَنْـبِضُ بيـنَ القِفَــارِ فتغـــــدُو القِفَـــارُ بها ناضرهْ
وتنفـــخُ فى ساكنـــاتِ القُلـــوب فتغـــــدُو سَواكِنُها نَافِـــــرهْ
وتهتـــــفُ للصُّمِّ بالأغنيــــاتِ فَيْصغُـــون للنَغْمَـــةِ السَّاحِـــرهْ

* * *

ألستِ التـــى نَبضَتْ « بالوجـــودِ » فشقَّ قُوى « العَـــدَمِ » السَّاخـــرهْ
بلى ! أنتِ سرُّ انـتصــــارِ الحيــــاةِ على الموتِ فى الوقعــــةِ الظافــــرهْ
هُنـــا لك من قبـــلِ ميلادِهـــا وكانتْ مغيبــــــةً حائـــــــرهْ
وكـــــنتِ نواةً بها ضَامـــــرةً(3) فعـــدتِ حيـــاةً بِهـــا سَافـــرهْ



(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) الطافرة : من طَفَر : قفز ، وطفر الشيءَ : قفز من فوقه وتخطاه إلى ما وراءه .
(3) ضامرة : القليل اللحم الرقيق : هزيلة .

المُعْجِزَة[1]
أو
السَّهمُ الأخير

مَنَحْتِنِى اليومَ ما الأقدارُ قد عجزتْ ... عن منحِهِ ، وَتَنَاهى دونَه أملِى !
منحتِنِى الحبَّ للدُّنيا التى جَهِدَتْ ... فى أن تُميلَ لها قلبى فلمْ يَمِلِ !
وكلما قرَّبَتْنِي ، قلتُ : خادعةٌ ! ... وكلّما طمأنْتنِى ؛ قلت واوَجَلِى[2] !
ويغمرُ الشكُّ نَفْسِى كلما كشَفَتْ ... عن فاتِنٍ من حُلاهَا غيرِ مبتذَلِ
حتى خَسِرْتُ من الأيَّامِ ماغبَرتْ ... به السُّنونُ ، وحتَّى عقَّنِي أجَلِى

* * *

واستَلْهَمَتْ هذه الدنيا طبيعَتَها ... فى مُعْجِزٍ مِنْ قُواها قاهرٌ حانِ
فأبدعتْكِ جَمالاً كلُّه ثِقةٌ ... يؤلِّفُ الحبَّ من وَحيٍ وإيمانِ
وأودعتْكِ رَحيقاً من خُلاصتِها ... ومنبعُ السِّحرِ فيها جَدّ فتَّانِ
وأرسلتْكِ يقيناً فى طَلائِعها ... منيرةً فى دُجى عَقْلِى ووجْدَانِى
فكنتِ آخرَ سهمٍ فى كِنَانتِهَا[3] ... وكنتِ معجزةً من خَلْقِ فنانِ

* * *

والآن أُخْلِصُ للدنيا وأمنَحُها ... حبِّى ، وأُدْرِكُ مافيها من الفِتَنِ
والآن أنظرُ للدُّنيا وأنتِ بها ... كعاشقٍ بهواها جَد مُفْتَتِنِ
والآنَ أعْمَلُ للدُّنيا على ثقةٍ ... بأننى قَلْبُها الخفَّاق فى الزمنِ !
والآن أنصتُ للدُّنيا فَيُطْرِبُنِي ... من صوتِها العذبِ لَحْنٌ سَاحِرُ اللَّحَنِ
لكِ الحياةُ إذنْ مادمتِ مانحةً ... لِىَ الحياةَ بلا أجرٍ ولاثمنِ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) واوَجَلِى : واخوف أو فزعى .

(٣) الكنانة : ما تحفظ فيها السهام .

اللحنُ الحزين[1]

أسي[2] الألحانِ أمْ هذا ؟ أساكِ يسيلُ فى اللَّحْن ؟
وإلا هذه نَفْسِي تهيمُ بِعَالَمِ الحُزنِ
فَتُوحِي النفسُ للأذنِ ؟

وأين نشيدُكِ الراضِي ؟ وأينَ نشيدُكِ العَذْبُ ؟
وأين الفَرْحَةُ النَّشْوىٰ ؟[3] وأين القفزُ والوثْبُ
يذكِّي[4] وَقْدَةَ الحبِّ ؟

سَمِعْتُكِ أمسِ لم أسْمَعْ سِوى نبراتِ أسْفَانِ[5]
وغنوةِ عاشقٍ يَئِستْ مُنَاه من الهوىٰ الفَانِى
فَأنَّ[6] فؤادُه الحانِي

هى الأوتارُ عَالِمةٌ بما فى قلبِكِ المُفْعَمِ ؟[7]
وإلاَّ أنت مُوحِيةٌ لها تَرنِيمةَ المؤلِمِ
تَمَسُّ القلبَ كالبَلْسَمِ[8]

بربكِ عَلِّمِى اللحْنَا يُرجِّعُ غِنْوةَ الأمَلِ
ويُبْهِجُ هذه الدُّنيا ويبعثُ نشوةَ الجَذِلِ[9]
فَيَدْعُو الكونَ للعملِ

أجلْ ياخطرةَ الفَنِّ برأسٍ مُفكِّرٍ سَامِ[10]
وغايةَ كلِّ فَنَّانٍ يُنَاجِى حُسْنَ أوهامِ
أجَلْ ياسرَّ إلْهامِى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤
(٢) أسَى : حزن .
(٣) النشوى : السكرى من شدة الفرحة .
(٤) يذكى : يشعل ويلهب .
(٥) أسفان : حزين .
(٦) فأنَّ : من أنَّ يَئِنُّ أنينا : تألّم .
(٧) المفعم : المملوء .
(٨) البلسم : الدواء الشافى .
(٩) الجذل : الفرحان .
(١٠) سامٍ : سامى :عظيم القدر .

الغيرة[1]

إذا كان الشاعر صادقا فى شعوره . صادقا فى التعبير عنه ؛ كان فى الشعر مجال للدراسة السيكلوجية ؛ فوق الدراسة الفنية .

وفيما يلى مقطوعتان من الشعر فى موضوع واحد يفرق إحداهما عن الأخرى يوم واحد ولكن الفرق بين روحيهما بعيد !

ولا يهمنى أن أدرسهما من الناحية الفنية . فذلك شأن القراء . إنما يهمنى أن أدرسهما من الوجهة النفسية ذلك أن مبعثهما هو « الغيرة » وهى عامل نفسانى بحت .

* * *

فَهِمتْ هى ! أن الشاعر يتوجه إلى شقيقتها بقلبه . فى حين لم تكن إلا مجاملة . فآلمها ذلك ولكن لم تُرِدْ أن تبين سبب الألم ؛ لِدقة الموقف ؛ وإن أشارت إليه من بعيد .

وبدت كاسفةَ البالِ واجمةً يتراءى فى عينيها الرجاء الأسيف ؛ والأمل المكلوم ؛ والريبة التى تهرب منها فتلاحقها .

ورأى هو هذا الشعور فأخرج المقطوعة الأولى تحس فيها عطفه على ارتيابها ؛ واطمئنانه لهذا الارتياب لأنه وثيقة على حبها له أو لأنه كما يقول :

فلـــولا اعتـــزازُكِ بالحبِّ لم تُثُرْ فى فؤادِكِ تلكَ الرِّيبُ

ولكن هذه الريبة تَجَسَّمَتْ فى نفسها ؛ ومضى يوم كامل لم تعد فيه إلى يقينها . فكانت المقطوعة الثانية ، وكان ما يشبه التَبَرُّمَ بهذا الشك منها حيث لا مبرر

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

للشك ! .

* * *

الغيرة تَلَذُّ الرجل أول مرة لأنها وثيقة الحب ولكن حين تَلِجُّ فيها المرأة قد يتبرم بها ، لأنها تكون طعنة للحب !

— ١ —

غَضِبْتِ فيالَكِ مِن غَاضِبةِ ! وأرْسَلتِهــا نَظْـــرةً عاتبـــةْ
يُتَمْتِـمُ فيها الرجاءُ الأسيفُ[2] وتجأرُ[3] فيها المُنى الوَاثِبـةْ !
وفيها هُدوءُ الرِّضا المُطْمَئـنِ تُمازِجُـه الـغيرةُ الصَّاخِبـةْ !
تُطِلُّ بِهـا الذكريـاتُ العِـذابُ وتَرْجِـعُ مُجْهَـدةً لَاغِبَـةْ[4]
وفيها فُتُـــورٌ[5] ولكنَّـــه فتـــورٌ به قوةٌ غَالِبـــةْ

* * *

ولكـن بِهـا بعـدَ هذا وذاكَ فنونُ الهوىٰ والجمالِ العفيفْ
وفيها من السِّحْــرِ أطيافُــه بعينيك ألْمَحُهَـا إذا تطيـفْ
لألهمتنِــى السرَّ لما نظـرْتِ إلىّ بهذا الفُتورِ الشُّفُـوفْ[6]
وحدثتنى فى خُفوتٍ عجيبٍ بما أضمرتْه لُغاتُ الطيـوفْ
ولولا شعورِى بحبِّى العطوفِ لأحببتُ فيكِ الشعورَ الأسيفْ !

* * *

قد انتصرَ الحبُّ . ياللانتصار بهذا العتـابِ وهـذا الـغضبْ
وَثِقْتُ من اليـومِ فى حُبِّنَـا وأنك تَرْعِينَـــه فى حَدَبْ[7]
فلـولا اعتـــزازُك بالحبِّ لم تَثُرْ فى فؤادِكِ تلك الـرِّيَبْ

---

(٢) الأسيف : الحزين .

(٣) تجأر : ترفع صوتها : تضرع واستغاث .

(٤) لاغبة : مُتعبة من لَغَبَ يَلْغَبُ : تعب وأعيا .

(٥) فتور : سكون بعد حدة ونشاط : لَانَ بعد شدة .

(٦) الشفوف : من شَفَّ يَشِفُّ شُفُوفا : رَقَّ حتى يُرى ما خلفه : نَحَلَ ودَقَّ من همٍّ أو مرضٍ .

(٧) حَدَبٌ : عطف .

إِذَنْ فاطمئِنِّـى فهـذا الفــؤادُ يحبُّكِ فى وَقْــدةٍ كاللــهبْ
يحبُّكِ إِى وجمال الـــغضبِ يحبُّكِ إِى والهوىٰ المُلْتَــهِبْ

— ٢ —

حَدِّثِينى أمـا تَزالين غَضبىٰ ؟ أوَ مَازَالَ مِلْءِ نَفْسِكِ رَيْبَا ؟
ولماذا الوقارُ والصمتُ يُضْفِـى بعدمَا كنتِ لِى مَراحاً وَوَثْبَا ؟
كانَ بالأمسِ كالعِتَـابِ جميـلاً ماله اليومَ لَمْ يَعُدْ مِنْكِ عتْبَا ؟
صَمَتَ الكــونُ مُذْ صَمَتِّ ونَـــامَتْ صادِحاتٌ تُردِّد اللحـنَ عَذْبـا
أنـا أخْشَىٰ ولا أُصرِّحُ مَاذا أنا أخْشَى ؛ فما أزال مُحبًّا !
اِبْسَمِـى تَبْسَمُ الحيـاةُ وتَـرْضَىٰ وامْنَحِينى اليقينَ . أمْنَحْكِ حُبَّـا



مَصْرَعُ حُبّ ![1]

خامر الشاعر الشك فيها بسبب أخبار تناهت إليه عن الماضى فقال : « ليلة الشك » وبات هذه الليلة فى الجحيم حتى لقد فضل اليقين ولو جاءه بالفقدان على هذه الحيرة الطاغية .

أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدَانِ مُؤثِراً فيه وَاضحَ الآلامِ

ثم خاطبها فى هذا الشك فلم ترد له نفيا فكان « اليقين » الذى طلبه حتى إذا جاءه قال فيه .

أيهذا اليقينُ إنّك قاسٍ ما تطلبتَ كلَّ هذا المُصَابِ !

ولكنه صمد له لأن الرجل قد يفضل اليقين الأليم على الحيرة الطائرة .

وإذا هو بعد ذلك يشعر بالفقدان فيكتب « الجنة الضائعة » فيها ألم ؛ ولكن بها عفة عن جنة « تَجُوسُ فيها الذئاب » وإن كان يتمنى لو فقد جنته هذه وهى « مؤمنة عَامِرة » حتى لا يفقد ذكراها كذلك . فيتضاعف الفقدان ، وهنا يبدو إحساسٌ نادرٌ ؛ فقد يود بعض الناس إذا فقدوا شيئا أن يفقدوه محطما لا قيمة له ، على عكس ما يريد الشاعر .

* * *

المرأة سريعة التشكك ؛ ثائرة الغيرة ؛ ولكنها سريعة التصديق لا تَجْنَحُ لليقين إذا كان هذا اليقين يفجعها فى الحب ، بل ربما هربت من اليقين ، وتعلقت بالأوهام .

والرجل بطىء التشكك ؛ هادىء الغيرة ، ولكن الشك الذى يداخل نفسه ، بطىء الزوال ، وقد يفضل اليقين المؤلم ، على التعلل بالخيال .

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

— ١ —

ليلةُ الشَّك

ليلةُ الشكِّ والأسَىٰ والظَّلامِ / وجحيمَ الإقدامِ والإحجامِ
والعذابِ المُمِضِّ (٢) لم يُتَصوَّرْ / فى وعيدٍ أو خَطْرَةِ الأوهامِ
قد تركتُ الماضى حَصيداً هَشِيمَا (٣) / ونَضيرَ الآمالِ مثلَ الحُطَامِ
عن عِذابِ الآمالِ قَدْ أتَعَزَّىٰ / وما عَزائي عَمَّا مَضَىٰ مِنْ غَرامِى ؟
ليتنى أستطيعُ أنْ أُرجِعَ الما / ضِى فأُحْيي ما ضَاعَ مِنْ أيامِى
ليلةَ الشَّكِّ هل مضيتِ ؟ فإنى / لم أزلْ بَعدُ غارقاً فى الظَّلامِ
والهوىٰ المُشْرِقُ المنيرُ تَهاوَىٰ / فى خِضَمٍّ (٤) الدُّجَىٰ العميقِ الطَّامِى
والحياةُ التى تفيضُ مِرَاحاً / قد تَبدَّدتْ فى ذِلَّةِ الأيتامِ
وَمَشىٰ الحبُّ مُطْرِقاً (٥) يَتَوارَىٰ / كَحَيىٍّ يَنُوءُ (٦) تحتَ اتِّهامِ
ليلةَ الشَّكِّ قَدْ طَمَسْتِ حياةً / مِنْ رَجاءٍ صِيغَتْ ومِنْ إلهامِ
لَهفَتِى لليقينِ يَغْمُرُ نَفْسِى / لَهفَتِى للهدوءِ بعدَ اضطرامِ
أنا أشْرِى اليقينَ بالفُقْدانِ / مُوثِراً فيه واضحَ الآلامِ

— ٢ —

اليقين

اليقينَ اليقينَ بعدَ ارتيابِ / الهدوءَ الهدوءَ بعدَ اصطخابِ
اليقينَ اليقينَ أطلبُ فيه / راحةَ اليأسِ من جحيمِ اضطرابِى

---

(٢) الممض : المؤلم .
(٣) هشيما : اليابس المحطم .
(٤) خضم : بحر .
(٥) مطرقا : من أطْرَقَ : سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما .
(٦) ينوء : يعجز .

أيهذا اليقيـــــــــــنُ إنّك قاسٍ ... ماتَطلـــبتُ كلَّ هَذا المُصــابِ !
أيها الشكُّ رُبّمــــــــــــا كنتَ خيراً ... من يقينٍ كالجَدْبِ بين اليبابِ (٧)
حَيْــرَةَ الشك ، هَدْأةَ اليــأسِ ، هَلا ... لحظــةً تتــركانِ نَفْسِى لِمــا بِى
لحظـــــــةً تُخْلِيــــــانِ فيها فؤاداً ... مَلَّ وقــعَ اليقيــنِ أو الارتيـــابِ
ثم ماذا ؟ ومـــا الهروبُ ؟ وهــــذا ... واقـعُ الأمــرِ ، ما لهذا التَّغابِــى ؟
يا يقينــي إلــىّ . إنى حَفِــىٌّ (٨) ... بيقيـــنٍ شَرَبْتُــه بِلُبَابِـــى
بدمـــائى التــى بُذِلَتْ ، بِدَمْعِـــى ... برجـــائى المُنَـــوّرِ الوَثّـــابِ
أنتَ أغلى عَلـــــــىّ مِنْ كلِّ هذا ... يَايَقِينـــى ، ومُـــــرْشِدِى للصوابِ

ـــ ٣ ـــ

الجنةُ الضَّائِعة

فَقَـــدْتُكِ ياجَنَّتـــي السَّاحـــرةَ ... وغـــادرتُ أفيـــاءَكِ العاطـــرهْ
وهِـــمْتُ تُشَرِّدُنى المُقْفِـــراتُ ... وتَلْفَحنـى كاللظَّـــى الهاجـــرةْ (٩)
وتَــعْصِفُ فى نَفْسِى العاصفـــاتُ ... وتَنْهَشُهـــا الــوَحْشَةُ الطَّافِـــرَهْ
وقَـدْ طَمَسَ اليــأسُ نَهْــجَ الرَّجَــاءِ ... وغَشَّ الـــبصيرةَ والبَـــاصِرهْ
فلا الظَّـــنُّ يَلْمَــعُ مِثْـــلَ السَّرابِ ... ولاَ العِلْـمُ يُرْضِى المُنَـــىٰ الحَائِـــرهْ
هو اليـــأسُ أو فاليقيـــنُ الأليـــمُ ... وبـــعضُ الحقائـــقِ كالكَافِـــرهْ
فيـــا لليقيـــنِ المُـــمِضِّ اللَّجـــوُجِ ... ويَـــا لحَقيقتِـــه الجَائِـــرهْ
فَقَـــدْتُك ياليتـــى إذ فَقـــد ... تُك كنتِ مؤمنـــةً عَامِـــرهْ
لَعـــزَّيْتُ نَفْسِى بالذكريـــــاتِ ... وأودعتُ فِرْدَوسِى الذّاكـــــــرهْ
ولكـــن فَقَـــدتُك نَهْبَ الذئـــابِ ... تجـــوسُ خِـــلالَكِ كالآسِـــرهْ
ونهبَ القَشَاعِمِ (١٠) والجارحـاتُ (١١) ... تخطِـــــفُ أثمارك النّـــــاضِرهْ
ونهبَ المطامِـــــعِ والمغريـــــاتُ ... تُدَنِّسُ نِيَّـــتَكِ الطَّاهِـــــرهْ
فقــــدتُك فى النـــــفس أنْشُودةً ... ومعنـــىٰ من الفتنـــةِ السّاحـــرهْ
فقـــدتُك ذِكْـــرى فواحسرتَـــاه ... لِفَقْـــدِ مِنِ العيـــنِ والخاطـــرهْ

---

(٧) اليباب : الخراب .

(٨) حفى : مُعتنٍ ومهتم .

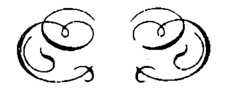
(٩) الهاجرة : القيلولة : شدة الحر .

(١٠) القشاعم : النسور الضخمة الذكور .

(١١) الجارحات : الطيور الجارحة .

الحنينُ والدُّمُوع (1)

جَفَّ قَلْبِى منَ الحنينِ فَغَــاضَتْ (2) عَبَــراتى وأقفــرتْ مُنْــذُ حِيـــنِ
وحسبتُ الدمــوعَ ذِكْــرى توارتْ بينَ ماضِى حياتِـى المَكنُـونِ (3) !
وإِذا بِى أُودِّعُ اليــــومَ عَهْــــدَاً فتفــيضُ الدمــوعُ مِلْءَ الجفُــوُنِ
فى انسكابٍ (4) يَغُضُّ (5) من كِبْرِيَائى واضطرابٍ يرتـاعُ مِنــهُ سُكُونِــى
يادمــوعَ الوفــاءِ أَنْتُــنَّ أغْلَــى أن تُرَقْرَقْــنَ للوفــاءِ الغَبيـــنِ (6)



---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) غاضت : نضب : انتهى : جفّ .
(3) المكنون : المستور .
(4) انسكاب : من انسكب : انصَبَّ وسال .
(5) يغض : ينقص : يقلل .
(6) الغبين : الناقص : الضعيف : الخادع وهو المراد

اللُّغْز (١)

خَفَقَ القلبُ الذى مَسَّتَ يدَاكِ — جانبيَه ؛ فى جنونٍ واضطرابِ
أكـذا يَهْتَاجُنِـــى مَسُّ هواكِ — وأنا الهادِئُ فى مَورِ (٢) العُبَـابِ ؟ !

* * *

عجبـاً ! ما السِّرُّ فى خفقتِـــه.. ؟ — إننـــى أسْأَلُكِ السِّرَّ الدفيـــنْ
أنت أدْرَىٰ بالـــذى أودَعتِــــه — فيـه من حبٍّ ، ووَجْـدٍ ، وحَنِيـنْ !

* * *

إن قلبى لم يكـنْ يَنْـزُو (٣) ، فمـاذَا — سَالَ فى كفِّكِ مِنْ سِحْرٍ عَجيبِ ؟
أهـو اللُّغْــزُ الــذى تَحْويــنَ هذا ؟ — أم هى الفتنـةُ مِفْتَـاحُ القُلُـوبِ ؟

* * *

إيــه !. إنى فى اضطــرابى قَدْ نَسِيتُ — مَبْعثَ الفتنةِ فى عينيك تيْــنِ !
تُضْمِـرَانِ السِّحْـرَ يُحيى ويُمـــيتُ ؟ — وهما سِرُّ اتصالِ المُهْجَتَيْـــنِ

* * *

سِحْـرُكِ المجهـولُ أمْسَكْتُ عَصَاه ! — فإذا شئتُ اتقـــاءً أتَّقِيـــه !
لكـن السِّحْـرَ الــذى تَاهتْ رُقَـاه — إننـــى أهفُـــو إلى الإخــلادِ فيــهِ

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) مور العباب : تحرُّك الأمواج .
(٣) ينزو : من نزا ينزو : وثب ، ويقال : نزا به قلبه إلى الشيء : طمح ونازَع إليه .

قُبْلَة (١)

أهــى الــنَّشْوةُ أم وَقْــدةُ جَمْـــرٍ ... إننى أحسستُها تذكُو (٢) بِصَدْرِى
وبرُوُحـــى لَهْفَـــةٌ تَبعثُهــــا ... هذه القبلـةُ من أعــذبِ ثَغْــرِ
قُبْلَـــــةٌ ! ما هذه القُبْلَــــة إذ ... تنقلُ الدُّنيا إلى عالــمِ سِحْــرِ ؟
وتُحيــلُ الجسمَ والـــرُّوحَ معــاً ... شعلـــةً طائفـــةً لم تَسْتَقِــــرِ
بل تُحيلُ الجسمَ والرُّوحَ شَذَىٰ (٣) ... من عبيرِ الخُلْدِ أو مِسْكَةِ طُهْــرِ

* * *

لم أُحِسَّ الــرُّوحَ منـــى مُثْقَـــلاً ... بهمومِ الجسمِ إذ هَوَّمَ (٤) يَسْرِى (٥)
لم أُحِسَّ العُمْــــرَ إلا خَفْقَـــــةً ... فى فُؤادِ الدَهـــــرِ قد فَاضتْ بِبِشْرِ
وأرى الماضِى أضْحَــــىٰ لحظـــةً ... بعد ماقَدْ كادَ أن يُنْقِضَ ظَهرِى (٦)
وتطلَّـــعْتُ بعيـــنِ المُنْـــتَشِى ... لجمالِ الكــونِ فى نَشْوةِ سُكْــرِ

* * *

أهــى القُبْلَـةُ من ثَغْــرٍ لِثغـــرٍ ؟ ... أم هى الخَطْرةُ مِنْ وَحِى لِفكْـرِ ؟
أم تُراهـــا قُبْلــةَ النـــورِ التـــى ... فاضَ منها النـــورُ فى أولِ فَجْــرِ ؟
حينما رفـــرفَ والكــــونُ دُجَـــىٰ ... رُوحُ ربِّ الكونِ فى لُجَّةِ (٧)غَمْـرِ (٨)
فتجلّـــىٰ النــــورُ فى بَرٍّ وبَحْـــرِ ... وتَــراءىٰ الـحُسْنُ فى طيـــرٍ وزَهْــرِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) تذكو : تنمو وتلتهب .
(٣) شذى : الرائحة الطيبة .
(٤) هوّم : نام نوما خفيفا .
(٥) يسرى : ينتشر .
(٦) ينقض ظهرى : يثقل ظهرى .
(٧) لجة : موجة .
(٨) غمر : ماء .

دَاعِي الحياة[1]

يَخفُقُ القلبانِ ، بل تَهفُو الشِّفاه　　مُنذُ أن ضَمَّتْكِ فى شَوْقٍ يَداه
مُنذُ أن رَنَّ صَدَاها ، قُبْلَةً　　نَهِلَتْ مِنها وعَلَّتْ شَفَتَاه
وارتوتْ رُوحَاكُما بَلْ ظمِئتْ　　برحيقِ القُبُلاتِ المشتهاه
بَلْ رحيقُ الخُلْدِ قَدْ طَابَ جَنَاه　　وسَرَىٰ فيه حُلاه وشَذَاه

* * *

يَخفُقُ القلبانِ ؛ بل تَهفُو الشِّفاه　　حينَ يَلْقَى ناظِرَيك نَاظِرَاه
حينما يَسْتَعِرُ[2] الحبُّ جَوىً[3]　　يَكْتَوى القلبانِ مِنْ حَرِّ لَظَاه
فَيُرجِّى كلَّ ثَغرٍ قُبْلَةً　　هى بَردٌ للحنَايا والشِّفَاه
مثلما يَطْلُبُ رِيًّا ظَامِىءٌ　　ينظرُ الماءَ ولايَبْلُغُ فَاه

* * *

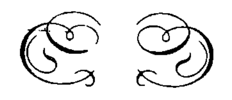
يخفُقُ القَلْبانِ ؛ بل تَهفُو الشِّفَاه　　كلما بَشَّرَ بالحبِّ الهُدَاه
كلما نَادَىٰ حَىَّ هَلا　　يَقْطِفُ المحرومُ ماطَابَ جَنَاه
مَا لِمَحْرومَيْنِ لم يَسْتَمِعَا　　ذلك الصوتَ الذى دوَّى صَدَاه
إيه هيا ؛ فَلْنُجبْ دَاعِي الشِّفاه　　فهوَ داعِي الحبِّ ؛ أو دَاعِي الحياةْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) يستعر : يشتد : يلتهب .
(٣) جوى : شدة الوجد والشوق .

تَحيةُ الحياة[1]

شَفَتَاىَ تَخْتَلِجَانِ[2] للتقبيلِ ؟ في كلِّ مُطَّلعٍ لديكِ جميلِ
ظَمأٌ الشِّفاهِ طبيعةٌ أُلْهِمْنَها منذ ارْتَوَيْنَ بثغرِكِ المَعْسُولِ
ظَمَأٌ تُؤَجِّجُه[3] القلوبُ خَوافِقاً تَنْزُو بعارمٍ[4] لهفةٍ وغليلِ
من يومِ ما التقتِ الشِّفَاهُ فَحدَّثَتْ عن حُبِّنا بسواحِرِ الترتيلِ !
أفتذكرينَ وقد ضَمَمْتُكِ والهوىٰ يُغْرِى ويُوقِظُ خاطِرَ التقبيلِ ؟
والكونُ يُمْسِكُ خَفْقَه مُنْتظِراً قبلاتِنا في لَهْفَةٍ وذُهولِ[5]
هُو عاشقُ القُبلاتِ ! إنّ رَنينَها لَحْنٌ يُنَبِّهُ فيه كلَّ خُمُولِ
وهى الحياةُ إذا تُحيِّى قُبْلَةٌ رَمْزاً على الترحيبِ والتَّأْهِيلِ
أفلا نَرُدُّ على الحياةِ تحيةً مَاعقّها في الكونِ أىُّ بخيلِ ؟
أفلا نُرَجِّعُ غِنْوةَ التقبيلِ ! وتحيةَ الدُّنيا لخيرِ نَزيلِ ؟[6]



(1) نشرت في ١٩٣٤ .
(2) تختلجان : تضطربان وتتحركان .
(3) تؤجِّجه : تشعله : تزيد نارَه .
(4) عارم : شديد .
(5) ذهول : دهشة وتعجب .
(6) نزيل : ضيف .

الخَطَر[1]

بيـــنَ التلــــفُّتِ والحَـــــذَر   خَطَـــرتْ تُبَشِّرُ بالخَطَـــرْ !
بُشْرَىٰ ! فمـــا دامتْ هُنَـــا   فعـــلامَ تَقْرُبُنـــا النُّـــذُرْ !
وتشيـــــرُ للمتنظِّــــــرينَ   إشَارَةَ اللَّبِـــقِ[2] الحَـــذِرْ !
لتضيــــعَ منـــى قُبْلـــةٌ   لبـــثتْ بِفيها تَنْتَظِـــرْ !
ولبـــثتُ أرقُبُ قَطفَهـــا   من بَعْـدِ مانَضِجَ الثَّمَـــرْ
هو ذاك ياقـــلبُ الخطَـــر   لا الناظـــرونَ ولا النَظَـــرْ

* * *

صَنَـــعَ الشبـــابُ صنيعَـــه   والحبُّ فى الحُسْنِ النَّضِـرْ
فمضَى يَتِيـــهُ[3] تخايـــلاً   فإذا تَلَطَّـــفَ يَعْتَـــذِرْ !
ويَلُـــوحُ حتـــى نَنـــتَشِى   ويغـــيبُ حتـــى نَسْتَعِـــرْ
ويـــروقُ حتـــى لا نَرىٰ   شمساً سِواه ولا قمَـــرْ
ويَـــرِقُّ حتـــى لا نَرىٰ   طيراً سِوَاه ولا زَهَـــرْ
ونَطِيـــرُ فى نَشَوَاتِنـــا   نهفُـــو إليـــه وننتظِـــرْ
فَإِذاه آنـــاً يعتـــذِرْ   عَنّـــا وآنـــاً يستتـــرْ !
هو ذاك ياقلـــب الخَطَـــرْ   لا الناظـــرونَ ولا النَظَـــرْ !

* * *

تِه أيُّهـــا الـــحُسْنُ الأغَرُّ[4]   وامـــرحْ بنَـــفْسِك وازْدَهِـــرْ
ما الحُسْـــنُ إلا شُعْلـــةٌ   تَخبُـــو إذا هى لم تُثَـــرْ
ما الحُسْـــنُ إلا طَائـــرٌ   يَهـــوِى إِذَا هُو لم يَطِـــرْ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) اللبق : الظريف الذى أحكم كل عمل .
(٣) يتيه : يتكبر .
(٤) الأغر : المشهور .

ما الحُسْـــــــنُ إلا قُوةٌ تَعْيَـــا إذَا لم تَقْتَـــدِرْ
أمّــــا الذيــــن أسَرْتِهم بيــنَ التبــرُّجِ والخَفَـــرْ[5]
فعــــليهِمُ أن يَعْلَمُــــوا يا حُسنُ من أين المَفَرْ !
أو يَستَنِيمُــــوا[6] للخَطَــــر وبحسبِهــــم مِنكِ النَظَــــرْ !



(٥) الخفر : الحياء .

(٦) يستنيموا : يخضعوا .

يَقَظَة(1)

سَهِرْتِ ؟ إِذنْ تَعَالَيْ حَدِّثِينى ... بما أحْسَسْتِ من حَرَقِ(2) الحنينِ
فقد جربتُه سهرَ الليالى ... وقد خَبَرْتُ تسهيدَ(3) الجفونِ
وأعْلَمُ أن مبعثَه غَرامٌ ... يَؤُزُّ(4) جوانبَ القلبِ الحَنُونِ
ويَقْظَةُ حالِمٍ تَسْمُو مُنَاه(5) ... عن النُّوامِ فى دُنيا السكُونِ
فَهلْ أحْسستِه حُبًّا كهذا ... فبتِّ الليلَ سَاهِدةَ العُيونِ ؟

* * *

وما أبْغِى لك السُّهدَ المُعَنَّى ... ولا الحُرُقَاتِ سَاعرةَ(6) الشُّجُونِ
ولكنِّى أريدُ نشاطَ حُبٍّ ... ويقظةَ عاشقٍ جَمٍّ(7) الفُتونِ
فنوقظُ هذه الدُّنيا خلوداً ... ونَسْمُو عن تقاليدِ السنينِ



---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .
(2) حَرَق : نار .
(3) تسهيد : أرَق .
(4) يؤز : من أزَّ : تحرّك واضطرب .
(5) مناه : جمع أمْنِيه .
(6) ساعرة : مشتعلة .
(7) جَمٌّ : كثير .

رُقْيَةُ الحُبّ[1]

خَيَّـمَ[2] الليـلُ فَنَامِـى ... فى هُـدوءٍ وَسـلامِ
رَفَّ مِنْ حَولك قَلبٌ ... عَلّـم الحبَّ التَسَامِـى[3]
أو فَإنَّ الحبَّ نَقَّـا ... هُ بوحـيٍ مِنْـه سَامِ
فهـو يَحْيَـا فى سماءٍ ... مِن أمَـانٍ[4] ومَـرَامِ[5]
وهـو يَسْرِى فى وَسِيـعٍ ... من رجـاءٍ مُتَـرَامِ[6]
يَشْمَـلُ الدُّنْيـا بعطـفٍ ... ورِضَـاءٍ وابتسـامِ

* * *

خَيَّـمَ الليـلُ فَنَامِـى ... فى هـدوءٍ وسَـلامِ
رَتَّـلَ الحبُّ رُقَـاه ... فى سُـكُونٍ لِتَنَامِـى
رُقْيَـةُ النـومِ وأُخْـرَىٰ ... للـرُّؤى بعـدَ المَنَـامِ
ودُعَـاءٌ لـكِ بالبِشْـرِ ... غَداً عنـدَ القيـامِ
وتَعَاويـذُ مِن الشَّرِّ ... لعـامٍ بعـدَ عَامِ
رُقْيَـةٌ فى إِثْـرِ أُخْـرَىٰ ... مُشْرِقَـاتٌ فى الظَّـلامِ

* * *

أيُّهـا الحبُّ فَلا تَنْسَ ... دُعـاءً بالـدوامِ
وتعاويـذٌ لقلبينـا ... لِصَـدٍ أوْ سَـآمِ[7]
أو فَعَوِّذْهـا ودَعْنِـى ... لِتَعاويـذِ غَرامِـى

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، رُقْيَة : العُوذَةُ التى يُرْقَى بها المريض ونحوه .

(٢) خيم : انتشر أو غَشّى .

(٣) التسامى : من السمو : العلو والرفعة .

(٤) أمان : جمع أمنية .

(٥) مرام : جمع مَرْمَىٰ .

(٦) مترام : بعيد الأطراف .

(٧) سآم : ملل .

وإذا شئتَ فَعَـــــوِّذْ ني من فَرْطِ هُيامِـــــي
ومِـــنَ اللهفـــةِ تَطْغَـــى في فؤادِي كالضِّرَامِ (٨)
واجعـــلْ الدُّنْيَـــا سلامـــاً وارْوِ ياحُبُّ أُوَامِـــي (٩)



---

(٨) الضرام : النار الملتهبة .

(٩) أوامى : الأُوام : حرارة العطش

الحياةُ الغَالية(١)

بالأمسِ كنتُ أعيشُ نِضْو(٢) تَرقُّبِ ... أُزْجي(٣) حَياتى كالأجيرِ المُتْعَبِ
أرنُو إلى الإصْبَاحِ ثم تَمُجُّه(٤) ... نَفْسِي وأنظرُ كارِهاً للمَغْرِبِ
وأُحسُّ بالقفر الجديبِ(٥) يَلُفُّنِي ... ويَجُوسُ(٦) فى نفسٍ كقبرِ الغَيْهَبِ(٧)
ولو أنما اخْتُصِرَتْ حَيَاتى لم أَبَلْ ... بَلْ لم أحسُّ بنقصِها أو أَعْتِبِ
وإِذَا تَشَابَهتْ الحياةُ وأقفرتْ ... مُجَّتْ بِرُمَّتِها(٩) ، ولَمْ تُتَطَلَّبِ

* * *

واليومَ آسَفُ للدقائقِ تَنْطَوِى ... من عُمْرِى الغَالى الثمينِ الطَّيِّبِ
واليومَ أَرْقُبُها وأَرْقُبُ خَطْوَها ... فأعيشُها مِثْلَينِ بَعدَ تَرقُّبِى
وهى العميقةُ كالخلودِ وإنما ... تَمْضِي حَثِيثاً فى خُطَا المُتَوَثِّبِ
وأودُّ لو هى أبْطَأتْ وتَلبَّثَتْ ... فى خَطْوِها لَبْثَ الوَئِيدِ(١٠) المُكْثِبِ(١١)
تَغْلُو الدقائقُ فى حياةٍ خِصْبَةٍ ... وتهونُ أعْوامٌ بِعُمْرٍ مُجْدِبِ(١٢)

* * *

الحبُّ فَاضَ على الحياةِ بِخِصْبِه ... وأجَدَّ(١٣) عُمْراناً بكلِّ مُخَرَّبِ
وأزاحَ أسْتَارَ الدُّجَى فتكَشَّفَتْ ... ظُلُمَاتُه عن كلِّ زاهٍ مُعْجِبِ
وكذلك تَحْلُو لِىَ الحياةُ وتَجْتَلِى ... وتَعِزُّ ساعاتُ الغرامِ المُخْصِبِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) نضو : هزيل والمراد : هزيل من الترقب والانتظار .
(٣) أزجى : أدفع .
(٤) تمجه : تلفظه كارهة .
(٥) الجديب : الذى لا أثر فيه للحياة .
(٦) يجوس : يتردد .
(٧) كقبر الغيهب : كظلمة القبر الشديد .
(٨) لم أبَل :من بَلَّ من مرضه : بَرأَ وصَحَّ .
(٩) برمتها : كلها .
(١٠) الوئيد : على تؤدة : فى تمهل .
(١١) المكثب : المقرب .
(١٢) مجدب : قفر : لا حياة فيه .
(١٣) أجَدَّ : من جديد .

الكَوْنُ الجديد[1]

تَغَنِّـــى وامْلئِـــي الدُّنيـــا نشيـــدَا ... وحَيِّـــى ذلك الكـــونَ الجديـــدَا
فإنَّ الحبَّ أبْدَعَـــــــه ؛ وإنى ... نَظـمْتُ على بَدَائِعـــه القَصيـــدَا
أجَـلْ حيِّـه فهـو لنـا ، وإنَّـا ... لَنعْمُـر كَوْنَنَـا عُمْـراً سَعِيـدَا
نعـيشُ مَعِـيشَةَ الطُّلَقَـاءِ[2] فيـه ... وكـونُ النـاسِ يُثْقِلُهـم قُيـودَا
وَنَمْلِكُـه وَمـا الأحيـاءُ إلاَّ ... أجيـرِى هذه الدُّنيـا عبيـدَا
وَنَبْـذُرُ فيـه آمـالاً وضَاءً[3] ... فَيُنْبِتُ غَرْسُهـا الطَّلْـعَ النَّضِيـدَا[4]

* * *

تَغَنِّـى بالرجـاءِ وبـالأمَانِـى ... وبالنُّعْمَـى تَدومُ لَنـا خُلُـودَا
ومِـنْ فِتَـنِ الحيـاةِ خُذِى الأغَانِـى ... ومِـنْ خَفَقَاتِهـا صُوغِـى النَّشِيـدَا
ومِـنْ شِعْـرِى ؛ فقـد نظَّـمْتُ فيـه ... أهازيـجَ[5] الهَـوَى لَحْنـاً فَرِيـدَا
فما أحْلَـى الغِنَـاء بِعَـذْبِ شِعْـرٍ ... نُحَيِّـي فيـه عَالَمَنَـا الوَلِيـدَا



(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الطلقاء : الأحرار .
(٣) وضاء : مشرقة .
(٤) الطلع النضيد : النبات الذى يخرج من غلافه فى نظام واتساق .
(٥) أهازيج : أغانى ومفردها هزج .

حُبُّ الشَّكُور[1]

إنْ لَمْ أُحِبَّكِ للسَّنَا والنُّور وَلِحُسْنِ وجهٍ في الحياةِ نَضيرِ
ولِسِحْرِ رُوحِكِ حين يَخْتَلِسُ النُّهَى[2] مِنِّى فَأَتْبَعُه اتِّبَاعَ سَحِيرِ[3]
ولمّا تَضَمَّنَتْ الجمالَ فأفصحتْ بِكِ منه سَاحِرَةٌ مِنَ التعبيرِ
ولما مُنِحْتِ ، ومامَنَحتِ من الهوىٰ للكونِ ؛ أو أحييْتِ مِنْ مَقْبُورِ
إنْ لَم أُحِبَّكِ حُبَّ مفتونٍ ولا حُبَّ الأسيرِ ؛ إِذَنْ فَحُبُّ شَكُورِ

* * *

حُبَّ الذى أحييْتِ فيه حَيَاتَه مما لديكِ من الحَيَا[4] المَذْخُورِ[5]
ووهبتِهِ مُلْكَ الحياةِ وطَالَما قَدْ عَاشَها كالعَامِلِ المَأْجُورِ
ومَنَحْتِه مَاضِيه بعدَ ضَيَاعِه وأعَدْتِ قَابِلَهُ[6] مِنَ المَحْظُورِ
حُبَّ الذى أشْرَقْتِ فى وِجْدَانِه فجلوتِ[7] كلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ
ونَفَخْتِ فى عَزَمَاتِه فتوهَّجَتْ[8] وسَمَتْ[9] لكلِّ مُمَنَّعٍ[10] وخطيرِ

* * *

أوْ فَلأُحِبَّك حُبَّ مَنْ أَلهمتِه شِعْراً يُضِيء سَنَاه[11] كلَّ شُعورِ
شِعْراً جمعتِ من الحياةِ زُهُورَه ومن الجمالِ نَفَحْتِه بعبيرِ
ومن الضياءِ وهبتِه آمالَه ومن النَّدَىٰ حِلْماً كوجه غَرِيرِ[12]

---

(1) نشرت فى ١٩٣٤ .

(2) النُّهى : العقل .

(3) سحير : مسحور .

(4) الحيا : الحياء أو الحياة .

(5) المذخور : المدخر أو المصون .

(6) قابله : مستقبله .

(7) فجلوت : كشفت .

(8) فتوهجت : اشتعلت وازدادت حرارة .

(9) سمت :علت من السمو .

(10) ممنع : قوى .

(11) سناه : نوره .

(12) غرير : الشاب الناعم (من لا تجربة له) .

وبعثتِـــه وَحـــى الحيـــاةِ وفَنَّهـــا   تجلُـــوه ضِمْـــنَ جمالِهـــا المَأْثُـــورِ

* * *

أفـــلا أُحِـــبُّكِ ؟ إنّهـــا لَفَـــريضةٌ   حُبَّ الشّكُـــورِ لِواهبٍ مَشْكُـــورِ



عِصْمَةُ الحُبّ[1]

عِصْمَـــةُ الحبِّ من صنيــعِ السَّمـــاءِ وهـــى صِنْـــوٌ[2] لِعِصْمَـــةِ الأنبيـــاءِ
يُخْطِىءُ النـــاسُ فى الحيـــاةِ اِسْتِبَاقـــاً للـــــذَاذَاتِ قبــــلَ يومِ الفَنَـــاءِ
وصِرَاعـــــاً مابيــــــنَ جسمٍ ورُوحٍ فى شَتَـــــيتِ الآمالِ والأهـــــواءِ
وَلَـــوَ أنَّ الأنـــامَ قَدْ ضَمِنُـــوا الخُلْـــدَ أَوَ أنَّ الأرْواحَ مَحْضُ صَفَـــــــاءِ
لَتَسَامَـــوا عَنِ الخَطِيئَـــةِ كالقَيْـــدِ وعَـــاشُوا مَعـــيشةَ الطُّلَقَـــاءِ

* * *

وغَنَـــــاءٌ عن الخُلُـــــــودِ غَرَامٌ هو رَمْـــــزٌ وَوَصْلَـــــةٌ للبقـــــاءِ
وهو يَعْلُو بالرُّوحِ عن خَطَلِ[3] الجسْـمِ ويُضْفِـــى عليـــه ثَوْبَ الضِّيـــاءِ
هُو نورٌ ومـــــــا الخطيئَـــــــةُ إلّا ظُلْمَـــةٌ أو حَلِيفَـــةُ الظَّلْمَـــاءِ
وهُـــو يَسْمُـــو عن الزمـــانِ ومَاقَـــدْ يَقْتَضِيــــه الزمـــانُ مِنْ أخْطَـــاءِ
هُو خُلْدٌ ، بِما الخطيئةُ إلاّ بعضُ وَحْـــيِ الفَنَاءِ للأحْيـــاءِ



(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، عصمة : من عَصَمَ : حَفِظَ ووقى ومنع .
(٢) صنو : المراد الأخ الشقيق : المثيل والنظير .
(٣) خَطَلِ : فساد : الكلام الفاسد الكثير المضطرب : المنطق الفاسد .

الانتظارُ الخالد[1]

أنـــا بانتظـــــارك ما أُبالِـــــى   رِضِىَ الهوىٰ حُكْـــمَ الجَمـــالِ !
غِيبـــــــــــى إذَنْ أو فَاحْضُرِى   أنـــــا قَانِـــــعٌ فى كلِّ حَالِ !
رَاضٍ بأحلامِـــــى التـــــى   تُضْفِـــى علـيك حَلْـــىَ[2] الجلالِ
لستِ الملومَـــــةَ إننــــــى   أنــا رشْتُ[3] أجْنِحَـــةَ الــدَّلالِ !
مَا لِلجَمَـــالِ مَتَـــىٰ بَدَا   إلا التَّخَشُّـــعُ فى ابتهـــالِ

* * *

أنـــــا بانتظـــــارك فى الشُّرو   قِ وفى الغـــروبِ وفى الـــزَّوالِ[4]
أنـــــا بانتظـــــارك حِين أصْـ   ـحُو طَلْعَـــةً مِثْـــلَ الـــلآلِى[5]
أنَـــا بانتظـــارِك حيـــنَ أغْـــ   ـفُو طائفـــاً مِثْـــلَ الخيـــالِ
وإذا قربت تَطلَّـــــــعَتْ   نَفسى إلى القُـــرْبِ المُوالِـــى ![6]
وإلى التَّمـــــازُجِ[7] بيننـــــا   حَنْـــىَ[8] النحـــور[9] إلى كَمَـــالِ
هو ذاك سِرُّ تَنَظُّـــــــرى   أبـــدا إلـــيك ؛ فمـــا احتيالِـــى ؟

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) حَلْى : زينة أو حُلِىُّ : ما يُتَزَيّن به .
(٣) رشت : من راش الطائر يريش ريشاً : نبت ريشُه .
(٤) الزوال : الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وقت الزوال (الظهر) .
(٥) اللآلى : اللآلىء (اللؤلؤ) .
(٦) الموالى : المتابع : المحب .
(٧) التمازج : الاختلاط .
(٨) حَنْىَ : من حنى العود وغيره يَحْنِى حنْياً :ثناه .
(٩) نحور : النَّحْرُ : أعلى الصدر والمراد : حنى النحور : الاتجاه إلى .

الحبُّ المَكْرُوه ![1]

كَرِهْتُكَ أيُّها الحبُّ ... كراهةَ مُحْنَقٍ[2] غَاضِبِ
وضَجَّ بِهَوْلِكَ القلبُ ... وماتَبْلُوه مِنْ وَاصِبِ[3]

* * *

كَرِهْتُك حَيْرةً كُبْرى ... جحيماً كلُّه حَرَق[4]
كَرِهْتُك لهفةً حَرَّى ... وشوقاً كلُّه نَزْق[5]

* * *

كَرِهْتُك ريبةً فِينَا ... وفى الدُّنيا وفى النَّاسِ
نُكَذِّبُ مَا بأيدينا ... ونَسْمَعُ هَمْسَ وَسْواسِ

* * *

كرهتك غُلَّةً ظَمِئتْ ... ولا رِيٌّ ولا مَاءْ
وَوَقَدْتُها قد اشتعلتْ ... وفى التلطيف إِذْكَاءْ[7]

* * *

كرهتك سُهدَ أجفانٍ ... وصَحْواً فى الدُّجَى المُبْهَمْ[8]
كرهتك مَهدَ أشْجانٍ ... ومُذْكِى وَقْدِها المُضْرَمْ[9]

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .

(٢) محنق : شديد الغيظ .

(٣) واصب : من وَصَبَ : مرض .

(٤) حَرَق : نار أو أثر النار نتيجة احتراق .

(٥) نَزَق : من نَزِقَ أى خَفَّ وطاشَ . والنَّزَق : الخِفَّةُ والطَّيْشُ .

(٦) غلة : شدة العطش وحرارته .

(٧) إذكاء : من ذكت النار : اشتدلهبها واشتعلت .

(٨) الدجى المبهم : الظلام الشديد .

(٩) المضرم : المشتعل .

كرهتك شُغْلِيَ الشَّاغِلْ وآمَالِـــى وآلاَمِى
ومَـــاضِى العُمْـــرِ والآجِلِ ولَيْـــلاَتى وأيَّامِـــى

* * *

كرهـــتُك دورةَ الزَّمَـــنِ بلا حَدٍّ ولا فَاصِلْ
وصلتُ الصَّحْوَ بالوسنِ(١٠) بإحساسٍ لَنـــا شَاغِـلْ

* * *

كرهـــتُك . لستُ موقوفـــاً على حُبٍّ يُقَيِّدُنِـــــى
كَرِهْتُ العـــيشَ مَلْهُوفـــاً على أمـــلِ يُسوِّفُنِــــى

* * *

وداعـــاً أيُّهـــا الحبُّ كرهـــتك فارتحِلْ قُدُمَـــا
كرهتك لم يَعُـدْ قَلبٌ بصدرِى يَحْمِـلُ الألَمـــا

* * *

سَأحيـــا خَامِـــدَ الحِسِّ فلا حُبٌّ ولا أمـــلُ
سَتخْبُو شُعْلَـــةُ النـــفسِ ويَـــمضِى ذلك الأجـــلُ



(١٠) الوسن : النوم .

نَكْسَةَ ![1]

خَفَقْتَ ياقلبُ !. ماذا أنَكْسَةٌ مِنْ جَديدْ ؟
تَوثُّبُ الحبِّ هَذَا ؟ بعدَ الهدوءِ المَديدْ
وبعد فَكِّ القيودْ !

* * *

يا قلبُ ماذَا أثَارَكْ ؟ وهَاجَ فيك الحَنينَا ؟
وقد خَلَعْتَ إسارَك[2] وعِشْتَ كالناسِ حِينا
أو عشتَ كالهادِئينَا !

* * *

لَقِيتَها يا فُؤادِى أنَكْسَةُ الحبِّ لَقْيَا ؟
كالنارِ تحتَ الرَّمَادِ مايلبثُ الحبُّ حَيَّا
ماأعجبَ الحبَّ دُنْيَا !

*

ياقلبُ فَاذكرْ عَذَابَك فى الشكِّ أو فى اليقينِ
فهل نَسِيتَ اضطرابَكَ ؟ بين القَلَى[3] والحنينِ
وبين سُودِ الشُّجُونِ ؟

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ ، نكسة : من نَكَسَ : قَلَبَ أو طأطأ رأسه من خِزْى .

(٢) إسارك : قيدك .

(٣) القلى : البُغض والهجر .

وبينَ إنْ قِيلَ غابَتْ أو قِيلَ : الآن تأتِى !
وبينَ فوزٍ مُباغِتْ أو حسرةٍ بعدَ فَوْتِ
وحَيْرَةٍ كلَّ وقتِ

أراكَ ياقلبُ لَمَّا تَسمَّعْ ، ولم تَتَذَكَّرْ
وما تحاوِلُ كَظْماً(٤) لِخَفقِكَ المُتَسعِّرْ(٥)
وما تريدُ التدبُّرْ(٦)

* * *

عَلَيْكَ يَاقلبُ وِزْرَكَ(٧) فاخفقْ إذَنْ بَلْ فَخَاطِرْ ؟
فليس يُجْدِيكَ(٨) حَذَرُكَ إذَا هَمَمْتَ تُحَاذِرُ
خاطرْ بنفسِك خَاطِرْ ؟



---

(٤) كظما : إخفاء الغيظ أو كتمانه .
(٥) المتسعر : الشديد أو شديد الاضطراب والحرارة .
(٦) التدبر : الإدراك والفهم .
(٧) وزرك : ذنبك وإثمك .
(٨) يجديك : يفيدك .

على أطلال الحُبّ(١)

تَفَــرَّدَ ذلك الطَّلــــلُ(٢) وطـافَ بركنِـه الوَجَــلُ(٣)
يُغَشّي اليـأسُ صَفْحَتَـه ويُبْـرِقُ تحتَـه الأمـلُ
وتهْمِسُ حولَـه الذِّكْـرَى فتلمــعُ بينها الشُّعَـلُ
جَفَـاه(٤) أهلُـه مَلَــلاً فخيَّـمَ فوقَـه المَلَـلُ
عَزِيــزٌ عَهْدُهــم فِيــه عزيــزٌ أنْتَ يَاطَلَــلُ

* * *

بَنَــاه خَيــرُ بَنَّــاءٍ بَنَــاه الحبُّ مُبْتَدِعــا
وبَثَّ عَلى جَوانِبِــه مَفَاتِـنَ تَفْتِــنُ الوَرِعَــا(٥)
وأطْلَـقَ حَولَــه سِحْـراً يَبُثُّ الشَّوقَ والوَلَعَــا(٦)
وأُنْشِدُ بِاسمِـه شِعْــراً مِنَ الآمالِ مُنتزِعَــا
وظَلّــلَ أهَلَــه الأمــلُ فمـاذا جَدَّ يا طَلَـلُ ؟

* * *

خريــفٌ بَاكِـرٌ حَــلَّا خريفُ الحُبِّ والعُمْــرِ
فَحطّــمَ كُلَّ شَامِخَـةٍ(٧) على الأحــداثِ والدَّهْـرِ
وعَطَّــلَ(٨) كُلَّ فَاتِنَــةٍ مِن الإغْــرَاءِ والسِّحْــرِ
وأبْطَـلَ كلَّ سَاحِــرةٍ وأسْكَتَ نَغْمَــةَ الشِّعْــرِ
فَعَــادَ بِنَــاؤُه طَلَــلاً فَويْـحَكَ أيُّهــا الطَلَــلُ

* * *

---

(١) نشرت ١٩٣٤ .
(٢) الطلل : مابقى من آثار الديار والجمع أطلال .
(٣) الوجل : الخوف والفزع .
(٤) جفاه : هجره .
(٥) الورع : التقىّ .
(٦) الولع : شدة الحب .
(٧) شامخة : مرتفعة والمراد متعالية .
(٨) عَطّل : جردها من زينتها .

دَلَفْتُ[٩] إليــه مَلْهُوفــاً تحُثُّ حَنينــى الذِّكْــرَىٰ
فَأَطْــرَقَ لا يُحَدِّثُنــــى وأَرْسَلَ زَفْـــــرةً حَرَّىٰ
وَجَـدْتُ لِوَقْدِهــا لَذْعــاً كَأنى أَلْــمَسُ الجَمْـــرَا
وتـاهتْ نَفْسى الوَلْهَـىٰ[١٠] وأَسْرَتْ رُوحِـى السَّكْـرَىٰ
وقُلْتُ وقَـدْ نَزَا[١١] أَلَمِـى « فِداكَ الكونُ يَاطَلَلُ » ؟



(٩) دَلَفْتُ : مشيتُ على مهل (رويدا) .

(١٠) الولهى : الحزينة التى فقدت عقلها من شدة الحزن أو الحنين الشديد .

(١١) نزا : من نزا ينزو :وَثَبَ ، ويقال نَزَا به قلبه إلى الشيء : طمح ونازع إليه ونزا به الشر : ثار وتحرّك .والمراد : هاج .

صَدَىٰ قُبْلَة(1)

حرارتُها لَم تَزلْ فَائِـرَه(2) ... ونَكْهَتُها(3) لم تَزلْ عَاطِرةْ
أُحِسُّ حرارتَها فى دَمِـى ... كما تَصْرُخُ الشعلةَ الثَّائِرةْ
وأَنْشَقُ نَكْهَتَهـا كالشَّذَىٰ ... يفوحُ من الزهرةِ النَّاضِرةْ
وتخطرُ رَيَّانَـةً فى فَمِـى ... كما يَخْطُر الحُلْمُ بالذَّاكِرَةْ
وبينَ يَدىَّ صَدَىٰ ضَمَّةٍ ... تَرَدَّدُ كالنَغْمَـة السَّائِــرةْ(4)
أجَلْ ! أَلَيْسَ هَذَا الذى قد ضَمَمْتُ ... سِوى نَغْمَـةٍ حُلْـوةٍ عَابِــرَه
أذلك جِسمٌ ! فأيـنَ الخيـالُ ... وأيــنَ عَرَائِسُه النَّافِــرةْ ؟
تَقَـدَّسْت مِنْ قُبْلَـةٍ قَدَّسَتْ ... مُنَـاى وأَوْهَامِـى الحَائِــرةْ
وأَزْكَتْ حَياتِـى وإنَّ الحيـاةَ ... هى الفِتنـةُ الحيّـةُ الطَّائِــرةْ
أجَلْ هى أَطْهَرُ ما فِى الوجودِ ... فما الرِّجْسُ إلّا القُوىٰ الخَائِرةْ(5)
لَجَسَّمْتِ ما كانَ فى خَاطِـرِى ... خيـالاً وأُمْنيـةً طَائِــرةْ
وقَــربْتِ لِلَّـمْسِ ما لم تَكُـنْ ... تُقَرِّبُـهُ الفكـرةُ الخَاطِــرةْ
وَأَسْرَيْتِ بالـرُّوحِ فى لَثْمَـةٍ ... تَحُسُّ بهـا الشَّفَـةُ الشَّاعِـرةْ
أَمُعْجِزَةٌ أنْتِ تَمْزِجُ بين الجِسم ... وبيـنَ القُـوىٰ الطَّافِـرةْ ؟(6)
قُوىٰ كلِّ هَيْكلِ هذا الوجـودِ ... كذلك قدرْتِ يا قَادِرَهْ !
وإنِّــى لَأُغْمِضُ فِى نَشْوةٍ ... وأُمْسِكُ أنْفَـاسِى السَّاعِـرةْ(7)
وأَخْطِرُهَـا قُبلَـةً فى فَمِـى ... فَأَسْمَعُ أصداءَهـا السَّاحِـرةْ

---

(1) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٧ .
(2) فائرة : شديدة .
(3) نكهتها : طعمها .
(4) السائرة : المنتشرة .
(5) الخائرة : الضعيفة الساكنة .
(6) الطافرة : من طَفَرَ : وثب : أسرع .
(7) الساعرة : الحارة .

وأَسْتَرْجِعُ اللحظاتِ القِصَارِ فَأُلْفِي بها صُوراً وَافِرَهْ
وأعْرِضُها مَنْظَراً مَنْظَراً كما عُرِضَتْ قبلُ لِلبَاصِرَهْ
ثَوانٍ تَرَكَّزَ فيها الزمانُ تُبَارِكَ دُنياي والآخرَهْ



غِنىً...؟ !(1)

غنيَّـــةٌ أنتِ بالتعبيـــــرِ قد ذَخَـــــرَتْ
أطـــواءُ نفسِكِ منـــه زادَ أحْقَـــابِ (2)
وهَبتِنـــى مِنْـــــه أشتاتـــــاً منوَّعـــــةً
وزِدتِنـــى منـــه فى جُودٍ وإسهـــابِ(3)
فى كل جَارحـــةٍ عُنـــوانُ مَلْحَمَـــــةٍ
من الحديثِ ، وسرٌّ جِدُّ جذّابِ
تقصُّ تاريخَهـــــا فى فنِّ راويـــــــــةٍ
منسَّقِ النَّبْـــرِ (4) ذى لحنٍ وإطـــرابِ
وإنَّ تاريخَهـــــــــــا أُقْصُوصةٌ جمعتْ
تجاربَ الكـــونِ فى أحـــلامِ أربـــابِ
تجاربُ الكـــونِ فى ســحْرٍ وفى فِتَـــنٍ
من نُضْرةِ الرَّوضِ أو مِنْ وَحْشَةِ الغَـــابِ
وَمِـنْ سَنـــاءِ الـدَّرارِى (5) فى تألُّقِهـــا
ورهبـةِ الكـونِ فى جُنْحِ الدُّجَى الخَابِى
ومِـنْ غُمـوضِ الصَّحَـارِى فى مَجاهِلِهـــا
والعيلـمُ (6) الـرَّحبُ يَطْغَـى جَدُّ صَخَّـابِ

---

(1) نشرت فى ١٩٣٧ .

(2) أحقاب : مفردها حِقبة : وهى المدة لا وقت لها ويقال ثمانون سنة فأكثر .

(3) إسهاب : إطالة وتوسّع . (4) النبر : إبراز النطق والصوت .

(5) الدّرارى : مفردها دُرِّىُّ : نسبة إلى الدُّرِّ فى حُسْنِه وبهائه .

(6) العَيْلَم : البحر أو ذكر الضبع ، وقد يكون المراد العَالِم .

ومــن صيــالِ الضَّوارِى فى تَمحُّمِهــــا
ومــــن أغاريــــدِ أطيــــارٍ وتَنْعَـــــابِ
وفرحــةُ الظَافــــرِ الـــنَّشوانِ خَافِقَـــةٌ
تختـــالُ مُعْجَبــةً فى خَطـــوٍ وثّـــابِ

هذا حديـــثُكِ بينَــــا أنتِ صَامِتـــةٌ
وَعَيْتُــهُ كلَّـــــه فى صَمْتِ مِحْـــرابِ
فهـلْ بلـــغتُ مدَى ما أنتِ زَاخِــــرةٌ (٧)
من التجـــاربِ فى خَلْــقٍ وإنْجـــابِ ؟
لا . لا وحـــقكِ لم أبلــــغْ سِوى طَرْفِ
من الحديثِ على وَفْـــرٍ وإطنـــــابِ
وخَلْـــفَ ذلك كَنْـــــزٌ كُلُّـــه طُرَفٌ
يزيـــدُ مَذْخُـــورُه (٨) فى كفِّ وهّـــابِ
وإنَّ عِنْـــــدك ما تُعطِينـــــه أبــــداً
للسائليــــــنَ بإفْصَاحٍ وإغْــــــرابِ

* * *

العيـــنُ . ماذا تَقصُّ العيـــنُ مِنْ خَبـــرٍ
مُسَلْسَلٍ فى حَنايـــا النـــفسِ مُنْسَابِ ؟
ومـا الـذى أبْدعـتِ للفـــنِ إذ هَمَست
للأمْنيـــــاتِ فلـــــبَّتْ بِضْعُ أسْرابِ ؟
وأفْصَحتِ عن حنيـــنٍ كامـــنٍ وهَـــوىً
يَسْرِى الهوينىٰ شَفُوفاً بيـــنَ أهْـــدابِ ؟
والثغـــرُ . ماذا يبثُّ الثغـــرُ من قُبَـــلٍ
فى صمتِه العَذْبِ ، بل فى سِحْرِهِ السَّابِى (٩)

---

(٧) زاخرة : فاخرة من زَخَر يزخَر : فَخَر ، مَلأ ، جاش .
(٨) مذخورة : مدخرة لوقت الحاجة ، مملوء .
(٩) السابى : الآسر من الأسر .

وإن فيــــه لقُبـــــــلاتٍ قد ارتَسَمتْ
من بعد ما نَضَجَت ، لِلّاثِـمِ [10] إلصّابى

* *

والجسمُ . ماذا يقـولُ الـجِسمُ قد خَفَـقَتْ
فيــه الحيــاةُ ، وتَــاهتْ تيــهَ غَلّابِ ؟
يقــولُ ما تَعْجَــزُ الدُّنيـــا بِرُمَّتِهـــا
عن أن تقــولَ بتصويـــرٍ وإِعــــرابِ

خُلاصَةٌ أنتِ من فَنِّ الحيـــــــاةِ حَوتْ
جَميــعَ ما تُبــدِعُ الدُّنيــا لإعْجَـــابِ
غنيـــةٌ أنتِ بالتعبيـــرِ قَد ذخــــرتْ
أطـــواءُ نَفْسِك منــــه زادَ أحقــــابِ



(١٠) اللاثم : الذى يقبِّل .

وحي جديد [1]

فِى خِفّــةِ الطيْــــرِ ... فى نُضْرَةِ الزّهْــــــرِ
لَاقيتُهــــا عَرَضاً [2] ... بَسَّامـــــةَ الثَّغــــــرِ
فتّانــــــةً تُغـــــرِى ... بالسِّحْـــرِ والطُّهْـــرِ
تَهْفُـو [3] فَتَحْسَبُهـــا ... لحنـــاً هَفَـــا يَسْرِى
فى لَفْتــةِ الجيــــدِ ... فى خَفقـــــةِ الصَّدْرِ
« تَقْسِيمُ » موسيقى ... مَنْغُومـــةِ النّبْـــرِ [4]

* * *

يا بَسْمَـــةَ الفَجْــــرِ ... يا نَفْحَـــةَ العِطْــــرِ
أسْكَــرْتِ وِجْدَانـــي ... مِنْ لَوْنِكِ الخَمْـــرِى
ألْهَــــبْتِ إحْسَاسِى ... بالشَّوقِ كالجْمـــــرِ
وَهَــمسْتِ فى قَلْبـــى ... وهَتَــــفْتِ فى صَدْرِى
وبَعَثْتِنِـــــــــى أشْدُو ... للــحُبِّ بالشِّعْــــرِ
وكأننـــــــــى رُوحٌ ... تَقْفُو [5] خُطا سِحْـرِ
مَفْتُونَـــةً تَرْنُـــمو [6] ... للكـــونِ فى سُكْــــرِ
والكـــونُ يَشْمَلُهـــا ... بالأُنْسِ والـــــبِشْرِ

عَجَبى لِمَـــا ألْقـــى ... مِنْ لُغْزِكِ السِّحرى !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٧ .
(٢) عرضا : مصادفة أى بلا تدبير سابق .
(٣) تهفو : تسرع فى مشيتها .
(٤) النبر : المراد : مرفوعة الصوت .
(٥) تقفو : تتبع أثر الخطا .
(٦) ترنو : تديم النظر .

وَحْـــــىٌ يُوسْوِسُ لى — فى السِّرِّ والجَهْــــرِ
حوَّلتِ عُمْـــرِىَ من — شَطْــرٍ إلى شَطْـــرِ
حبَّبْتِنى ، عَجَبَـــا ! — فى عِيشَةِ الوَكْـــرِ (٧)
قد كنتُ أرْهَبُهـــــــا — كالنَّـــابِ والظُّفــرِ !
وإِخَالُهـا شَرَكـــاً (٨) — فى البَـــرِّ والبَحْـــرِ !
إذ كنتُ أدْمَغُهـــا (٩) — بالشَكِّ والغَـــــدْرِ
فَملأتِنـــــى ثِقَـــةً — بجَمالِهـــا المُغْـــرِى
ورسمتِ لى صُوراً — لِفراخِهـــا الـــخُضْرِ
تَزْقُـو (١٠) فَنُطْعِمُهـــا — بحَنانِنـــا الـــنَّضْرِ
ونَـــرِيشُ أجْنِحَـــةً — مِنْ رِيشِهـا النَّـزرِ (١١)
فَتَطِيرُ هَازِجَـــةً (١٢) — فى جَوِّنـــا الشِّعْـــرِى
وتـــؤوبُ وَادِعَـــةً — للـــعُشِّ كالطَّيـــرِ !

* * *

يَا فِتْنَتِــــــى ، هَذَا — طيـــفٌ مِنَ السِّحْـــرِ
إنْ تَأذَنِـــى أضْحَـــى — شَطَـــراً مِنَ العُمْـــرِ
فَهِبِـــى لى رُوحَـــا — من رُقْيَـــةِ الثَّغْـــرِ
هى قُبْلَـــــةٌ تُمْضِى — مَا شِئتِ مِنْ أمْـــرِ
وكَأنَّهـــــــــا قَدَرٌ — بِسعَادتِـــى يَجْـــرِى

---

(٧) الوكر : عش الطائر الذى يبيض ويفرخ فيه .

(٨) شركا : مصيدة .

(٩) أدمغها : أتهمها .

(١٠) تزقو : تصيح الأفراخ طالبة الطعام من أبويها .

(١١) النزر : القليل .

(١٢) هازجة : مغنية .

أُكْذُوبةُ السُّلوان [1]

بعد عام أحس فى نفسه بالسُّلوان ، وأحس بمغاليق نفسه تتفتح للجمال . ولكنه تنبه إلى أن كلَّ نموذج جميل ينفتح له قلبه فيه شِيةٌ أو سِمَةٌ من الجمالِ الذى حَسَبَ نَفْسَه قَدْ سَلاه وإذا هو يَهْفُو [2] إلى الماضِى والماضى وحْدَه دونَ سِواه .

الآن أعْلَـــــمُ أنّ كلَّ خَواطِـــــرِى
تَهْفُـــو إِلَـــيكِ كَرَقْرَقَـــاتِ [3] الطَّائِـــرِ
ما كان سُلْـــوانِى سِوى أُكْذُوبَـــةٍ
خُدِعَتْ بِهـــا نَفْسِى خَدِيعَـــةَ شَاعِـــرِ
بَيْـنَ الشَّغَـافِ [4] وفى مُنَـاىَ وفى دَمِـى
ألقَـــاكِ هَاجَّـــةً [5] وبيـــنَ سرَائـــرِى
أنْسَاكِ ؟ ! كيـفَ وأنتِ بيـنَ جَوانِحِـى
شَطْـرِى الجَميـلُ وأنْتِ وَحْـىُ خَواطِـرِى ؟
أنْسَاكِ والآمالُ والذِّكْـــرىٰ معــــاً
مَوْصُولَـــةٌ بكِ فى صَمِيـــمِ مَشَاعِـــرِى ؟
وإذَا هَفَـــوتُ إلى الجمــــالِ فإنَّمــــا
أهْـــوىٰ مِثَـــالَكِ فى الجَمَـــالِ العَابِـــرِ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤١ ، والسُّلوان : التعزى والتلهى عن الشىء (ويقال : السُّلوان : ماء إذا شربه العاشق سلا عن حبه) .

(٢) يهفو : يحن ويتشوق .

(٣) كرقرقات : كتحرك واضطراب (من رقرق الماء : تحرّك واضطرب أو سال أو لَمَعَ وبَرَق) .

(٤) الشغاف : غلاف القلب .

(٥) هَاجَّة : من هَجَّ يَهِجُّ هَجًّا فهى هَاجَّة ، يقال أجَّتْ النار واتقدت وسمع صوت استعارها .

أنْسَاكِ إذْ أنْسَىٰ حَياتِـــى كلَّهـــا

فإذا حَيـــيتُ فأنْتِ أولُ خَاطِـــرِ

نَبَضَ الربيـــعُ فَكُـــنْتِ أولَ نَابضٍ

فى خَاطِــرِى يهْفُـــو وأولَ زَائـــرِ

وهفــوتُ للمـــاضِى الــذى قد أوْدَعَتْ

نَفْسى لديــه رَغَائِبِـــى وذَخائِـــرِى

أنـــا ذلك الماضِى الـــذى لا يَنْـــقَضِى

أنـــا ذلك الماضِى يعـــيشُ بِخَاطِـــرِى !



حُلُمُ الحَيَاة[1]

« وهل الحب سِوى حُلْمٍ نَدِيٍّ فى صحراءِ اليقظةِ المُحْرِقَةِ ورُؤيا مُشِعَّةٍ فى ظلامِ الحياة ؟ » .

أيُّها الحُلْمُ الذى كَانَتْ حَيَاتِى ... مِنْ حَوالَيْـه دُعَـاءً وصَلاهْ
وتَسَابِيـحَ وَعَتْهَـا أُغْنِيَاتِـى ... وانْتِشَاءً بِأَفَاوِيـقِ[2] الحيَـاهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أطْلَقَنِـى ... مِنْ قُيودِى نحو آفاقٍ عَجِيبَهْ
والَّذى فى الصَّحْوةِ قَدْ طَوَّقَنِى ... بِتَهاويلَ من الوَهْـمِ حَبِيبَـهْ
أيُّها الحُلْمُ الذى طَهَّرَ نَفْسِى ... بالعذابِ الحُلْوِ والدَّمْعِ الطَّهُورْ
والـذى أفْعَـمَ[3] بالآمَالِ كَأْسِى ... وحَبَانِى بعدَ رُشْدِى بِالغُرورْ !
أيُّها الحُلْمُ الـذى رَدَّ عَلَيَّـا ... نَزَقَ[4] الطِّفْـلِ وأهْـواءَ الغُـلَامْ
والـذى نَدَّىٰ بِدَمْعِـى مُقْلَتَيَّـا ... وعلى إثْـرِ بُكَائِـى الابتِسَامْ !
أيُّها الحُلْمُ الذى جَسَّمَ وَهْمِى ... فإذَا الأوْهَامُ فى الدُّنيا حَقِيقَهْ
تَتَجَلَّىٰ فى أحَـاسِيسِى وَهَمِّى ... صِلَةٌ بالرُّوحِ والـجسمِ وَثِيقَهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذى أطْلَعَهـا ... فى حَيَاتِى مِثْلَمَا تَطْلُعُ نَجْمَهْ
وأرانِيها كَمَـا أبْدَعَهـا ... فِتْنَةً تَشْقَىٰ بها الدُّنْيا وَنِعْمَهْ
أيُّها الحُلْمُ الـذى هَيَّأ لِى ... أنَّها فى ذلك الكونِ فَرِيـدَهْ
والـذى جَسَّمَ فيها أمَلِـى ... وأمانِـيَّ اللَّهِيفَـاتِ[5] الشَّرِيـدَهْ
أيُّهـا الحُلْـمُ الـذى ظَلَّلَهـا ... فى خيالِى بِأعَاجِيبِ الظِّـلالْ
فبـدتْ حُورِيَّـةً جَلَّلَهَـا ... ألَقُ[6] الطُّهْـرِ وإشْرَاقُ الجمَـالْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٤٣ .
(٢) أفاويق : مفردها ، الفِيقة : اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين ، والمراد مانسعد به فى الحياة .
(٣) أفعم : ملأ .
(٤) نزق : خَفَّ وطاش (الخفة والطيش) .
(٥) اللهيفات : مفردها لهيفة : محترقة القلب .
(٦) ألق : بريق ، ضوء .

أيُّها الحُلْمُ الذى صَوَّرَهَا ... كُلَّ يومٍ صُورَةً مِنْها طَرِيفَهْ
كلهـا تَبْـدُو ــ ومَاأكْثَرَهـا ــ عَذْبَـةً جَذَّابَـةَ اللَّمْحِ شَفِيفَهْ
أيُّها الحُلْمُ الذى جَمَّلَ عِنْدى كُلَّ ماعَنَّ لَها مِنْ نَزَواتْ !
والذى عَلَّقَ وِجْدَانِى وَجَهْدِى بالذى يَبْدُو لها مِنْ بَدَواتْ !
أيّهـا الحُلْـمُ الـذى أوْقَدَهـا شُعْلَةً هَوْجَاءَ تَذْكُو فى دَمِى
كلّمـا تَلْـمَسُ كَفِّـى يَدهَـا تَلْمَسُ النَّشْوةُ قَلْبِـى وفَمِـى !
أيُّها الحُلْمُ الذى كَانَ وكَانْ أينَ نَحْنُ الآنَ مِن هذَا الزَّمانْ ؟
أيْـنَ أطْيَـافُكِ أوْهَـامُ العَيَـانْ أينَ يَاحُلْمُ ؟ لقد كُنْتَ وَكَانْ !
أيْنَ أنْتَ الآنَ يا سِرَّ حَياتِى أينَ أنْتَ الآنَ يَامَعْنَىٰ وُجُودِى !
أينَ يا وَحْيَ نَشِيدِى وصَلاتِى ؟ أينَ ؟ فى وَادٍ مِنَ الصَّمْتِ بَعِيدِ
بيننا وَادٍ مِنَ البُعْدِ سَحِيقْ بَيْنَما أنْتَ هُنَا مِـلءُ فُؤَادِى
كَإِلٰهٍ حَوْلَه الصَّمْتُ العَمِيقْ وهُـو فى كلِّ شُعُـورٍ وفُـؤَادِ
لِمَ يَاحُلْـمُ قَدْ أيْقَظْتَنِـى فَإذَا الصَّحْو خَواءٌ[7] فِى خَواءْ
لِمَ يَاحُلْـمُ قَد فَارَقْتَنِـى فإذَا الكَونُ هَبَـاءٌ فِى هَبَـاءْ
أيُّها الحُلْمُ تُرى كُنْتَ خِدَاعاً إيِهٍ مَاأصْدَقَـه هَذَا الخِـدَاعْ !
أيُّها الحُلْمُ الذى فَاتَ وَدَاعاً ماالذى نَمْلِكُه غَيرَ الـوَدَاعْ ؟



(٧) خواء : فراغ .

الكأسُ المَسْمُومَة[1]

أقْلاكِ[2] أقْلاكِ كالشيطانِ أقْلاكِ — أقْلاكِ كالسُّمِ يَسْرِى جَدٌّ فتَّاكِ
أقْلاكِ : إنَّكِ فى نَفْسِى وفى زَمَنى — وفى حياتِى أفْعَىٰ ذَاتُ أشْواكِ
سَمّمْتِ عَيْشى وأحْلامِى وَأَخْيلَتـــى — وأنْتِ شَيْطَانَـــةٌ فى سَمْتِ أمْـــلَاكِ
وعِشْتُ أرْعَاكِ فى قَلْبِى وأنْتِ بِلا — قلبٍ يُحِسُّ ويَرْعَىٰ كيفَ أرْعَاكِ
مَنْ أنْتِ ؟ مَاأَنْتِ ؟ إنِّى حَائِرٌ قَلِقٌ — أأنْتِ أُسْطُورةٌ فى سِفْرِ[5] أفَّاكِ ؟[6]

* * *

أنْسَىٰ اللَّيالِى التى قَضَيْتُها قَلِقاً — وأنتِ سَاكِنَةٌ رَاضٍ مُحَيّـــاكِ
أنْسَىٰ الدُّمُوعَ التى أرسلتُها غدقاً[7] — ولستُ لولا هَواكِ المُرُّ بِالبَاكِى
وكِبْريائِى التى مَا كُنْتُ أخْفِضُهَا — مِنْ قبلُ أو بَعدُ فى دُنْيَاى لَوْلَاكِ
أنْسَىٰ . وأذْكُرُ أحْلَامِى وأَخْيلَتِى — كَأَنَّهُـن نجومٌ بيـنَ أحْـــلَاكِ[8]
وكلُّهن نَسِيجُ الوَهْمِ في خَلَدِى[9] — ولَسْنَ غيـرَ أحابيـلٍ[10] وأشواكِ

* * *

أقْلاكِ ؟ لَيْتَ ! فإنى لَسْتُ أقلاكِ — أهواكِ ؟ لَيْتَ ! فَإِنِّى لَسْتُ أهْواكِ
أهـوَى وأقْلَـى وأيامِـى مُوزَّعَـةٌ — بينَ الهوىٰ والقِلى كالضَّاحِكِ البَاكِى
هذا الرَّحِيقُ وهذا السُّمُّ قد مُزِجَا — ولستُ أُرْوَى بكأسٍ غيرَ رَيَّاكِ

---

(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٤٣ .

(٢) أقلاك : أكرهك .

(٣) سمت : هيئة .

(٤) أملاك : مفردها مَلَكٌ : مَلاك .

(٥) سفر : كتاب .

(٦) أفاك : الكذاب ، المفترى .

(٧) غدقا : غزيرة .

(٨) أحلاك : حُلِيّكِ أو حَلْيِكِ (ما تتزين به المرأة) .

(٩) خلدى : بالى .

(١٠) أحابيل : مفردها الأُحْبُولة : المصيدة .

هَاتى لِىَ السُّمَّ صِرْفاً[11] لا يُمَازِجُه هذا الرحيقُ فإنِّى لستُ بالشَّاكِى
مَلَلتُ كَأْسَكِ لا ألتذّ نَشْوَتَها ولا أُحطِّمُها تَحْطِيمَ سَفَّاكِ[12]



(١١) صِرْفا : الخالص ، النقى من أية شائبة .

(١٢) سفاك : قاتل يريق الدماء .

وَحْىُ لِقَاء[1]

هَذَا اللِّقَـاء كَأَنَّــه ذِكْــرَىٰ مَكْنُونَـةٌ[2] في عالَــمِ النَّــفْسِ
وكأنَّـــه وَهْـــمٌ أُجَسِّمُـــه لا حَادِثٌ فى عَالَم الحِسِّ

* * *

هَذا اللِّقَاءُ الخَاطِفُ الوَاجِفْ[3] وَتَلَــفُّتُ الأَنْظَــارِ فى حَذَرِ
كثُمالـةِ[4] الأَحْلَامِ ، كالذِّكْــرَىٰ فى رِعْشَةِ اللفَتَــاتِ والصُّورِ

* * *

أُخْتَـاه . وَاعجبـاً لَنـا ! عُذْنَــا فى هذه الدُّنْيَــا غَريبَيْـــن
عُذْنَا إِذا مَا خِلْسَةٌ سَنَحَتْ نَمْضِى على حَذَرٍ كَلِصَّيْـنِ !

* * *

ألقـاكِ مِثْـلَ الطيـفِ عَابِـرَةً وكأَنَّ مَا قَدْ كَانَ مَا كَانَا
وكأَنَّمـا الأَيَّـــامُ ما شَعــرَتْ أَنَّــا عَمَرْنَــا قَطُّ دُنْيانَـــا !

* * *

وتُفَكِّرِيـــنَ كَأَنَّمَــا افْتَـــرَقَتْ من مَطْلَعِ الدُّنيــا طَرِيقَانَــا
وتذَكِّرِيـــنَ كأنَّمـــا اجْتَمَـــعَتْ فى خَاطِـرِ الأَيــامِ ذِكْرَانَــا !

* * *

ماأَنتِ ؟ إِنى لَمْ أَجِدْ أَبـداً أَنى كَشَفتُكِ قَطُّ فى النُّـورِ

(1) نشرت فى يونيو ١٩٤٤ .

(2) مكنونة : مختفية مصونة .

(3) الواجف : المضطرب الخائف .

(4) ثمالة : بقايا .

(4) مروعة : فَزِعة .

ما أنْتِ إلا فكـــرةٌ شَرَدَتْ ماأنتِ إلا طيـفُ مذعـورِ !

* * *

وشقيَّـــةُ الخُطُـــواتِ عَاثِـــــرةٌ فى حَيثُمـا اتَّجَهَـتْ لِمَأمُـولِ
وكأنّمـــــا تَمْضِى مُرَوَّعـــــةً وضميرُهـا يُضْفِـى[5] لِمَجْهُـولِ !



(٥) يُضْفى : من أضاف الشيءَ إليه أى ضَمَّه أو أسنده أو نسبه .

حُلْمُ الفَجْرِ[1]

عَجَباً ! أنْتِ مَاتَزَالِينَ حُلْمِى وَمِثَالِــى وَفِكْرَتِــى ونَشِيــدِى
مَاتَزَالِيـنَ فى خَيالِــى رَمْــزاً لِرَجَــاءٍ مُنَــوَّرٍ مِنْ بَعِيــدِ
مَاتَزَالِيــنَ حَافِــزاً لِجُهــودِى مَاتَزَالِيــنَ غَايــةً لِوجُـــودِى
أتَحَـاشَاكِ[2] بالجَفَـاءِ[3] وبالبَــأْ سِ[4] فأرْتَدُّ سَاخِراً مِنْ جُهُودِى
أتَحَــاشَاكِ كالجحيــمِ وكالسُّمِّ ولكن إليكِ يُفْضِى[5] شُرودِى[6]

* * *

عَجَباً ! تَرْكُدُ الحَيَاةُ فَأَنْسَا كِ قليلاً فى غَمْرَتِى ورُكُودِى
فإذا دَبَّتْ الحيــــاةُ تَراءَى[7] كطيفٍ مُستَيْقِظٍ مِنْ هُجُـوعِ
وتَــراءتْ تَرِقُّ حَولَكِ أطْيَـــا فُ لِمَا كانَ بَينَنَا مِنْ عُهودِ
كلُّ مَا لَامَسَتْ يداكِ ومَامَسَّ هَوانا مِن قَيِّمٍ وزَهِيدِ
أتملّاه بالخيالِ وبالحِسِّ كَذِى مِنْ عَالَــــمٍ مَوْعُــــودِ

* * *

عجباً ! بعدَ كلِّ مَاكَانَ مِنَّا مِنْ صِراعٍ دَامٍ وجُهدٍ جَهيدِ
أتَمَنَّاكِ فى المَنَامِ وفى الصَّحْوِ تَمنِّى العَقِيمِ[8] وَجْهَ الوليــدِ
وإذَا سِرْتُ فى الزِّحَامِ فَعَيْنِى لخيالٍ مُسْتَشْرِفٍ[9] مِنْ بَعيدِ !
لهفةٌ تَمْلأُ الحَنَايــا حَنِينــاً لرجــــاءٍ مُجَسَّمٍ مَفْقُــودِ
أنْتَ حُلْمُ الحياةِ فى صَحْوةِ الفَجْرِ فَأَنَّـى[10] لِحُلْمِنَا من مُعيـدِ

---

(١) نشرت فى اكتوبر ١٩٤٤ . (٢) اتحاشاك : اتجنبك . (٣) الجفاء : البُعد .
(٤) البأس : القوة ، والمراد يجبر نفسه على الهجر والبعد ولكن لايقوى على هذا .
(٥) يفضى : ينتهى أو يؤدى . (٦) شرودى : تشردى . (٧) تراء : ظهر . (٨) العقيم : التى لاتلد .
(٩) مستشرف : يبدو على البعد .
(١٠) أنَّى : أداة استفهام بمعنى أين ، وكيف ، ومتى . والمراد يتمنى عودة حلمه . ولكن لا أمل .

انْتَهَيْنَا(1)

إِنْتَهَيْنَا قد مَضَىٰ المَاضِى جميعاً ومَضَيْنَا
اِنتهينَا لم نَعُدْ نَسأَلُ أَيَّانَ وأيْنَا
أو نَمُدُّ اليومَ للأَحْلامِ والأَوْهَامِ عَيْنَا
انْطَوىٰ الحُلْمُ الذى لَاحَ زَمَاناً وانْطوَيْنَا
ويدُ الدَّهْرِ تَمشَّتْ تُسْبِلُ(2) السِّتْرَ عَلَينا

* * *

اِضْربِى(3) فى زَحْمَةِ الأرضِ على غيرِ طَرِيقِى
فكرةً ضَلَّتْ وحُلْماً يَتَوارَى عَن مُفِيقِ
ولُقىً يقذفُه الموجُ إلى الشَّطِّ السَّحيقِ
وهَوىً يَخْسرُه الفَنُّ ، على عَينِ الصَّدِيقِ
وَسَنىً يَطْمِسُه الليلُ إلى غيرِ شُروقِ

* * *

وأنا المَكْدُودُ(4) فَلْيُلْقِ إلى الأرضِ عَصَاه
آنَ للمُجْهَدِ أن تَسْكُنَ فى الأرضِ خُطَاه
آنَ أنْ يَصْمُتَ لاتَهْتِفُ شوقاً شَفَتَاه
آن أنْ يُغْمِضَ لاتُوقِظُه وَهْناً رُؤَاه
جَاوزَ الجُهْدُ قُوَاه ، فَتَهاوتْ قَدَمَاه

* * *

---

(1) نشرت ١٩٤٥ .
(2) تسبل : ترسل وتُرْخِى .
(3) اضربى : سيرى من السير أو المشى .
(4) المكْدُود : المَغْلُوب .

طَالَ هذا الحُلْمُ حتى صَارَ فى النَّفْسِ عَيَانَا
وَمَضَينا فى طريقِ الوَهْمِ تَنْسَابُ خُطَانَا
تَهْدِمُ الأيامُ مَابَنْينى فَتَبْنِيه رُؤانَا !
ونخوضُ الشَّوكَ يُدْمِينا[٥] فَتَمْضِى قَدَمَانَا
تتبعَ الوَهْمَ الذى صَاغَ مِنَ الشَّوْكِ جِنَانَا

* * *

يَالهذا الحُلْمِ والأيامُ تَمضِى والليَالِى
عَابِثَاتٌ بِالأمانِى وهو يَمْضِى لايُبَالِى
يَغْلِبُ الوَاقِعَ فى الأرضِ بِتَحْلِيقِ الخَيَالِ
ويَرَىٰ خَلْفَ الرَّوَابِى والصَحَارَى طيفَ آلٍ[٦]
فَيرودُ الأفقَ ظَمآناً مَشُوقاً للظِّلالِ

* * *

قَد مَضَى والعُمر يَمْضِى وَالْأمَانِى وَالزَّمَان
وانْتهَيْنَا . وصَحَا بَعْدَ الأوَانِ الحالمان
عَجَباً . قدْ كان حُلماً . لَيْتَ شعْرى كَيْفَ كان
الْعَيَانُ الْيوم كالحُلمِ وحُلْمِى كالْعَيَان
صَمَتَ الدَّهرُ عَياءً وَمَضَى يَخْطُو الزَّمَان



(٥) يدمينا : يجعلنا ننزف دماً .
(٦) آل : سراب .


Twitter: @brahemGH

الوصف

وادعاً كالزَّهـــرِ حَيَّـــاه النَّســـيمْ
ساهيا كالصمْــت فى ظلِّ الوُجُــومْ
حَالِمـــاً يصْحُـــو قليـــلاً ويهـــيمْ
بـــين أطيـــــــاف الأمــــانى
وخيــــــــالات الهمـــــــومْ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

وردةٌ ذَابلة[1]

قد تَولَّتْ وَذَوَتْ نُضْرتُهـــــا وبـــدت كالميِّتِ المُحْــــتَضِرِ
تَفْتَـحُ الأجفـانَ أو تَغْمِضُهـا فتحةَ الضَّعْفِ وغَمْضَ الخَوَرِ[2]
وشَذَاهَـــا لَم يَزَلْ يُفْعِمُنـــى فيعيـدُ الشَّجْــوَ لى بالذِّكْــرِ



(١) نشرت فى ١٩٢٥ .

(٢) الخور : الضعف والانكسار .

العُود[1]

مُحَلِّلُ القَلبِ أنْغاماً وألْحاناً ومُلْهِمُ الوَحْيِ إسراراً وإعلانَا
مُوقِظُ النَّفسِ إنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ وأنْتَ تَهْمِسُ بَالأَنْغَامِ وَسْنَانَا
ومُطْلِقُ الرُّوحِ تَسْمُو فى معارِجِها[2] وتطرقُ العالَمِ العُلْوِيَّ أحْيانَا
وباعثُ الذِّكَرِ اللائى إذا اشتجرتْ أثَرْنَ فى النَّفْسِ آلاماً وأشْجَانَا
وواهِبُ الحِسِّ لُطْفاً فى مَدَارِكِه ومُوحِى الشِّعرِ إحْساساً وأوْزَانَا
أسَلْتَ[3] نَفْسِي بالألحانِ تُنْشِدُها إنشادَ ذِي شَجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْنَانَا
كأنَّ ألْحانَك اللائِى تُرَدِّدُها أطيافُ ذِكْرَىٰ ؛ توارتْ ؛ تَرْجِعُ الآنَا
كأنّها خَطَرَاتٌ فى مُخيِّلَةٍ نُحِسُّها ؛ ثم لا نَسطيعُ تِبْيانَا
كأنّها هَمْسُ جِنٍّ أو ملائكةٍ أسرَّ عن عالِمِ الإنسانِ كِتْمانَا
تسيلُ فى النفسِ والأسماعُ مُرْهَفَةٌ[4] وإنَّ للنفسِ مِثْلَ الجسمِ آذانَا !
وتستحثُّ خَيالاً كان في دَعَةٍ فيذرِعُ الكونَ آفاقاً وأزمانَا
وتملأُ النفسَ باطمئنانِها ثِقَةً وتغمرُ القلبَ إخْلاصاً وإيمانَا

* * *

حديثُ أيِّ فؤادٍ أنتَ تَذْكُرُه أَبَاسِمٌ فَرِحٌ أمْ كَانَ حَزْنَانَا ؟
وأيُّ وَحْيٍ لَنا تَرْوِي رِسَالَتَه فيؤمِنُ الناسُ أفْكاراً وَوِجْدَانَا ؟
عَنِ القُلوبِ جميعاً أنتَ تُخْبِرُنَا عنِ الأُنَاسِيِّ ما خَصَّصتَ إنسانَا

---

(١) نشرت فى ١٩٢٧ .
(٢) معارجها : صعودها .
(٣) أسَلْتَ : من أسْلَىٰ ، يقال : أسْلَىٰ فلانا عن كذا : جعله يسلو ، أسلاه عن الشيء : يسليه أى أنساه ، والمفروض أن تكون أسْلَيْتَ (ضرورة شعرية) .
(٤) مُرْهَفَة : دقيقة (تسمع بدقة وانتباه) .

عن الحياةِ وما فِيها تحدثُنا فكلُّنا مُؤمِنٌ يزدادُ إيقانًا(٥)
عن الطبيعةِ تَروِى وهى تُلْهِمُنَا هذا الحديثَ ، فما نَحْتَاجُ بُرْهَانَا



---

(٥) إيقانا : ثباتا وتحققا ووضوحا ، من أيقن ويقال : رَجُلٌ يَقِنٌ بالشيء : مُولَعٌ به .

بريشة الشعر[1]
أو
صورة صادقة

كانَ بالأمسِ ، وبالأمسِ القريبْ يَتَراءى كالأمانِى هَاهُنا !
هائماً كالرُّوحِ يغدُو ويَئُوبْ والرجاءُ العَذْبُ فى وَادِى المُنَى

وَادِعاً كالزهرِ حيّاه النسيمْ
سَاهِيا كالصمتِ فى ظِلِّ الوُجُومْ[2]
حَالِما يصحُو قليلاً ويَهِيمْ[3]
بين أطيافِ الأمانِى
وخيالاتِ الهمومْ

* * *

زهرةٌ قد كَادَ يَعْرُوها[4] الذُّبُولْ ثم حَيَّتْها تباشيرُ الربيعْ
فهى تَرْنُو بين صَحوٍ وذُهولْ مثلما تحْتارُ فى العينِ الدُّمُوعْ

وهو لَحْنٌ من أناشيدِ السماءْ
أرسلتْه فى تضاعيفِ الضِّياءْ
فوَعَاه كلُّ ذِى حِسٍّ بَراءْ[5]
وشعورٌ كالنسيمْ
فى الحَنَانِ والنقاءْ

* * *

---

(١) وصف لصديق عزيز كتبت فى ١٩٢٨ ونشرت بالبلاغ الأسبوعى ١٩٣٠ بعنوان (صورة صادقة) .
(٢) الوجوم : الحزن فى صمت .
(٣) يهيم : يسير دون هدف .
(٤) يعروها : يصيبها .
(٥) براء : برىء : شريف .

دُميةٌ تُوحِى بأشتاتِ المَعَانِى وهى سَكْرَىٰ فى حِمى الصمتِ العميقْ
هادئاتٍ مِثْلَ أطيافِ الأمانِى ساميات الوَحْى كالعطفِ الرَّفِيقْ
وهو مَا أَدْرِى مَلاكٌ أمْ بَشَرْ
فهو رُوحٌ هَائِمٌ لا يَسْتَقِر
وهو صَفوٌ لم يخالطْه الكَدَرْ
والأناسِىُّ لِئامْ
مثل شَيطانٍ نُكُرْ

* * *

كان بالأمسِ ولَكِن قد تولَّى ذلك الأمْسُ فَخلَّانى وغَابْ
وإذَا بِى مُوحِشٌ[٧] لا أتَسلَّى والخصيبُ النَّضْرُ كالجَدْبِ اليَبَابْ[٨]
أذكرُ الساعاتِ[٩] وَمْضَا يَنْقضِينَ
ثم يَعْرُونِي لِذكرَاها الحنينْ
فيهيجُ الوجدُ والشَّوقُ الدَّفِينْ
إيه ساعاتِ الأمانِى
أتُرىٰ قَدْ تَرجِعينْ ؟



(٦) نُكُر : مكروه بشع مُسْتَنْكَر . (٧) موحش : وحيد .
(٨) اليباب : الخراب .
(٩) ومضا : بريق سريع الانطفاء ، والمراد : تنتهى فى سرعة بالغة .

هَدْأةُ الليل(١)

هَدَأ الليـلُ وهَـاجتْ بِيَ الشُّجُـونُ — وصَحَا جَفْنِى لَدىٰ غَفْـوِ الجفُـونْ
وتـوارتْ ضَجَّـةُ العَالَـمِ فى — هَدْأةِ(٢) الليـلِ يُغَشِّيها السُّكُـونْ
حَنَّتْ . الـوُرْقُ(٣) فلمَّـا هَجَـعَتْ(٤) — بَعدَ لأيٍ(٥) هَيـجَتْ عنْـدِى الحنينْ
ذكريـاتٌ مَا لَهـا تَتْبعُنـي — حيثما سِرْتُ وأيـانَ أكُـونْ
صُورٌ شتـىٰ إذا ما عَرضَتْ — صَوّرَتْ لى واضحاً طيـفَ السنيـنْ
وأرَتْنِـى كيـفَ يمضِى العُمْـرُ لا — يشعـرُ المرءُ به حتـى يَحِيـنْ
يَتـقضَّى العُمْـرُ فى أحلامِنـا — وإذا نَصْحُـو صَحَتْ غُولُ المَنـوُنْ
وأرتْنِـى شَبَحـاً مِنْ عَدمٍ — يتبـعُ الأحيـاءَ أنّـىٰ يَنزِلُـونْ
يَبْلَـعُ المَـاضِى مِنْ آثارِهـم — فَاغِـراً فَاهُ لِمَـا يَسْتَقْبِلـونْ

* * *

إيـه يا ليـلُ أرانـى مُغْرَمـاً — بحديثٍ مِنْكَ يُشْجِـى السَّامعيـنْ
هاتِ ما عِنْـدَكَ لا تبخـلْ به — بلسانِ الصَّمْتِ والوَحْـى المُبيـنْ
أوْ حِ للأنْـفُسِ ما حُمِّلْتَـه — من جلالٍ وخُشُـوعٍ ويَقيـنْ
هاتِ يا ليـلُ أحَـاديثَ الهوىٰ — واتـلُ يا ليـلُ شُجُـونَ العاشِقيـنْ
وادَّخـرْ فيك صَدىٰ أنَّاتِهـم — لا تُضِعْ يا ليـلُ أصْدَاءَ الأنيـنْ
إنَّهـا ذوبُ قلـوبٍ فُطِـرَتْ — ونفـوسٌ داميـاتٌ وعُيـونْ
كَم سلامـاً فيك قد حُمِّلْتَـه — من مُحبٍّ وامِـقٍ(٦) القـلبِ حَزيـنْ

---

(١) نشرت فى يونيو ١٩٢٨ .
(٢) هَدْأةٌ : سكون عن الحركات .
(٣) الوِرْق : الورقاء : الحمامة .
(٤) هجعت : نامت ليلا .
(٥) لأى : جُهْدٍ ومشقة
(٦) وَامِق : محب ودود .

رُبَّ سِرٍّ غامضٍ أُودِعْتَــــــــــــــه   في حَنايــا الصَّدْرِ مَخْبــوءٌ دفيــــنْ
ضَاقَ صدْرُ الصَّبِّ عن كتمانِــــه   فأراكَ السِّرَّ دونَ العالميـــــــــــنْ

* * *

مُرْ يا ليــــلُ فقـــد أشْجَيتَنــــى   عَلَّ فى الصُّبْــحِ هدوءاً أو سُكـــونْ
إنّ لى فِيكَ لَشَجْـــــــــــواً وأسًى   ومُنَاجَـــــاةً وشَكـــوىٰ وحنيـــنْ
عبَثــاً أنْجُـــو بروحِـــى مِنْ حنيـــنٍ   هُو أصلُ الوَجْـدِ عِنْــدِى والشُّجُــونْ
إننــى أهْــواكَ يا ليــــلُ ولكـــنْ   أنْتَ بالإشفـاقِ والعطـفِ ضَنيـــنْ(٧)
تبــعثُ الأشجـــانُ مِنْ مَكْمَنِهـــا   رحمةً يا ليـــــلُ بالمستيقظِيـــــنْ



(٧) ضنين : بخيل .

الصُّبْحُ يَتَنَفَّس(١) !

نَسَمَــاتٌ زَفَّهَــا الفجــرُ الوليـــدُ ... بعــد ما جَاشَ(٢) بها صَدْرُ الحَيَــاه
ناعمــاً مِثْــلَ أنفــاسِ الْــورود ... بَلَّــلَ الطــلُّ شَذَاهــا بِنَــدَاه

* * *

كانت الدُّنيــا يُغَشِّيها السكــونُ ... وظــلامُ الليــلِ والنــومُ العَمِيــقْ
طِفْلَةٌ قد ضمَّهــا الليــلُ الحَنــونُ ... ضَمَّــةَ الــرحمةِ كالأمِّ الشَّفُــوقْ !

* * *

وتَـراءى الصُّبْــحُ في سَمتٍ بديــعِ ... فإذا الطِفْلــةُ تَصْحُــو من سُبَــاتْ
تُرْسِلُ الأنفــاسَ فى رِفْــقٍ وديــعِ ... وإذا الأنفــاسُ تلك النَّسَمَــاتْ

وإذا الزهــرُ يُحَــيِّ فى ابتســامِ ... ذلك الصبــحَ ويرنُــو في هُدوءْ
كابتسامِ الطفلِ فى عهــدِ الفِطــامِ ... حينما يَحْلُــمُ بالثَّــدْى الــمَلِيء !

وإذا الطيــرُ وقَــد رَانَ النُّعــاسُ ... فوقَ عينيــهِ(٣) تَنَــزَّي فَصَحَــا(٤)
يرمــقُ النــورَ بهمسٍ واختــلاسِ ... فَيُحَيِّيــه طَرُوبــاً مَرِحَــا

*

وانبثاقُ الفجرِ من سُدْفِ(٥) الظلامِ ... مثلمــا يَبْسَمُ للعَانِــي الأمــلْ
يَلْثُــمُ الكــونَ ببشرٍ وابتســامِ ... ويُحيــه برفــقٍ في القُبَــلْ

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ . (٢) جاش : امتلأ . (٣) تنزى : توثَّب وتسرّع .
(٤) فَصْحَا : ظهر ضوؤه والمراد أن الطيور انطلقت مع ضوء الصبح تتوثب .
(٥) سدف : سواد .

وتــرى الأنــفسَ فى هذا الحَنـــــانِ سَاكِنـــاتٍ بيـــنَ أحضانِ الطَّبيعَـــه
ساهيـــاتٍ رَاضيـــــاتٍ فى أمـــــانٍ تُرْسِلُ الطــرْفَ(٦) بنَظَــراتٍ وَدِيعــه

عَالِمـــاتٍ فى كَراهــا(٧) يَقظــاتٍ ! سابحاتٍ فى التَّعـــلاَّتِ(٨) الـــوِضَاءْ
تُنْشِدُ الآمالَ عَذْبَ الأغنيــــــــاتِ بيـــنَ سَمْـــعيها ويحدُوهـــا الرَّجَـــاءْ

فتــرةٌ فى مَطْلِــعِ الفجــر تَمــــرّ هى حُلْــمٌ مثــلَ أيــامِ الطُّفولَـــه
فإذا مَرَّتْ فجــــــوٌّ مُكْفَهِـــــــرُّ هو فى الطِّفْــلِ شبــابٌ وكُهُولَـــه

* * *

ليتنـــى عِشْتُ بأحضَانِ الصَّبـــاح أو قضيتُ العُمْـرَ أستمتــعُ طِفْــلاَ !
لا ولا هذا من الدَّهْــــرِ يُتــــاحُ لا ولا قد عُدتُ أستمتــــــعُ كَلاَّ !



(٦) الطرف : النظر .
(٧) كراها : نومها
(٨) التعلات : المبررات والأسباب والمراد تنعم بمظاهر الصباح

عبث الجمال(١) .. !

غادةٌ مِراحٌ طروبٌ ، لم تقنعْ أنْ تعبثَ بالقلوب والأرواح ، فعمدتْ إلى جماعةٍ من الطير ، اتخذنَ لَهن عُشًّا بين أحضان شجرة ، تَذُودُهن عن عشهِن الهادىء فى عبث قاسٍ ، وكلما عُدْنَ إلى العشِّ ، عادتْ هى إلى الذودِ !

دَعِيها تُغَــــرِّدْ لَحنها وتُرَجِّــــــعْ(٢) وتمرحْ ما شاءت وتَلْهُـــــو وتَرتَـــــعْ
دَعيها تُنَمِّـــقْ(٣) للحيـــــاةِ تحيـــــةً وتبعثُهـــــا لحنـــاً يَلَــــذُ ويُمْتِــــعُ
دَعيها تُعَبِّـــــرْ عن مَشوقٍ مُتيــــــمٍ تَلِـجُّ(٤) به الذِّكرى ؛ فيهفُـو ويَنْـــزَعُ
دَعيها فَفـى ألحانِهـــا ، الحبُّ نَاطــقٌ ومـن وَحْيِـــه تَشدُو مَليًّــا وتَسْجَـــعُ
دَعيها فقـــدْ رَوَّعْتِهــــا وتَرَكْتِهــــا مُشتَّتَــةً حَيْــرى تُطِــلُّ وتَرجِـــعُ !

* * *

عزيــــزٌ عليها عُشُّهــــا دَرَجَتْ(٥) بهِ فِراخـــاً نَحيـــلاتٍ تَهُـــمُّ فَتَقْعُـــدُ !
يُطالِعُهــــا رُوحُ الربيـــعِ فتَنْــــتَشِي ويَدْهَمُهـــا(٦) قَرُّ الشِّتـــاءِ فَتَجْمُـــدُ
وتَــنْشَقُ أنفـــاسَ الصَّبـــاحِ نَديـــةً فَتَنْـدَى ؛ ويَحْدُوهـا الرَّجَاءُ فَتَسْعَـــدُ
وظَلَّلَهـــا فى عشِّهـــا الحبُّ حَانِيـــاً عَلَيها قويًّـــاً مُنْــــعِشاً يَتَجَـــدَّدُ

* * *

فَكـــــانَ لها زاداً إِذا قَلَّ زَادُهـــــــا ورَوحـــاً ورَيْحَانـــاً ولَحنـــاً يُردَّدُ

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٢٩ .
(٢) تُرَجِّعُ : تردّد .
(٣) تنمّق : تنقش وتزين .
(٤) تلج : من لجَّ فى الأمر : لازمه وأبى أن ينصرف عنه .
(٥) درجت : نشأت .
(٦) يدهمها : يُفاجئها .

ويَـا طالمَـا غَنَّتْ ويـا طالما بَكَتْ … سُروراً بقـربٍ أو حَنينـاً إلى ذِكْـرىٰ
ويا طالَما ارتـاعتْ(٧) لِخَـطْبٍ مُدَاهِـمٍ … فكـانَ لها مَنْجَىٰ وكَـانَ لَهـا سِتْـرَا
وكَـم ليلـةٍ مَرَّتْ وكَـم أشْرَقَ الضُّحـىٰ … وكَم أمَّـلَتْ خيراً ؛ وكَـم حَذَّرَتْ شرّا
دَعيها . بمهـدِ الذكريـاتِ أمينـةً … تَطيـفُ بها كالومضِ مُسْرِعَةً تَتْرَىٰ(٨)
دَعيها أجَـلْ لا تَعْبَثِـى بشعورِهـا … ولا تَحْـرِميها خيـرَ ما حَفِظَتْ ذُخْـرَا

* * *

وإن لا يكـنْ بُدٌّ من اللهـوِ فاعبثِـى … بألبابِنـا لا بالطيـورِ الهَوائـمِ !
وَهَبْتُك إحسَاسِي فمـا شئتِ فاصنعِي … أميناً لعهـدِى مُخْـلِصاً غيـرَ نَادِمِ
وقَـاكِ الجمـالُ السَّمْـحُ كلَّ مَلامَـةٍ … وعَـتْبٍ(٩) فَلا تَخْشَى مَقالَـةَ لائـمِ
ولكنَّهـا الأطيـارُ تَلْهُـو بريئـةً … فمـا بالها تُذْهَـىٰ بِفَعْلَـةِ ظَالـمٍ !؟
دَعيها ـ فَدَتْكِ النفسُ ـ لا تعبثِي بها … فمـا كان أوْلَاهـا بِرَحْمَـةِ رَاحِـمِ !

---

(٧) ارتاعت : فزعت .
(٨) تترى : متتابعة .
(٩) عَتْب : المراد : المؤاخذة .

يومُ خريفْ[1]

وَقَفَ الكونُ شَاخصاً[2] في سُكُونٍ   وتَـراءَى لِخَاطِـرِى كالحزِيـنِ !
وشُخُوصُ الأحـداثِ يُغْرِقُها الصَّمْتُ   فتبـدُو كَباهتـاتِ الظُّنُـونِ
وكـأنَّ الزَّمـانَ سَاورَه[3] الحُـزْنُ   فَأغْفـى إغفـاءةَ المُسْتَكِيـنِ[4]
وكأنَّ الأفلاكَ أجْهدَها السَّيْـرُ   فناءتْ بِحِمْلِ عِبْءِ القُرونِ !
وكـأنّ الأقـدارَ أرْخَتْ يَدَيْهـا   وتراخَتْ عَنْ صَرْفِها للشئُـونِ

* * *

وقِفَ الكونُ سَاهِماً ليس يَدْرِى   أينَ يَمْضِى ؛ وأينَ لَو شَاء يَمْضِى ؟
طَالَمـا دَارَ بالأنـامِ ودَارُوا   بينَ رَفْعٍ مِنَ الحياةِ وخَفْضِ
ثم ماذَا ؟ تَساءَل الكونُ : ماذَا ؟   أحيـاةٌ مابيـنَ غَزْلٍ ونَقْضٍ ؟
أيّمـا غايـةٍ نَؤمُ[5] إليها   أىُّ قَصْدٍ قَضَيْتُه أو سَأقْضِى ؟
تَعَبٌ ضَائِعٌ وجُهْـدٌ غَبيـنُ[6]   ومَصيـرٌ مُقَنَّعٌ ليسَ يُرْضِى !

* * *

وسَرَى اليـأسُ والخُمُـولُ إليـه   فَتَراخَـى فى سَيْـرِه كالبليـدِ !
وتَمْشى الهُمُودُ[7] فى كلِّ شيءٍ   مِشيةَ الـدَّاءِ بالأسَى والكُنُـودِ
فإذا الدَّوحُ[8] فى وجُومٍ كئيبٍ   وإذا الطيرُ فى ذُهُولٍ شَرِيدِ
وإذا الزَهْرُ فى الرياضِ أسيفٌ[9]   كصغارِ الأيتامِ فى يومِ عيدِ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .   (٢) شاخصا : ماثلا أمامى .   (٣) ساوره : واثبه : أو صارعه : هَيّجه .
(٤) المستكين : الخاضع الذليل .   (٥) نَؤُمّ : نتجه إليها .   (٦) غبين : ضعيف ناقص .
(٧) الهمود : الضعف .   (٨) الدوح : الشجر .
(٩) الأسيف : الرقيق القلب البكّاء .

وإذا بالزمانِ يعطُو[10] كَسيحاً كأسيرٍ يُساقُ نِضْوِ[11] القيـودِ

* * *

وكأنَّ السَّماءَ والأرضَ ، مَرْضَىٰ بَرِمَـاتٌ بثِقلـةِ العُـوَّادِ ![12]
وترى السُّحب فى السماءِ تُغشِّى ناظريهَـا كَصَفْحَةٍ مِنْ رَمَـادِ
وترى الأرضَ كالكظيمِ[13] مِنَ الحُزْنِ ثَكُولا[14] تَسرْبَلَتْ[15] بالحدادِ[16]
والفَنـاءُ المريضُ ، طافَ عليها طائفٌ مِنْه فى ثَنَايا الرُّقَـادِ
كلُّ شَـىءٍ يرنُو إلى كلِّ شيءٍ ! كسجيـنٍ يَرْنُـو إلى الجَـلَّادِ

* * *

مَأْتَـمٌ صَامتٌ يُهـوِّمُ فيـه شَبَحُ اليـأسِ والقُنُـوطِ العَقيـمِ
ليسَ موتٌ وليسَ ثَمَّ حَياةٌ كُلُّ شيءٍ فى صمتِه كالسَّقِيمِ
والوُجُـومُ الـذى يُغشِّي عليها كاسِفَ البالِ مُمْعِنٌ فى الوُجومِ !
وخُفُـوقُ الأرواحِ أبْطَـأُ نَبْضاً كَخُفُوقِ النُّجومِ خَلْفَ السَّدِيمِ[17]
أسْبَلَتْ[18] عَينَهـا الحيـاةُ سَآمـا واسْتَنَـامتْ لليأسِ والتسليـمِ !



(١٠) يعطو : من عَطَا يعطُو : تناوله باللَّم .
(١١) النِّضْو : المهزول ، يقال : فلان نضو سفر : مُجْهَدٌ من السفر : والمراد نضو القيود : شديد الضعف والهزال من قيوده .
(١٢) العوّاد : مفردها عائد : زائر المريض .
(١٣) كظيم : كاظمة : ممسكة نفسها من الغضب .
(١٤) ثَكول : من فقدت ولدها .
(١٥) تسربلت : لبستْ . (١٦) بالحداد : ملابس الحداد (السوداء) .
(١٧) السديم : التعب أو الضباب الرقيق أو بقع سحابية مغيمة فى الفضاء .
(١٨) أسْبَلَتْ : أرخت .

الجبار العاجز[1]

على إفريز محطة القاهرة ، أنزل قطار الصعيد ، كتلة بشرية ، تتنزى[2] وتتلوى ؛ وتصرخ فى حشرجة مفزعة . هذه الكتلة هى بقايا رجل متحطم ؛ صريع أشل ، يتنزى الصرع فيه ، وتتلوى صرخاته ؛ كأنما تغالب معركة داخلية عنيفة ويبدو على سِحْنَتِه أن هذا العجز ليس أصيلا فيه ، وأن له ماضيا جبارا ؛ فى ناحية من النواحى ؛ وأنه يألم أكثر ما يألم ؛ لهذا العجز الطارىء الجديد .

* * *

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُواه فانْحَطَمَ ... وتنزَّى[3] الداءُ فيه والألَمْ

ودَوّتْ من فيه تَعوِى صَرْخَةٌ ... تَتَلَوّىْ فيه حتىٰ تَحْتَدِمْ[4]

صَرْخَةُ الجبارِ يَشكُو مُرْغَماً ... ذِلَّةَ الشَّكْوَىٰ وإهوانَ[5] الرَّغَمْ[6]

يَشْتكِى العجزَ وما يُؤلِمُه ... فيه إلا كَبْحُ نفسٍ تَضطرِمْ

يَشْتكى العجزَ الذى أقعدَه ... عَنْ صراعاتٍ وهولٍ يَقْتَحِمْ

تسمعُ القوةَ فى صَرْخَتِه ... مِن وَراءِ العجزِ تَلْوِى فَتُصِمْ[7]

ويَهمُّ البأسُ فى أشلائِه ... ناهضاً ؛ لكنما العجزُ جَثَمْ

* * *

أيُّ معنىٰ تَحتوِى صَرْخَتهُ ؟ ... أىُّ ماضٍ فى ثَناياها ارْتَسَمْ ؟

هو ماضٍ نَازَلَ الدهرَ به ... فى عِنادٍ شامخٍ حتى انْحَطَمْ

هو ماضٍ غَامضٌ تَكْنُفُه ... جَلْجَلاتٌ[8] ، وهَزيمٌ[9] ؛ ورُجَمْ[10]

---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ . (٢) تتنزى : تكثر حركتها . (٣) تنزى : المراد زاد الألم .

(٤) تحتدم : تشتدُّ . (٥) إهوان : مصدر (هان) قبل إعلاله والمراد : الذِّلة .

(٦) الرَّغْم : على كره منه . (٧) فتصم : من شدة الصرخة تُفقد السمع .

(٨) جلجلات : صوت فى حركة . (٩) هزيم : صوت الرعد . (١٠) رُجَمُ : أحجار القبور .

هو ماضٍ مَاردٌ مُقْتَحِــــــمٌ لايهابُ الموتَ فيمــا يَعْتَــزِمْ
هو ماضٍ ! أيُّ ماضٍ ؟ يالَه مُبْهَمُ التعبيرِ كالدَّهرِ الأَصَمْ(١٠)



---

(١٠) الأصم : المراد الذى لايستجيب .

نَاحِتُ الصَّخْرِ[1]

أو

« الفاعل »[2]

لِمَنْ طَرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوِلُ[3] ... أقضَّ[4] بها النُّوَامَ فى الفجرِ مِعْوَلُ[5] ؟
لِذلكم الصَّخَّارُ يَحْطِمُ صَخْرَهُ ... ولمّا يَزَلْ لليلِ فى الصُّبحِ مَدْخَلُ
أكبَّ على تحطيمِه وانتحاتِه ... كَراجٍ له فى ذلك الصَّلْدِ[6] مَأْمَلُ
يُطَوِّحُ فى عُرْضِ الفَضَاءِ ذِرَاعَه ... ويهوى على الصَّمَّاءِ كالخَطْبِ يَنْزِلُ
ولكنَّها تَلْقَاه صَمَّاءَ لَمْ تَلِنْ ... وقد خُذِلَتْ كَفَّاهُ ، والصَّخْرُ يَخْذُلُ
يدورُ حَوالَيها لِيُدْرِكَ مَقْتَلاً ... وهَيهاتَ فى الصُّلْدِ الأصمَّاءِ مَقْتَلُ
ويَغْمِزُها غَمْزَ الخبيرِ ويَنْثَنِى ... يحاولُ مَا أعياه ، لا يَتَحَوَّلُ
وقد جَاشَ فى أعضائِه كلُّ نَابضٍ ... وسَالَ دَمٌ فى صورةِ الماءِ يَهْطِلُ !
وحينَ توالتْ طَرْقَةٌ بعدَ طَرْقَةٍ ... تَفَتَّتَ تحتَ العَزْمِ مَاكانَ يَصْمَلُ[7]
فَأرخىٰ ذِراعَيْه ، وأسْنَدَ جِسْمَه ... إلى مِعْوَلٍ ؛ نَضّاه[8] للكدحِ مِعْوَلُ

* * *

تَسيلُ جُهودٌ أو دِمَاءٌ نَقيةٌ ... لِيُنْصَبَ تِمْثَالٌ ؛ ويُرْفَعَ مَنْزِلُ
ومانَصْبُ التمثالِ للكادحِ الشَّقِيِّ ... وليسَ له فى ذلك القصرِ مَوْئِلُ !
ولكنْ قُصارَاه شَرابٌ ولُقْمَةٌ ... ومَأمَلُه فى ذلك الصَّلْدِ مَأكَلُ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٤ .
(٢) الفاعل : كلمة متداولة تعنى (العامل) فى قطع الصخر من الجبل أو يعمل فى الحفر .
(٣) تُعْوِلُ : رفع الصوت بالبكاء والصياح . (٤) أقضّ : أقلق . (٥) مِعْوَلَ : آلة لتحطيم الصخر .
(٦) الصَّلْدُ : الصُّلْبُ الأملس الشديد . (٧) يَصْمَل : مايكون ضخماً صُلْباً .
(٨) نضاه : حرّكه وقلقه .

قِفَـارٌ كمثـلِ الصَّخْــرِ أسودَ كالــحٍ وأفراخُـه كُثْــرٌ ؛ وأنْثَــاه مُطْفِــلُ (٩)
فإن كانَ إكليــلٌ فهــذا جَبينُـــــه وَإنْ كانَ تمثــالٌ فهــذا المُمَثَّــــلُ
ويـارحمةَ الإنسانِ أدْعُــوكِ فَاخْجَلِـى أمـامَ بنـى الإنسانِ إنْ كانَ يَخْجَـلُ !



(٩) وأنثاه مطفل : لها طفل رضيع ..

حُلْمُ النِّيل[1]

هَازَجَ[2] بالنشيدِ تلْوَ النَّشيد وهـو يَمْضِى إلى مَدَاه البَعيدْ
ذكريـاتُ القُـرونِ قَدْصَاغَهـا النيـلُ نَشيـداً ، فيَالَـه مِنْ نَشيـدْ !
يَنْظِمُ السِّحْرَ وَالكَهَانةَ والفَنَّ ، ويَشْدُو بكـلِّ هَذَا القَصِيـدْ
منذُ فَجْرِ التاريخِ لَمْ يَتَبَدَّلْ لَحْنُه العَذْبُ مِنْ قَدِيـمٍ جَدِيـدْ

حَالِـمٌ بالرَّجَـاء عِنْـدَكَ يَانِيـلُ سَعِيـدٌ بحُلـمِكَ المَعْهُـــودْ
يَنْبُتُ الزَّهرُ فى خُطَاكَ بَهِيجـاً ذاك حُلْـمٌ تأويلُـه فى الـوُرُودْ



(١) نشرت فى أكتوبر ١٩٣٨ .

(٢) هازج : تغنَّى .

وداع الشاطيء[1]

من الفردوس إلى الجحيم

أُحْــلُ[2] يا شَطُّ ما تَشَاءُ فإنِّــــى ... رَغْمَ سحرِ الجمــالِ والموجِ رَاحِــلْ
رَاحِـــــلٌ حَشْدُ نفسِهِ لِفَتَـــــاتٌ ... ليسَ عن فِتنــةِ الجمــالِ بِغَافِـــلْ
قَدْ دَعَتْـــهُ إلى الرَّحيـــلِ دِيـــارٌ ... فى صَميمِ الجحيمِ تُدْعىٰ الشَّواغِــلْ
هي قبــــرُ الآمالِ والفــــنِّ والحبِّ ... وقَيـــــدٌ عن كلِّ ماشَاقَ شَاغِـــلْ
وهـــى دَارِى التـــى دَرَجْتُ[3] عليها ... وإليها المآبُ مَهْمــــا أحـــاوِل !

* * *

أُحْــلُ ياشطُّ بالجمــــالِ طَلِيقــــاً ... من قُيــودِ الزمــانِ نَشْوانَ وَاهِــلْ[4]
أسْكَرَتْـهُ الأمــواجُ وهــى تُزَجِّــى[5] ... دَفَعـــاتِ الحيــــاةِ فى كلِّ نازِلْ
فيـــرَى نفسَهُ خفيفـــاً غريـــراً ... قاهـــراً قادراً يجوزُ الحوائِــــلْ[6]
دَفَعَاتُ الحياةِ فى المَـوْجِ أسْنَـــى[7] ... من بَريـــقِ الآمالِ فى نفْسِ آمِـــلْ

* * *

أُحْــلُ ياشطُّ بالعَـــرائِسِ حُوراً[8] ... سَابحاتٍ والموجُ ظمــــآنُ نَاهِــلْ
كانْفِتَالِ الحِيتــانِ فى البحــرِ وَثْبــاً ... وانثنـــاءِ الغِــزْلانِ والشطُّ ذَاهِـــلْ
فتنــــةٌ تَسْكُبُ الحيــــاةَ عليها ... سِحْرَهـــا والعيـــونُ حُورٌ[9] قَواتِـــلْ

* * *

---

(١) نشرت فى سبتمبر ١٩٤٠ .

(٢) أُحْلُ : فعل الأمر من حَلا الشيء يَحْلُو حلاوة ، ويقال : حلا الشيء له فى عينيه : لَذَّ وحَسُن .

(٣) درجت : نشأت وسرت .

(٤) واهل : ساهٍ (من سَهَا : غَفَل) .

(٥) تزجى : تدفع إلى الأمام .

(٦) يجوز الحوائل : يجتاز الصعاب أو الموانع .

(٧) أسنى : أضوأ (من الضوء) .

(٨) حوراً : الفتيات الحسناوات .

(٩) حور : مفردها حوراء : شدة بياض العين فى شدة سوادها (من جمال العيون) .

واندفاعُ الأمــواجِ يُوقِــظُ في النَّفْــ ـسِ ظَمـاءً مُرَقْرَقـا في الدَّخائِــلْ(١٠)
وانطلاقــاً من التَّــــزَمُّتِ والْعُــــرْ فِ وشَوْقـاً إلى المباهِــجِ واغِــلْ(١١)

* * *

أُحْــلُ ياشطُّ لن نُطيــقَ انْفِـــلاَتاً من رَحيــلٍ إلى جحيــمِ الشَّواغــلْ



(١٠) الدخائل : مفردها داخل : مافي باطن النفس .
(١١) واغل : متعمق .

الوادى المقدس[1]

على ضِفـــــافِ الخلـــــودْ   وفى شعـــــابِ الزمـــــنْ
والدهـــــر يحبُـــــو وليـــــدْ   قد كان هذا الوطـــــنْ

* * *

يافجـــــرُ مَنْ ذا رآكْ   تجولُ تلكَ السمـــــاءْ
ولـــــيسَ حَيٌّ سِواك   تُهـــــدِى إليـــــه الضيـــــاءْ ؟

* * *

رأتْك تلك الضِّفـــــافْ   رأتكَ تلك البُـــــرورْ[2]
رأتْكَ قبـــــلَ المطـــــافْ   وأنتَ طفـــــلٌ غريـــــرْ

* * *

وشِبْتَ والدَّهـــــر شَابْ   وحنَّكَـــــتْك[3] الحيـــــاهْ
والنيـــــلُ بادى الشبـــــابْ   والزهـــــر يَقْفـــــو خُطـــــاهْ

* * *

يَنْسَابُ مثـــــلَ النَّغَـــــمْ   فى عَـــــزِفِ نـــــايٍ طـــــروبْ
وكانسيـــــابِ الحُلُـــــمْ   تُضْفِـــــى عليـــــه الغيـــــوبْ

* * *

خريـــــرُهُ صَلَـــــواتْ   مُعَطَّـــــرَاتُ النشيـــــدْ
وموجُـــــهُ أُغنيـــــاتْ   مُرتَّـــــلاتُ القصيـــــدْ

يانيـــــلُ كم من شِراعْ   يانيـــــلُ كم من سَفيـــــنْ[4]

---

(١) نشرت فى مايو ١٩٤٤ .

(٢) البرور : مفردها البَرُّ (الشاطىء)

(٣) حنكتك : ألبتـك التجربة والمعرفة .

(٤) سفين : سفينة .

أسْلَمْتَهــــــا للــــــــــوَداعْ		علــــى مَــــدَارِ السِّــنِيــــن

* * *

يانيــــــلُ كَمْ من جُمــــوعْ		ماجَتْ بتــــلك الضفــــافْ
يانيـــــــــــلُ كم من زروعْ		وذِى وذِى للقطـــــــافْ

* * *

وأنتَ صِنــــوُ[5] الخلــــود		وفى يديْك الزِّمـــــــامْ
وكــــــلُّ عامٍ تعـــــودْ		مُجــــــدَّدَ الأيـــــامْ

* * *

تجرى فتجـــــرى الحيــــاه		ويُمْـــــرِعُ[6] الشاطئـــــانْ
ويستفيـــــــقُ الرُّعـــــاه		وتمرحُ القُطْعـــــــانْ

* * *

ويَــــنشطُ الـــــزرزورْ		يجمِّــــع العيـــــدانْ
لِعشه المعْمُــــــــــورْ		بفرخـــه الوَسنـــــانْ

* * *

أكادُ خلــــفَ النــــرون		أُحِسُّ رِكْــــزَ[7] الجمــــوعْ
أراهُـــــمُ مُهطعيــــــنْ[8]		فى موكبٍ للربيــــــعْ

* * *

قد شمَّـــروا للـــحصاد		وخَلَّفـــــوا أمشيــــرْ
فى فرحــــــــةِ الأولادْ		تسابقُـــــوا للبكُــــورْ

* * *

ومـــــوكبٌ للـــــرَّواحْ		فى كلِّ يومٍ يؤوبْ
يزُّفــــــه الفـــــلاحْ		على مَدارِ الغـــــروبْ

* *

من الحقـــــولِ المَريعـــــة		إلى الحِمــــى والدِّيـــــارْ

---

(٥) صنو : رفيق .
(٦) يمرع : ينعم الشاطئان بالخصوبة .
(٧) ركز : صوت خفى .
(٨) مهطعين : مسرعين فى خوف .

تضمُّ فيـــــــه الطبيعـــــــهْ   أبناءَهـــــــا الأبـــــــرارْ

* * *

لُحُونُـــــه من صِيـــــاحْ   ومـــن رُغـــاءِ النَّعَـــمْ (٩)
ومـــن رجيـــع النُّبَـــاحْ   ومـــن ثُغـــاءِ الغنـــمْ

* * *

على مَدارِ القـــــرونْ   يسيـــرُ فيـــه الرُّعـــاهْ
كأنهم خالـــــدون   ما بُدِّلُـــوا فى الحيـــاهْ

* * *

أُحبُّ فيكَ الخلـــــودْ   ياأيُّهـــا الـــوادِى
أُحب فيك الصمـــــودْ   لِلْقاهـــرِ العَـــادِى

* * *

تَصبُّ فيكَ الوفـــــودْ   وأنت يقظـــانُ ساهـــرْ
تصوغُهـــم من جديـــدْ   كأنما أنتَ ساحـــرْ

* * *

يا مَهبِـــــطَ الأسرارْ   من الغيـــوبِ العميقَـــهْ
يا موطـــنَ الأسحـــارْ   من القـــرونِ السحيقـــهْ

* * *

يَأوِى إلـــيك الزمـــانْ   خوف البِلَـــى رالفَنـــاءْ
يأوى لحصن الأمـــانْ   فيستمـــدُّ البَقَـــاءْ

* * *

ووجـــهك الفَتَّـــانْ   بلونـــه الأسمرْ
يـــا طـالمـــا يَـــزْدانْ   بـــزرعـــك الأخـــضـــرْ

* * *

ترنُـــو له عينـــاى   فى فتنـــةِ العـــاشقْ
يا أرضُ يا دُنيـــاى   يا آيـــةَ الخالـــقْ

* * *

---

(٩) النَّعَم : الحيوانات .

يا أرضُ كَم تَخْلُـــــــــــــبين ... بالزهـــــرِ أحـــــلامَ شاعـــــرْ
رُؤاكِ طـــــــــولَ الســـــــنين ... يا أرضُ ، تلك الأزاهــــــــــــرْ

* * *

ورِيحك المعــــــــــــــــــروفْ ... يشمُّـــــــــــه أنْفِـــــــــى
فى خاطـــــــــرِى مألــــــوفْ ... مميـــــــــز العَـــــــرْفْ

* * *

يا أرض ، هذا الصعيــــــــــــدْ ... مقــــــــدسٌ فى ضميــــــرِى
سَرَىْ عليـــــــــــــه الجدودْ ... وأخلـــــــدُوا للقبــــــــــور

* * *

يكــــــــــادُ فَرْطُ الحنيـــــــنْ ... إليهمُ فى شُعـــــــــــــورِى
يردهـــــــــم شاخصيــــــــنْ ... إلـــــىَّ خلـــــفَ الدهـــــورْ

* * *

يا أرضُ سرٌّ دفيــــــــــــــنْ ... مُغـــــــــــــــيَّبٌ فى ثراكِ
يَرُدُّنـــــــا مُوثقـــــــــين ... إلـــــــــــــيكِ أسرَى هواكِ

* * *

هذا الثرى المنثـــــــــــــور ... فى صفحـــــــــة الـــــــوادى
عرفتـــــــــــه فى الضمير ... رفـــــات أجـــــــــدادى

* * *

يا أرض . هذا النشيـــــــــــد ... من وحـــــيك العبقـــــــرىِّ
فَاقْضِى له بالوجـــــــــــود ... بسرِّك القُـــــــــــدسِىِّ



فى ليلةٍ من لَيالى الربيع(١)

فى الجوِّ رائحةٌ تُوسْوِسُ فى الحَنَايـــا والصُّدُورْ
نَشْوانـةً خَدِرَتْ (٢) يُعاوِدُهـا التـوثُّبُ والفُتُـورْ
فَتهيـمُ كالشوقِ المجنَّـحِ فى مَتَاهَـاتِ الضَّميــرْ
وكـأنّ رائحـةَ الحيـاةِ تَدِبُّ فى عَبَـقٍ (٣) مُثيــرْ

* * *

وأُحِسُّ بالنغمـاتِ سَاريـةً تَرَقْرَقُ (٤) فى الدِّمَــاءْ
كهُتـافِ مشتـاقٍ تَولَّـه لا يكـفُّ عَنِ الدُّعَــاءْ
الأرضُ تَفْتِنُـــه ويَرْنُـــو فى ابتهالٍ للسَّمَـــــاءْ !
والصَّمتُ يَغْمُرُه وفى الَأحْنَاءِ (٥) وَسْوَسَةُ الغِنَـاءْ !

* * *

والحبُّ والأشواقُ والظَمَـــأُ المُغَلْغَـــلُ للحيـــاهْ
وهَواتِـفُ الدُّنيـا إلى القُبَـلِ المُليحـةِ فى الشِّفَـاهْ
وَتَرَقْـرُقُ الخُرَّقَـاتِ (٦) فى شَغَـفٍ يَهيـمُ إلى مَدَاهْ
وتطلُّـع الصُّوفـــىِّ فى شوقٍ إلى ذاتِ الإلَـــهْ !

* * *

هو ذا الربيـعُ وإنّـه لَهـو الهَواتِـــف والحَنيــــنْ
أبَـداً يَهيـــجُ إلى عَوَالـــمَ تائهـــاتٍ لا تَبيـــنْ
ويُهَدْهِـدُ الأحـلامَ والذِّكـرَاتُ شَتّـى والفُنُـــونْ
فإذَا الحيـاةُ هوىً يَرِفُّ وفتنـةٌ وشَجـــىً دفيـــنْ

---

(١) نشرت فى أغسطس ١٩٤٥ (٢) خدرت : عراها فتور واسترخاء . (٣) عبق : رائحة الطيب الدائمة .
(٤) ترقرق : تتحرك وتضطرب . (٥) الأحْناء : الجوانب . (٦) الخرّقات : نوع من العصافير .

جَمَالٌ حَزِينٌ (١)

أجَلُّ من الحُـزْنِ والمَأْتَـــمِ جَمَالُكِ . إنْ كُنْتِ لَمْ تَعْلَمِى !
وَقَدْ دار حولَ الجبين الخمارُ (٢) تَشَعْشَعَ (٣) كالليـلِ بالأَنْجُـمِ !
كما أرْسَلَ الصبــــحُ لآلاءَهُ (٤) بَرِيئاً مِن الصِّبْغ كالعَنْدم (٥)!
وفى شَفَتَيْكِ الجَنَى والرَّحيـقُ ولكـن طَهُـرْتِ فَلَمْ تَأْثَمِـى
وكَفَّكِ (٦) فى الصمتِ حُزنٌ شَفِيفٌ (٧) سِوى قُبْلَـةٍ وصَوْصَتْ (٨) فى الفَـمِ !
وفِتْنَـةُ هذا الجَمَــالِ العَميـــقِ وطُهْــرٌ نَمَـــاكِ إلى مَرْيَـــمِ

* * *

هُو الحِلْـمُ بيــنَ ضِفَــافِ الجنَــانِ يَرِفُّ (٩) على ثَغْــرِكِ المُلْهِــمِ (١٠)
ويَطْــرُقُ عَيْنَـــيكِ فى سَبْحَـــةٍ إلى عَالَـــمٍ شَاعِـــرِيٍّ ظَمِـــى
تَحجَّبَ بيـنَ شِعـابِ (١١) الغُيــوبِ وأومضَ (١٢) فى قلبكِ المُفْعَــمِ (١٣)
ضَميـــرِى يُحِسُّكِ أُغْــــرُودةً (١٤) على شَفَتَـــىْ خَاطِـرٍ مُبْهَـــمِ (١٥)

---

(١) نشرت فى يناير ١٩٤٨ .
(٢) الخُمار : دخل فلان فى خُمار الناس : فيما يواريه ويستره ، والخِمَار : ماتغطى به المرأة رأسها .. وهذا هو المراد والأصوب .
(٣) تشعشع : انتشر . (٤) لآلاءه : بريقه والمراد إشراقته .
(٥) العَنْدَم : صبغ تختضب به الفتيات والمراد أنها مشرقة بطبيعتها بريئة من الأصباغ والألوان .
(٦) كَفّك : كفاك . (٧) شفيف : الشفّاف ، والمراد حزن كشف عما بداخلك.
(٨) وَصْوَصَتْ : ضَيّقَتْ .ويقال وَصْوَصَتْ المرأة : ضيقت نقابها فلم يُرَ منه إلا عيناها ، والمراد أنها قُبْلَة سريعة خفيفة .
(٩) يَرِفُّ : يتلألأ . (١٠) الملهم : المحرك للقلوب . (١١) شِعاب : طرق .
(١٢) أومض : لَمَعَ . (١٣) المفعم : المملوء . (١٤) أغرودة : أغنية . (١٥) مبهم : مجهول .

الرثــــاء

ودمُ المختـــــار مـا زالَ نديّـــ

ـــا يستـحثُّ الخَانِعينَ الضُّـــعَفَاءْ

وضحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ

يوم يدعـــو مَنْ يجيبـــون الدُّعــاء

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

وَحْيُ الخُلُود[1]

الموتُ مرحلــــةُ الخلـــــودِ   والذِّكْــرُ عُمْـــرٌ لا يَبيـــدْ[2]
فإذا انتهى أَجَــلُ العظيــــ   ـمِ فَذِكْـرُه أجــلٌ جَديــدْ
ماتَ الزعيــــــمُ ولم تزلْ   آثــارُه تُحْيـــى الجنـــودْ
وَمضَىٰ شهيــــداً طاهـــراً   يانِعْــمَ ذَيّـــاك الشهيـــدْ
هو عَلَّـــمَ الشعبَ الجِهــا   دَ وأيقــظَ القــومَ الرُّقُــودْ
هو كانَ رَوحـــاً بيننَــا   يَحيَــا فيُحْيـــى مَنْ يُريـــدْ
هو كانَ كالأمـــلِ المُـضى   ءِ وكانَ كالجَدِّ[3] السعيـــدْ
هو قد حَبَا[4] الأشبــالَ مِنْ   عَزَمَاتِــــــــه باسَ[5] الأسودْ
فإذَا مَضَى الأسدُ الهصو   رُ فَخَلْفَـــه أسدٌ عَتيـــدْ
وإذا خَبَا[6] الـرأىُ الرَّشيـــ   ـدُ فَبَعْـدَه رأىٌ رشيـــدْ
ياسعـــدُ أدْمـــنتَ الجُهـــو   دَ فحسبُنـــا تلك الجُهـــودْ

* * *

نَمْ مطمئنـــــاً بعدمَــــا   عَلَّمْتَنـــا معنـــى الوجـــودْ
الشعبُ بعـــدَك لم يَعُـــدْ   يُثْنِيـــه وَعـــدٌ أو وعيـــدْ
الشعبُ لايـــرضَىٰ القُيـــو   دَ ولم تنـلْ منـــه القُيـــودْ
الشعبُ نَصَّبَ[7] مصطفـــا   كَ وكاتـــمَ السِّرِ الـــودُودْ
وهـــو الأميـــنُ على العهـــو   دِ فمـــا يخُـــون ومايَحيـــدْ

* * *

(١) نشرت فى أبريل ١٩٢٨ .
(٢) لايبيد : لايفنى ولاينتهى .
(٣) الجد : الحظ .
(٤) حبا : منح وده وعطفه .
(٥) باس : بأس : القوة والصلابة .
(٦) خبا : إختفى .
(٧) نصّب : اختاره خليفة للك .

يا أيُّهــا الخَلَــفُ العظيــــمُ ويا أخا الرأى السديــدْ
الشعبُ خَلْـــفَكَ كُتلـــةٌ فى مَوقــفِ الهولِ الشديــدْ
أقْدِمْ على الخَصْمِ العَنيــدِ يَحُوطُكَ الجيشُ العتيـدْ[8]
مُسْتَلْهِمــاً وَحْـــىَ الفقيــدِ فإنــه وَحــىُ الخُلــودْ
إنَّ الحيــاة لِمــن صَحَــا ليستْ لِعُشَّاقِ الهجُـــودْ[9]



(٨) العتيد : المستعد الجاهز .

(٩) الهجود : النوم والراحة .

الذكرى الخالدةُ لسعد العظيم(١)

هي هذه الذكرىٰ لثالثِ عامٍ حَثَّتْ رَكائِبَها يدُ الأيـامِ ؟
هي هذه ذكرىٰ الخُلودِ ورَمْزه وشعارُه الباقي على الأعوامِ
ذكرى البُطولةِ والزمانُ يَحفُّها(٢) بجلالِه فتجِلُّ(٣) في الأفهامِ
جاءتْ تُحَدِّثُ في جَلالٍ رَوْعَةً مَحفُوفـةً بمرارةِ الآلامِ
بَيْنَا تُذَكِّرُ بالحياة إذا بها تَرْنُو(٤) مُحَدِّثةً بطَرْفٍ دَامِ(٥)
مَمزُوجةَ الألوانِ تعْصِف تَارةً وتعـودُ هَامِسةً بَوحْيٍ سَامِ
هي كالخلودِ المحض غيرَ محددٍ وهي اليقينُ يَبُضُّ(٦) بالأحلامِ
وهي النفوسُ خيالَها في رَوْعةٍ أخَّاذَةٍ مَسحورةِ الإلْهامِ
مَشْدُوهَةً ماإنْ تَفيقُ وحولَها زُمَرٌ(٧) من الأشباحِ والإلهامِ
مغمورةَ الأطرافِ شَاعِرَةً(٨) الحَشَا في غمزةٍ تَطْغَىٰ وفيضٍ طامِ(٩)
هي هذه الذكرىٰ وذاكَ جَلالُها تَحْنِي لِرَوْعتِها أعـزَّ الهامِ(١٠)

* * *

أمْضَتْ ثلاثاً كالقرونِ طويلةً سُودَ المفارقِ جُلِّلَتْ بقَتَامِ(١١)
عَصفَتْ بمصرَ الحادثاتُ كأنَّها كانتْ مُهيَّأةً على الأقدامِ
ومَشَتْ بها هُوجُ الرِّياحِ جريئةً تَجْرى لغاياتِها بغيرِ زِمامِ
وعَلَتْ رؤوسٌ كنّ أخفضَ هَامةً وأذلَّ من عِيرٍ(١٢) بكلِ مَقَامِ

---

(١) نشرت في أغسطس ١٩٣٠ .
(٢) يحفها : يحيط بها .
(٣) فتجلِ : تعظم .
(٤) ترنو : تديم النظر : تتأمل .
(٥) بطرف دام : طرْفٍ : نَظَرٍ ، دامٍ : من الدم والمراد : نظرة أسى وحزن .
(٦) يَبُضُّ : تمتلِيء ، من بَضَّ البدن يَبُضُّ : امتلأ ونضر .
(٧) زُمر : جماعات .
(٨) شاعرة : مشتعلة والمراد ثائرة الأفئدة .
(٩) طام : زائد (من الزيادة الشديدة) .
(١٠) الهام : الرؤوس ومفردها هامة .
(١١) قتام : غُبار أسود .
(١٢) عِير : حمار .

هم قَد دَعَىٰ دَاعِي الغرورِ فأسرعُوا وهم ارتضَوْا من دَهْرِهم بِحُطَامِ
ودَعَاهُم الوطنُ الكريمُ فأعْرَضُوا وتَسلّلوا للخَصْمِ غيرَ كِرَامِ
هدمُوا من الدستورِ ركناً قائماً وتعلّلوا بالزُّورِ والأوْهَامِ
وتَصيَّدُوا للشعبِ كلَّ مَسبَّةٍ كيدَ العدوِّ وطعنةَ الأخْصَامِ
لولا جلالُ الذكرياتِ ذَكَرْتُ مِنْ آثامِهم مُستَبْشَعَ الآثَامِ !

يا سعدُ والذكرى تُثيرُ شجوننَا وتَهدُّنَا بالعزمِ والإقْدامِ
وتُطِلُّ روُحُكَ فى جلالٍ صامتٍ يُزْرِى (١٣) بكلِّ إشارةٍ وكلامِ
يا سعدُ تُولِيكَ القلوبُ حُشَاشَةً مِنْهـا تقومُ بواجبِ الإكْرامِ
وتَزُفُّ أنفاسَ النَّسيمِ رقيقَةً تَسْرِى مزودةً بكُلِّ سَلامِ
يا سعدُ شخصُك فى القلوبِ مُجَسَّمٌ فى كلِّ تِمثالٍ هناك مُقامِ !
إنّ الذى يحيى مَشَاعَرَ أُمَّةٍ تحييه بالأرْواحِ لا الأجْسامِ

* * *

ياأيُّها الثّاوِى وفى تذكارِهِ وَحْى الخلودِ وآيةُ الإلْهامِ
اليوم تُذْكَرُ والجَلالُ مُخيِّمٌ والصمتُ يبعث شَاجِىَ الأنغامِ
وتمرُّ أجيالٌ وأنت مُغَيَّبٌ عنا وذكرُك فى المشاعرِ نَامِ
إنَّا فَقَدْنَا بافتقادِكِ طلعةً وبَقِيتَ ذكرىٰ خُلِّدَتْ بِدَوامِ
فى كلِّ نَفسٍ من سَنَاكَ بَقِيةٌ وبكلِّ رُوحٍ منك فيضٌ هَامِ (١٤)
هذا هُو الشعبُ الذى خَلّفتَه وسطَ الطريقِ مُيمماً لِأمامِ
هو لا يزالُ مُجاهِداً كعهودِهِ هو لا يزالُ مُؤيدَ الأعْلامِ
أمَّا الألىٰ نَكَثُوا العهودَ فما رَعَوا إلاَّ ولم يَسْتَمْسِكُوا بِذِمامِ
فهم البُغَاثُ (١٥) جَليلُهم وحقيرُهُم وهُم الذِّئابُ تَفَجُّعٌ فى الإجرامِ
يا سعدُ لا تقلقْ لِفَعْلَةِ خارجٍ أنتَ الخبيرُ بهذه الأقْزَامِ !
حَمَلَ اللواءَ وصارَ بعدَكَ مُصْطفىٰ يقفُو (١٦) خُطاكَ فكانَ أخْلصَ حَامِ
قد يَذْهبُ الليثُ الهصورُ وإنّما تبقىٰ الليوثُ عن العرينِ تُحامِي

---

(١٣) يزرى : يحقّر .
(١٤) هام : غزير .
(١٥) البغاث : ضعاف الطير ويقال لكل ضعيف .
(١٦) يقفو خطاك : يتبع خطاك .

البطل (١)

فى مثل هذه الغمرات القاسية ، التى تعانيها الأمة المصرية الآن ، يمر كثير من الحوادث الجِسَامِ دون أن يثير انتباها ، لأن الأمة فى شغل عنه بما هى فيه ؛ فى شغل بالنكبةِ العامةِ عن النكبات الجزئية .

من ذلك وفاة السيد « العبيد » رئيس جمعية اللواء الأبيض فى السودان ؛ ذلك الشاب الجرىء الذى ألّفَ جمعيته على إثر إخراج الجيش المصرى من السودان سنة ١٩٢٤ وقام يناضل عن صِلة شطرى الوطن المفدى ، ووحدته المقدسة ؛ فى جُرْأَةٍ عجيبة ؛ ورجولة كاملة ؛ وبطولة فذة غير عابىء بسجن مُرْهِقٍ شديد ، ولا بتنكيلٍ وحشى قاس بلغ من وحشيته وقسوته أن يسجن الفقيد وهو « سياسى » فى سجن رطب فى بقعة نائية من السودان تحيطُ بها الأَحْرَاجُ والمستنقعات ، ويطوف بها طائف الفناء الرهيب ، وتحوم حواليها الحشرات القتالة . ثم لم يكتف الاستعمار بذلك « الاستعمار الذى يمثل المدنية !!! » بل أضاف إليه تشغيل هذا البطل ورفاقه فى قطع الأَحْجارِ ورصف الشوارع حتى وَهَنَتْ قواهم وأصابت الشهيد الحمى فمات فى سجنه تحوطه مظاهر القسوة بل الوحشية ، بعد سبع سنوات كاملة لم تَهُنْ فيها نفسه ، ولم يخضع للإذلال .

هذا هو « العبيد » الذى يموت دون أن يشعّر بموته فى مصر أحد . والشباب المصرى ، الشباب التافه الناعم ، الشباب المشغول بالتطرية والزينة والحقارات النفسية الوضعية ، الشباب الذى فقد رجولته ومميزاته ؛ ونسى ماضيه ووقفاته هذا الشباب فى شغل بما هو فيه من متاع ضئيل عن الانتباه للبطل الشهيد وذكراه ، بل عن الانتباه لكل أمر ذى بال فى الحياة !

---

(١) نشرت فى ١٩٣١ .

وهذه القصيدة نفثةٌ من شابٍ يقضى بها حق الشباب وهذا ما يستطيع فرد أن يعمله ؛ فإذا كان بالشبان الآخرين حياة تعمل شيئا للذكرى كان بها ، وإلّا فحسبى هذه النفثةُ الحرىٰ .

سَجِّلى ياأرضُ وارْعَــىْ ياسماءْ
مَصْرَعَ الجبارِ بيـنَ العُظَمـاءْ
مَصْرَعُ الجَشَّامِ(٢) ما إن يَنْثَنِى
أو تُدَكُّ الأرضُ أو تُطوىٰ السماءْ
يقـفُ الهولُ لديــه خَاشِعــاً
وهو يَلْقَىٰ الهولَ بَسَّام الرِّضَاءْ (٣)

نالَ منه الموتُ ما لَمْ يستطعْ
نَيْلَه الغُصَّابُ فى سَبْعٍ وِلاءْ
عَذَّبُــــوه ونَفَــــوه ومَضَوا
فى فنونِ الظُّلْمِ ما الظلمُ يَشَاءْ !
أرسلُوه حيثُ وادِى الموتِ إذْ
لا يَرىٰ الأحياءُ أطيافَ الرَّجَاءْ
فى مَبــاءاتِ (٤) تُدوِّى بَيْنَهــا
جَلْجَلاتُ الموتِ فى هَولِ الوبَاءْ
تَصْفُــرُ الرِّيــحُ بها مُعْوِلَــةً
تنـذرُ الأحيــاءَ فيها بالفنــاءْ
وأرادُوا والمَنَايــــا حَوْلَـــــه
أن يُذِلُّوا فيه تلك الكِبْرِيَـاءْ

---

(٢) الجَشَّام : الذى تحمَّلَ التبعات الثِقَال ، من جَشِمَ يَجْشَمُ : ثَقُلَ يَثْقُلُ : أو تكلَّفَ الأمرَ على مشقةٍ
(٣) الرِّضاء : الرضا : تقبل واختيار الأمر .
(٤) مباءات : أماكن الوباء من وَبِئتْ الأرضُ : كثر فيها الوباء أى كل مرض فاشٍ عام .

فمضَىٰ يَأْنَــفُ فى سُخْرِيــةٍ
عيشَ ذُلٍّ هُو والموتُ سَواءْ
لم يقلْها : لَفْظَةٌ ، لو قالَها
لَقِــي النَّعْمــاءَ مِنهم والــوَلَاءْ

ليتَ أهلَ الأرضِ يدرونَ بما
صنعَ الغُصَّابُ بالنـفسِ البَـراءْ
أتُــرىٰ أنْعَتُهـــــا وَحْشيـــــةً
فى ظلامِ الكهفِ لَمْ تدرِ الضِّياءْ ؟
أظْلِمُ الــوحشَ إذا شَبَّهتُــه
بوحوشِ الغَربِ تمتصُّ الدِّمَاءْ !
يَفْـتِكُ الـوحشُ لِيحيَــا بينما
يَفْتِكُ الغربىُّ حُبًّا فى الثَّرَاءْ !
يا شبابَ الشرقِ هذا موقفُ
تَقْشعِـرُّ الأرضُ منـه والسمـاءْ
ودمُ المختـارِ ما زالَ نديًّــــ
ــا يستحثُّ الخَانِعينَ الضُّعفاءْ (٥)
وضَحايا الأمسِ والأمسُ نذيرُ الـ
ـيومِ يدعُو مَنْ يجيبونَ الدُّعَاءْ

يا شبابَ الشرقِ والشرقُ إذا
لم تكونُوا جُنْدَه ضَاعَ هَبَاءْ
لا يردُّ الحقَّ قولٌ فَارِغٌ
تَذْهَبُ الرِّيحُ به عَصْفَ الهواءْ (٦)

---

(٥) هو الشهيد البطل عمر المختار الزعيم الطرابلسى وقد أعدمه الطليان رميا بالرصاص مع أنه مجاهد مستقل ، مخالفين فى ذلك كل تقاليد المدنية .
(٦) عصف الهواء : شديد الهواء .

إنّمـا يُجْــدِى جِهَــادٌ عَارِمٌ
وخِصَامٌ ونِضَالٌ وعَنَــــــاءْ
إنما يُجْــدِى إذا نَبْعَثُهــــا
كهزيمِ (٧) الرعدِ تَدوِى فى الفَضَاءْ
إنما يُجْدِى إذا ما أيْقَنُــوا
أننـا كالغَــــرِبِ قومٌ أقْويـــاءْ

* * *

يا شبابَ النيلِ ماذَا ؟ وَيْحَكُم !
أفأنتم حيثُ يُحييكُم دُعَـاءْ ؟
يا شبابـاً نَاعمـاً مُسْتَأْنِثــاً !
كَذواتِ الخِدرِ (٨) فى ظِلِّ الخِبَاءْ !
يا شبابـــاً تافهـــاً مُحْتَقَـــراً
تأنفُ الأجيالُ منه فى ازدِرَاءْ (٩)
يا شبابـــاً هَمُّـــه لَذّاتُـــــه
فهو يَحيا بينَ كأسٍ وخَنَاءْ (١٠)
يا شبابـــاً قَصُرَتْ آمالُـــــه
كخَشَاشِ (١١) الأرضِ مَرمَاه الغِذَاءْ
يا شباباً نُكِبَ النيـــلُ به
فى الأَمانِـى والتَّعـلاّتِ الـوِضَاءْ
يا شبابَ النيلِ هَلْ أبْصَرْتُمو
فى فَتى السودانِ كيفَ الشُّهداءْ ؟
عُمْـــــــــرُ الإيمانِ بالحقِ له
مهجةٌ حَرّى فجادتْ بالفِـدَاءْ

---

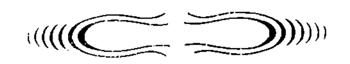
(٧) هزيم : صوت

(٨) ذوات الخدر : الفتيات الأبكار اللآتى يلازمن خدرهن .

(٩) يسر الشاعر أن يسجل الآن نهضة الشباب ومساهمته فى المشروعات الوطنية لمشروع القرش وسواه .

(١٠) خناء : المراد فساد .   (١١) خشاش : حشرات الأرض .

يا شبابَ النيلِ هذَا مَثَلٌ
لجلالِ الموتِ فى ظِلِّ الإبَاءْ
ما يقولُ الشِّعرُ فى هذَا ومَا
حِيلةُ الشِّعرِ ؟ وما طَوْقُ الرثاء ؟
موقفٌ جَلَّ عن الشعرِ فَهَلْ
يُكْمِلُ التاريخُ بَدْءَ الشُّعَراءْ ؟



ذكرى سعد [1]

خَمْسٌ مَضَيْنَ تَجُنُّكَ [2] الأستارُ
فيها . وقبرُك كعبــةٌ ومَنَــارُ
فى كلِّ مطَّلعٍ وكلِّ ثَنيةٍ
ذكرىٰ تَزاحَمُ حولَهـا الأفْكَـارُ
باقٍ على عَنَتِ الخُطوبِ وعَسْفِها
مجدٌ تَقَـاصَرَ دونَـه الأنظـــارُ
تتصرَّمُ [3] الأيـامُ وهـو مُوطَّـــدٌ
يعنُو [4] الخصومُ لديه والأنصارُ
وكأنّه عَلَم [5] يُنيفَ على الورَىٰ
ترنُـو إليـه وتَـخْشَعُ الأقـــدارُ
وتَضَاءلَ الأشخاصُ عنه ويستوى
فى ظلِّـه الأقـــزامُ والجبـــارُ !

* * *

ماذا يُطيقُ الكونُ أن يَنْسَاه من
سعدٍ ؟ وكلُّ عظيمةٍ تَذْكَارُ ؟
هل كانَ إلّا فى العظائمِ مَوْئِلاً
فى يومِ تَشْخَصُ عندَه الأبصَارُ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢ .
(٢) تجنُّك : تخفيك .
(٣) تتصرم : تمرّ.
(٤) يعنو : يخضع .
(٥) ينيف : من أناف : علا وارتفع .

تَذْوِي حَواليه الخطوبُ وتَنْثَنِي
كأشَمَّ يَعْصِفُ حَوْلَه الإعْصَارُ
فإذَا مَضَى الهولُ المُرَوِّعُ وانجلتْ
غمراتُــه وتَــرَاخَتْ الأخْطَــارُ
أبْصَرْتَ تحتَ الهولِ بَسْمَةَ هَادِيءٍ
راضٍ أشَمَّ كأنّــه المِقْــدَارُ
رُوحٌ تَجِلُّ عن الحياةِ وأهلِها
وصرو فِهــا ، وتَحُفُّهــا الأسرارُ
رُوح البطولةِ والبُطولـةُ طَلْسَمٌ
كالسحر تَدْهَشُ عِنْدَه وتَحارُ
أفذاكرٌ أنتَ الجموعَ وحَشْدَها
لما دَعَا سعدُ الجموعَ فَثاروُا ؟
ماذا أبـركانٌ تَفَجَّـرَ أم تُرى
موجٌ أشمُّ أحمُّ ؟ أمْ تَيـارُ
سِحر البطولةِ أو شُواظُ لَهيبها
يُذْكِي النفـوسَ فكلُّهـا مِغْـوارُ
ذكـرىٰ تُقدِّسُهـا البـلادُ كريمةً
وتصونُ رَوْعـةَ مَجْدِهـا وتَغَـارُ
هي بعضُ تاريخِ البلادِ فَلَمْ تَكُنْ
تاريـخَ فردٍ يَنْطـوِي ويُثَــارُ !
ذكرى يَحِفُّ بها الجَلالُ وتَنْزَوِي
بإزائهــا الأحقــادُ والأوزَارُ
ذكـرىٰ تُطِـلُّ كأنهـا قُدْسِيّـةٌ
فالكـلُّ تَحتَ ظلالِهـا أبَـرارُ
فَلْتَعْنُ (٦) للذكرىٰ الجباهُ وتَنْحَنِ الـ
ـهامــاتُ ولتتــخَشَّعُ الأبصارُ

---

(٦) فَلْتَعْنُ : فلتخضع .

طليعة الضحايا[1]

« سَجِّلى يا أرضُ وارعَىْ يا سماءْ [2]
مَصرَع النَّسْرينِ فى جوفِ الفَضاءْ [3]
سَجِّليــه بمدادِ الفخــرِ لا
بلْ بفيضٍ من دِمَاءِ الشُّهداءْ
مَصْرعُ الآسادِ فى آجَامِهــا[4]
لا كما تَلْقَى مَنَايَاها الظِّبَاءْ !
سَجِّــلِيها رَوعــةً قد مُزِجَتْ
من أَسَى الحزنِ ، ومِنْ فَيْضِ العَزَاءْ
وضَحَايــا المجدِ فى مَذْبَحِــه
يلتقى اليـاسُ عليها والرَّجـاءْ !
وهـى القُرْبـانُ (٥) يَفْـدِى أُمــةً
إيـه ما أكرمَـه هذَا الفِـدَاءْ

* * *

دَوْمــاً والريــحُ فى مُعْتَــرَكٍ
صَاخِبِ الأنواءِ ، مَشئُومِ العُواءْ
وظَــلامٌ فى ظَلامٍ مُبْهَــمٍ
يَخْشَعُ الهولُ لديــه والفَنَــاءْ

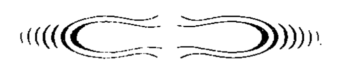
---

(١) نشرت فى ١٩٣٣ .
(٢) هذا البيت للمؤلف فى قصيدة سابقة .
(٣) هما المرحومان حجاج ودوس شهيدا الطيران .
(٤) آجامها : مفردها ، أَجَمَةٌ : الشجر الكثير الملتف .
(٥) القربان : مايقدم فداء لشيء آخر .

طَامِسُ الآثارِ مجهـــــولُ الخُطَـــــا
لا دليــلَ ، لا شُعَـــاعَ ؛ لا ضِيـــاءْ
وهما فى جَوْفِـــــــه تَحْدُوهُمـــــــا
هِمَّـــةٌ قَعْسَاءُ(٦)تَأبَـــىٰ الانْـــزِوَاءْ
يَلْطُمـــانِ الريـــحَ إمّـــا لَطَمَـــتْ
ويَروغـــــانِ كأطيـــافِ الهَـــواءْ
أُشْرِبَتْ نَفْسَاهُمـــــا حُبُّ العـــلا
وأرَادَاهـــــا حيـــاةً فى السمــــاءْ
قد أرادَا ؛ وأرادَ اللهُ ما
كانَ ؛ سُبحـــــانَك تُمْضِى ما تَشَاءْ

* * *

إيـــــهِ يا مِصرُ عزاءً إنّمـــــــا
أنتِ أولَـــى بالتحيـــاتِ الوِضَــاءْ
قد بذلتِ اليــــومَ ما تَبْذُلُــــــه
أمـــةٌ شَاءتْ حيـــاةَ النُّبَـــلاءْ
أمـــةٌ قَدْ أعلـــنتْ قِسْمتَهـــا
من صميـــمِ المجدِ بيـــنَ القُسَمَـــاءْ !
ودمٌ يُهــــــراقُ فى تَضحيـــــةٍ
سوفَ يَسْرِى نَخوةً (٧) بيـــنَ الدِّمَـــاءْ



---

(٦) قعساء : قوية ثابتة .

(٧) نخوة : فخر وعظمة .

موت سوسو[1]

سوسو هرٌّ أليف ظريف انطفأت فيه شعلةُ الحياة المقدسة بين يدى وهذه مرثيته، أو مرثية الشعلة الخابية فيه :

لقد هَمَدَتْ فى الضُّلوع الحياةُ ... فما يَرْجُفُ القلبُ أو يَخفُقُ
وقد غابَ لَألاؤُها فى العيونِ ... فما تَرْمُقُ (٢) الكونَ أو تَبْرُقُ
وقد سَكَنَتْ نَأْمَةٌ (٣) فى حَشَاه ... فما عادَ يَقْفِزُ أو يَمْرُقُ (٤)
فَيَا قُرْبَها لَحْظةٌ فى الزَّمانِ ... ويا بُعدَ آثارِها تَنْطِقُ
وتَنْقُلُ من عَالَمٍ صَاخبٍ ... إلى عَالَمٍ صمتُه مُطْبِقُ (٥)

* * *

تُقيم الحياةَ هُنا مَأْتَماً ... وما إنْ تَنِى (٦) جَزَعَا تَفْرَقُ (٧)
وإنَّ الحياةَ لمجنونةٌ ... بأبنائِها الكلِّ لا تَفْرُقُ (٨)
فجيعتُها فى صِغارِ الفراشِ ... كموتِ الفتَى حَادِثٌ مُرْهِقُ
هو الموتُ فى كُنْهِه واحدٌ ... ويُزْهِقُ مِنْ بعدُ مَنْ يَزْهَقُ
قَد انْدَحَرَتْ فى صِراعِ الرَّدَى ... فحقَّ لَها كلُّ مَا تَحْنَقُ ! (٩)

وتَرْجُفُ فى كلِّ حَىٍّ إذَا ... أصَابَ سِواه الرَّدَى المُزْهِقُ
أشِعَّتُها فى جميعِ النفوسِ ... يُرقْرِقُها (١٠) مَصْدرٌ يَأْلَقُ (١١)

---

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٣٨ .
(٢) ترمق : ينظر فى مراقبة .
(٣) نأمة : الصوت الضعيف .
(٤) يمرق : يمرُّ سريعا .
(٥) مطبق : تام .
(٦) تنى : تضعف .
(٧) تَفرَق : تجزع وتخاف .
(٨) تفرُق : تفصل .
(٩) تحنق : تغضب .
(١٠) يرقرقها : يحركها .
(١١) يألق : يلمعُ .

فإن مَسَّه ما يَغُضُّ الضيـــــــــــاءَ تَذَبْــذَبَ لألاؤُهــا الـمُشْــرِق [12]
فيــا دَمْعَــةً رَقْــرَقَتْ فى العيـــون لأنتِ الحيــاةُ هَمَتْ [13] تَدْفُــقُ
يَعِــزُّ على النــفسِ فَقْــدُ الحيــاةِ فَتَجْــزَعُ للمــوتِ إذْ يَطْــرُقُ [14]



(١٢) الحياة وحدة فى جميع الأحياء كمستودع الطاقة يمد فروعه المتفرقة ومتى مسَّه ما يغض من طاقته تذبذبت جميع الفروع وكذلك يرجف الأحياء لموته .

(١٣) هَمَتْ : نزلت بغزارة .

(١٤) يطرق : يأتى .

الزَّادُ الأخِير[1]

زَوِّدِينِى مِنَ الرَّجاءِ الأصِيلِ ... مُشْرِقاً فيكِ فى المُحَيَّا الجميلِ
أنْتِ كَنْزٌ من الطَّلاقَةِ والبِشْرِ ... ودُنْيا من السَّنا المَعْسُولِ
خِفَّةُ الطَّيْرِ وانطلاقُ الأمانِى ... بعضُ مَافيكِ وانطلاقُ السُّيولِ
وَهَجٌ[2] يُبْهِرُ النُفُوسَ ويُزْكِى ... خَفَقَاتِ القُلوبِ عِندَ المُثُولِ
ذَخَرْتُكِ الحياةُ كَنْزَ حَياةٍ ... ورَصيداً لِمَالِها المبْذُولِ !

* * *

زَوِّدِينى لَكَادَ يَنْفَدُ زَادِى ... فى صِرَاعٍ مِنَ الحياةِ طَوِيلِ
كادَ يَخْبُو المِصْباحُ إلّا بَصيصا ... فاسْكُبى الزيتَ فى بَقَايا الفَتِيلِ
كُنْتِ كالجَذْوَةِ المُشِعَّةِ نُوراً ... وهى اليومَ فى طَرِيقِ الأُفُولِ
فِيكِ زَادٌ يَقُوتُنَا ويَقِينَا ... عَثَرَاتِ الطريقِ بينَ التُّلُولِ
أنْتِ لاغيرُكِ القَدِيرَةُ أنْ تُزْ ... كِى حَياةً بِخاطِرِى ومُيولِى

* * *

حينَ أَلْقاكِ يَغْمُرُ البِشْرُ نَفْسِى ... بِرَجَاءٍ مُشَعْشَعٍ مَوْصُولِ
وأَرَى عِبْئِى الثقيلَ خَفِيفاً ... وأُرَى نَاهِضاً بِعِبْئِى الثَّقِيلِ
وكَأنِّى استَشْعَرْتُ رُوحَ شَبابِى ... وَرَجَّعْتُ الزَّمَانَ صَعْبَ القُفُولِ[3]
فَأعِيدِى إلىَّ مَاضِىَ عُمْرِى ... واغْمُرِيهِ بالبِشْرِ والتَّأمِيلِ
واطْلُعِى فى قِفَارِ نَفْسِى حياةً ... وإذَا مَادَجَى[4] عَالَمى أَوْمِضِى لِى[5]

---

(١) نشرت فى يوليو ١٩٤١ .

(٢) وهج : توقد .

(٣) القفول : العودة مرة ثانية .

(٤) دجى : أظلم .

(٥) أومضى لى : أضيئى لى الحياة .

نُوسَةُ
أو
شَطْرٌ مِنَ العُمْرِ [1]

نوسه قطة صحبتنى اثنى عشر عاما ، تحتل مكان الطفل الحبيب ، وتشغل فراغه من نفسى وزمنى ، وتمنحنى من الود والثقة والدعابة كفاء ما أمنحها من العطف والعناية والملاعبة ثم ماتت بين يدى...

أغْـــمِضِى عينــــيك قد آنَ الأوانُ ... ودَعِينِـــــى نهبـــــةً للشجَـــــنِ
وَأَمِّنِـــى دُنيـــاكِ فى آتِـــى الزمـــانِ ... ودَعِينِـــــى لُعْبَـــــةً للزَّمَــــــنِ !

هذه كَفِّـــى وقـــد مرَّتْ علـــيكِ ... فى حَنَـــانٍ وارتيـــاعٍ [2] وولُـــوعِ
لم تَحُسِّيها ولم يَنْـــــبِضْ لديكِ ... قلبىَ النـــابضُ من بيـــنِ الضُلـــوعِ

هذه الكــفُّ التـــى كَمْ دَلَّلَـــتْكِ ... وسَّدَتْك [3] اليــومَ أطبــاقَ الثَّــرىٰ
أىُّ حاليْهــا تُرى أحنَـــى علـــيكِ ؟ ... ليتنِـــى أدْرِى . ومـــن فينـــا دَرَىٰ ؟

ذلك الصَّوتُ الـــــذى تَرْتقبِيـــــنَ ... قَدْ دَعَـاكِ اليومَ من خَلْـفِ الحِجَابْ
قد دعـــاكِ . إنّمـــا لا تَسْمَعيـــنَ ... أُسْدِلَ السِّتْـرُ وقـــد عَىَّ [4] الجوابْ

أنَـــا يا « نُوسةُ » والعهـــــدُ قريبٌ ... مُوحِشُ النــفسِ شَجِـــىٌّ للمَغـــيبِ
مَوْضِعُ الصاحبِ والطفـــلِ الحبـــيبِ ... قد خَلا فى ذلكَ القـــلبِ الغـــريبِ

* * *

(١) نشرت فى نوفمبر ١٩٤٢ .
(٢) ارتياع : جزع
(٣) وسدتك : جعلت تحت رأسك الثرى
(٤) عَىَّ : عجز

مَوْضِعُ الشَّطْرِ الـذى قد عِشْتِ فيـــه ... من حَياتِــى مَوْضِعـاً للحَـــدَبِ (٥)
مَا مَضَىٰ من دونِـــــه أو مَايَليـــــه ... غربــــــةٌ تَقْسُو علىٰ مُغْتَـــــرِبِ

* * *

إننى أَبْكِـيكِ ياظـلَّ الشبـابِ ... إننـى أبكـيكِ ياطيـفَ البـنين
رُفْقَةٌ طالتْ على خيرِ اصطحابِ ... لَكِ عَطفِى ولىَ الودُّ المكينْ(٦)

* * *

لم يكـن ودَّ بُطُـونٍ وطعامِ ... إنما وُدُّ اصطحـــابٍ ووفَـــاءِ
طَالَمَا آثَرْتِ إنْ غِبْتُ الصيامَ ... أو تَلُوذِيـنَ(٧) بِصَمْتٍ وانْــزِوَاءِ

* * *

فإِذَا عُدتُ فَوَثْبٌ ومُـــــواءْ ... نَاطِـقٌ بالشوق أو بالفـــرج
وأَلَاعِـــيبٌ وخَــمْشٌ والْتِـــوَاءْ ... وتَثَــنٍّ نَاطـــقٌ بالمَـــرَجِ

* * *

طَالَمـا نَادَيْتِنِـى عَذْبَ النِّـداءِ ... فى وَدَاعٍ حينَ أَمْضِى أو لِقَاءْ
فى صباحٍ حينَ أَصْحو أو مَسَاءٍ ... بِوُثُـــوقٍ واعتـــدادٍ وذَكاءْ !

* * *

طَالَما أحْسَسْتُ أنِّى لكِ وَحْدَكِ ... لاتطيقيـنَ شَرِيكـــاً أو شَبيهاً
طالما وَطأْتِ فى حِجْرِى مَهْدَك ... فَعْلَةُ الطفلةِ فى حُضْنِ أبيهَا

* * *

كنتِ لى كلَّكِ فى هذِى الحياةِ ... أينَ مَنْ ألقاه فيها لىَ كُلُّهُ ؟
كُلُّ مَنْ أَلْقَى له فيها هَوَاهُ ... ولــه آمَالــهُ فيها وشُغْلُـــهُ !

* * *

قد خَلا حُضْنِى وكَفِّى وذِرَاعِى ... قد خَلا قَلْبِى مِنْ هَذا المَتَاعِ
مُنْذُ دَعا الموتُ فأَصْغَيْتِ لداعٍ ... مَنْ دعـاه لم يُعقِّبْ لِوَدَاعِ

* * *

أنَا يا « نُوسةُ » أَمْضِى والليالى ... وخَـواءُ(٨) الموتِ يَغْشَىٰ عَالَمِـى

---

(٥) الحدب : العطف والحنان
(٦) المكين : القوى
(٧) تلوذين : تلجئين
(٨) خواء : فراغ

رَسْمُكِ الشَّاخِصُ يبدُو كالخيالِ   أو كَحُلْمٍ فى ضميرِ الحَالِمِ

* * *

وخيـالاتُك فى كلِّ مَكـانِ   شَاخِصَاتٍ تَتَـراءىٰ للعَيـانْ
تَصْحَبُ العُمْرَ على خَطْوِ الزمانِ   هَاهُنا كنتِ وقَدْ كَانَ وكانْ

* * *

هذه أنْتِ إلى حُضْنِى أوِيْتِ   هذه أنتِ أمامِى قَد رَبَضْتِ(٩)
هذه أنتِ على صَدْرِى وَثَبْتِ   لهفَ نفسى ! أينَ أنتِ أينَ أنتِ ؟

* * *

هاهُـو الصبحُ فأيـنَ الوَثَبـاتُ   هذه كَفِّى فأينَ اللّـمسَاتْ ؟
هاهو الأكلُ فأينَ الهَمْهمَاتُ ؟   أينَ أينَ ؟ كلُّ ماقد كَانَ فَاتْ !

* * *

أينَ قِطّاتُكِ فى الحِرْزِ الأمينِ   مَنْ دَنَـا مِنْهـا عليـه تَثِبيـنْ
غير أنِّى لِىَ وَحْدِى تأمنينَ   وإذَا مُسّتْ فَبِى تَستَنْجِدين ؟

* * *

سَكَتَ الصوتُ وقد كَان غِنَاءً !   سَكَتَ الوَثْبُ وقَدْ كَانَ مَضاءْ(١٠)
وامتلاءُ البيتِ قد أمْسَى خَواءً   كلُّ مَنْ فيه قد اسْتَلْقَى عَيَاءْ

* * *

هاهُنا كنتِ ؟ أمَا هذا ضَلالٌ ؟   وتهاويـلُ خَمَّـارٍ(١١) أو خَبَـالْ ؟
لم يكنْ شَىءٌ ولم يَطْرَأْ زوالٌ   كلُّ مَاكَانَ خيالٌ فى خيالْ !

* * *

ضَلَّـةٌ للنـاسِ فى آمالِهـا   والمَنَايا رَابِضَاتٌ بالوَصيـدِ(١٢)
زُمَـرٍ(١٣) تَمضِى إلى آجَالِهـا   والذى يَحيا يُرَجَّى فى الخلودِ !

---

(٩) ربضت : جلست
(١٠) مضاء : قوى
(١١) خمار : سكران ، خبال : عته أو لوثة عقلية
(١٢) بالوصيد : خفاء الدار
(١٣) زمر : جماعات

Twitter: @brahemGH

صَدَىٰ الفَاجِعة[1]

لم تكن إلا مرات معدودة جلست فيها إلى فقيد مصر العظيم . ثم هأنذا أعانى من الفجيعة فيه كأنها فجيعتى الخاصة ... فياويحَ لأولئك الذين عاشروه ، فأحبوه ووارحمتاه لهم كيف يعيشون ... ؟ .

جَفَّ الرِّثَاءُ بخَاطِرِي المَفْجُوعِ ... وصَمَتُّ لا أُفضى بغيرِ دُمُوعِي
إني ذُهلتُ عَنِ المُصابِ بوقعِه ... حِيناً ، ذُهُولَ الوَاهِمِ المَخْدُوعِ
فَظَللتُ أُنْصِتُ للرجاء ، وأتَّقى ... صوتَ اليقينِ الفَاجِعِ المَسْمُوعِ
أيَمُوتُ ؟ كَلاَّ ! لايموتُ وهذه ... مِصرٌ تُرجِّى نَجْمَه لِسطُوعِ
أيموتُ والأحداث تَهْتِفُ باسمِه ... أتكونُ تلكَ هُتَافَةَ التوديعِ ؟
قُلْ أيُّها النَّاعِي سِواه ؟ فما أرىٰ ... أنّي ــ وإنْ جَاهَدْتَنِي ــ بِسميعِ !

* * *

واويلتَاه ! أإنَّها الحقيقةٌ ... جلَّتْ عن الإيجافِ[2] والترويعِ ؟
صمَتَ الذى قَدْ كَانَ ألْحَنَ حُجَّةً ... وتَحدَّثَتْ طعناتُه بِنَجيعِ[3]
مُتَفَجِّراتٍ بالدِّماءِ كأنَّها ... كلماتُه فى قوةٍ ونُصوعِ[4]
كلماتُه اللائِى نَبَضْنَ بِقَلْبِه ... ودِمَاؤُه من ذلكَ اليَنْبُوعِ

* * *

ياواهِبَ الوادِى مَرِيعَ[5] حَياتِه ... مابالُ عُمْرِكَ لم يكنْ بِمَرِيعِ ؟

---

(١) نشرت فى مارس ١٩٤٥ .

(٢) الإيجاف : من أوجف الشيءَ : حرَّكه ، وجف القلب : خَفَق ، قال تعالى ﴿ قلوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ والمراد : خفقان القلب واضطرابه .

(٣) نجيع : دَمُ الجوفِ ، يقال : « طَعْنَةٌ تَمُجُ النَجيعَ » أى طعنة تجعل دم الجوف ينزف .

(٤) نصوع : وضوح .   (٥) مَريع : خِصْبٌ

يامانعَ[٦] الـوادِى العزيـزِ بِنَـفْسِه ... مابالُ عُمْرِكَ لم يكن بِمَنِيع ؟
خَطِفَتْكَ عَادِيَةُ المَنُونِ وخَلَّفَتْ ... وَطَناً يُعَالِجُ سَكْرَةَ الـمَصْرُوع
لَخَلا مَكانُك ليس يَمْلأُ رَحْبَه ... إلا الأُسَى وتفجُّـعُ المَفْجُـوع
لَخَلا مَكانُكَ والبلادُ تَهيَّأتْ ... تَخْطُو إلى أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسِيع
وتَلَفَّتَتْ تُصْغِى لِصَوْتِكَ هَادِياً ... فى المُدْلَهِمِّ[٧] ورأيكِ المَسْمُوع
فَصَمَتَّ ـــ ياللهولِ ـــ صَمْتَةَ وَاجِـمٍ[٨] ... ماضٍ لغيـــرِ تأوُّبٍ ورُجُــــوع
وَاهـــاً لِمَصْرَ ويافجيعـــةَ أَهْلِهـــا ... فى الرائـــدِ المتفــــرِّدِ المَتْبُــــوع !



(٦) يامانع الوادى : يامن تمدُّ الوادى بالقوة وحاميه ، منبع : قوى محض .
(٧) المدلهمِّ : المظلم والمراد وقت الشدة
(٨) واجم : الساكت فى حزن



الوطنيات

تبغُونَ الاستقلالَ ؟ تلك طريقُهْ
ولقد أخَذْتُمْ بالطريق فَيمِّمُوا

وهو الجهادُ حَميَّةٌ جَشّامَةٌ
ما إن تخافُ من الرَّدى أو تَحْجُمُ

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

إلى البلادِ الشقيقة (١)

عَهدٌ على الأيامِ ألا تُهْزَمُوا
فالنصرُ يَنْبُتُ حيثُ يُهراقُ (٢) الدَّمُ

فى حيثُ تَعتَبِطُ (٣) الدِّمَاء فأيقِنُوا
أن سوف تَحيوَا بالدماءِ وتَعْظُمُوا

تبغُونَ الاستقلالَ ؟ تلك طريقُهُ !
ولقد أخَذْتُم بالطريقِ فيمِّمُوا

وهو الجهادُ حَمِيةٌ جشّامة
ما إن تخافُ من الرَّدىٰ أو تَحْجُمُ

إن الخلودَ لِمن يَطِيقُ مُيَسَّرٌ
فليمضِ طلابُ الخلودِ ويُقْدِمُوا

وطنٌ يُقَسَّمُ للدخيلِ هديةً
فعلامَ يَحْجُمُ بعد هذَا مُحْجِمُ ؟

الشرقُ يا لَلشَّرقِ تلك دِمَاؤُه
والغربُ يا لَلغرب يُضْرِيه (٤) الدَّمُ

الشرقُ ويحَ الشرقِ كيفَ تَقَحَّمُوا
حرماتِه الكُبْرى وكيفَ تهجَّمُوا

---

(١) نشرت فى ١٩٣١ بمناسبة ثورة فلسطين وحوادثها الدموية .

(٢) يهراق : من هَرَق : صبَّه ، والمراد : تُسْفَك الدماء .

(٣) تعتبط : من عبطه الموت أى مات شابا صحيحا والمراد : دماء تسيل فى سبيل الوطن دون إكراه بل برضا ومنها : عبط فلان نفسه : رمى بها غير مكره .

(٤) يضريه : من الضرر .

نَةُ الكَرىٰ فتوهَّمُوا !
يا للذكاءِ ! فكيفَ قد غَرَّتْهُمُو ؟
والنيـامُ تيقظُــوا
فليعلمُوا مَنْ نحنُ أو لا يَعْلَمُوا !
اليومَ فَلْيَلِغُوا [5] الدّماءَ وفى غدٍ
فَلينْدَمُـوا عَنها ولاتَ [6] المَنْـدَمُ

* * *

أبطـالَ الاستقـلالِ تلك تحيـةٌ
مِنْ مصرَ يبعثُها فؤادٌ مُفْعَمُ
إخوانُنا فى الحالِ والعُقْبى معاً
إخوانُنـا فيمـا يَلَــذُّ ويُؤْلِــمُ
مِصرُ الفتـاة ومـا تَزالُ فَتيـةً
تهفُو إليكُم بالقلـوبِ وتَعْظُـمُ
فى كلِّ مُطّلـعٍ وكُـلِّ ثَنيـةٍ
نارٌ من الشرقِ الفتىِّ سَتُضْرَمُ [7]



(٥) فليلغوا : من لَغِىَ بالماء والشراب : أكثر منه وهو مع ذلك لا يَرْوَىٰ .
(٦) لات الندم : ليست الساعة ساعة ندم (٧) ستضرم : ستشتعل .

مأساة البدارى [1]

ليس فى مصر من لا يذكر هذه المأساة الوحشية التى مثلها مأمور البدارى المقتول مع أهالى البدارى عامة ؛ وسجين البدارى خاصة ، وذلك الموقف العجيب الذى وقفته منها وزارة العهد المظلم البائد ، وقد حالت قيود ذلك العهد البغيض دون نشر هذه المقطوعة وسواها

ما ذلك ، العِرْضُ الشريـفُ يُثْلَـمُ ؟[2]
وَيَسيلُ مِنْ حَنَقٍ حَواليه الدَّمُ ؟
ومن الذى سَامَ النفوسَ مَهانةً
يَأْبَى ويَأْنَفُها الذلولُ الأَعْجَمُ ؟ [3]
من كلِّ ما عَوْرَاء تُكْشَفُ جَهْرَةً
ويُهانُ مِنها ما يُصانُ ويُكْرَمُ
وَكَرامَـةٌ يَشْتـطُّ [4] فى تحقيرهـــا
نَذْلٌ حقيرُ القلبِ لا يَتَأَثَّمُ [5]
فى أيِّما بلـدٍ نعيشُ ؟ وأيما
عهدٍ يَمرُّ على الكِنَانِة مُظْلِمُ ؟ [6]
عهدٌ نُسَامُ [7] الخَسْفَ فيه ونُبْتَلَى
نِقَمَا إذا قُمْنَا نَضِجُّ ونَنْقِـمُ

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢

(٢) يثلم : المراد ، يجرح ويهان

(٣) الذلول الأعجم : المراد الحيوان

(٤) يشتط : يبالغ فى وقاحة

(٥) لايتأثم : لايعبأ بارتكابه للآثام

(٦) نعت مقطوع مرفوع فى موضع الذم

(٧) نسام الخسف : نذوق الظلم والوحشية .

وَحْشِيَّةٌ كَشَفَ الزَّمَانُ حِجَابَها
لا بَلْ أشَدُّ من الوحُوشِ وأظْلَمُ
الوحشُ يَفْتِكُ جَائعاً ويَعِفُّ عن
فَتَكَاتِه إذ مَا يَعِبُّ (٨) ويَطْعَمُ

* * *

يأيُّها الرُّفَقَاءُ بالحيوانِ لا
تَنْسَوا أناسيًّا تَئِنُّ وتَألَمُ
فى مِصرَ قد تَلْقَى الكلابُ رِعايةً
بينَا يُحَقَّرُ شَعْبُها ويُحَطَّمُ !
فى مِصرَ لا يَلْقَىٰ المسىءُ جَزَاءَه
لا بلْ يُكَافَأُ دونَه ويُكَرَّمُ
فى مِصر ما لا يَحْفَظُ التاريخُ من
فُحْشٍ يَعِجُّ (٩) بِها وفُحْشٍ يُكْتَمُ
فى مِصرَ ! لو فى مِصْر بعضُ كرامةٍ
غَضِبَتْ وفارَ على جوانِبها الدَّمُ !

* * *

ماذَا يَعِزُّ على الهوانِ نَصونُه ؟
لم يبقَ من حُرماتِنا ما نُكْرِمُ !
الموتُ ! يا لَلموتِ ! أشرفُ شِرْعةٍ
مما نُسامُ به ومما نُوسَمُ (١٠)

---

(٨) يعب : المراد الشُّرب
(٩) يعجّ : يمتلىء .
(١٠) نوسم : من الوسم وهو العلامة التى تميزنا أننا نقبل الذل والخسف .

صوت الوطنية (١)

بمناسبة موافقة وزارة وبرلمان صدقى على مشروع خزان جبل الأولياء

ضجَّتْ الدُّنيا فماذَا تَرْتَقِبْ
مِصرُ من أهوالِها حتى تَثِبْ ؟
ضجَّتْ الدنيا من الهولِ الذى
تركَ الدنيا جميعاً تَضطربْ
فَارَ ماءُ النيلِ أو صَارَ إلى
حُمَمٍ أو نِقْمَةٍ مِنْه تُصَبْ
وأرى مِصرَ تُعانى سَكْرةً
وإذا تصحُو تولتْ تَنْتَحِبْ ؟
مِصر . يا مصرُ . وما يُجْدِى البُكا
غضبةٌ يا مصرُ كاللَّيثِ وَثَبْ
غضبةٌ يا مصرُ . أو . لا . فادْرُجِى
فى قيودِ الذلِّ وارضَىْ بالحَرَبْ (٢)

* * *

أفهذِى مِصرُ أم ماذا أرى ؟
أمةٌ أُخرى وشعبٌ مُنْقلبْ
أم تُرىٰ الأيامُ دارتْ دورةً
فإذا الأُسْدُ شياهٌ تُحْتَلَبْ ؟
ما عَهِدْنا مِصرَ تُمطِى ظَهْرها
كَذلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاء رَكِبْ !

---

(١) نشرت فى ١٩٣٢

(٢) الحَرَبْ : سلب الأموال وكل ما يُمْلَكْ

المَطَايا حينَ تَخْشَى حَتْفَها (٣)
تُعطبُ السَّائِقَ من دونِ العَطَبْ !

* * *

مِصْرُ لَمّا غَضِبَتْ غَضْبَتَها
لَمْ يَرُعْها (٤) الغربُ لما أنْ غَضِبَ
أرسلَتْها صَيحةً داويةً
كهزيمِ الرعدِ جَيَّاشَ (٥) اللَّجَبْ
أنصتَ الغربُ لها واستمعتْ
أُذُنُ العَالِمِ مِنْ خَلْفِ الحُجُبْ
وأحسَّ الظُّلْمُ مِنْها رِعْدَةً
تتمشىٰ فِيه كالرُّعْبِ يَدُبْ
لم تَرُعْنا هَجْمَةٌ مِنْه علىٰ
رُسُلِ الحقِ غَشُوماً يَحْتَطِبْ
سالتْ الأنفسُ فيها فارتوتْ
تربةُ المجدِ بها بعدَ الجَدَبْ
ووَعاها الدهرُ فى آثارِهِ
جَذْوةً حمراءَ فى رَأْسِ الحِقَبْ

* * *

هذه يا مِصرُ ذِكْرىٰ فاذكُرِى
ما تولّىٰ وادأبِى خيرَ الدَّأبْ
أرجِعِى الكَرَّةَ لا هَيَّابَةً
واغلبِى بالعزمِ أشتاتَ النُّوَبْ

---

(٣) حتفها : نهايتها (٤) يرعها : يفزعها
(٥) جياش اللجب : المراد أصوات الأبطال فى الحرب قوية فتية .

المِهْرَجان [1]

مَا هُتافٌ ثَمَّ فى كلِّ مكانْ … ما دُعاءٌ ثَمَّ فى كلِّ لسانْ ؟
ما نَشيدٌ تسْكُبُ [2] الدنيا به … أعذبَ الألحانِ فى سَمْعِ الزمانْ ؟
ما شعورٌ فَاضَ كالوحْي هَفَا … فهفَا الشعرُ على كلِّ جَنَانْ ؟ [3]
ما ابتهاجٌ وسُرورٌ ورِضَا … وانطلاقٌ فى التمنِّى والأمانْ ؟
مِهْرَجانُ العرشِ والشعبِ مَعاً … عاشَ فاروقٌ ، ودام المِهْرَجانْ

* * *

قَال لى الدهرُ ــ وقَدْ راودتُه [4] … عَن خَفَاياهُ فأفْشَى وأبانْ :
ليس كاليومِ جَمالاً وسَنَىً … منذُ ما كان زمانٌ ومكانْ
ليس كاليومِ ابتهاجاً ومُنى … منذُ ما كانَ ابتداعٌ وافتنانْ
غيرُ يومين وإنّى حَافِظٌ … فى سِجلّى كلَّ ما كان وبانْ
يومُ ميلادٍ وفى يومِ ارتقى … عرشَه السَّامِى فأعلاه وزانْ [5]
ثم هذا اليومُ يومُ المِهْرَجان … عاشَ فاروقٌ ودَام المِهْرَجانْ !
أنتَ يا فاروقُ خيرٌ خَالصٌ … بينما الخيرُ مشوُبٌ فى الزمانْ
من ضميرِ الشعبِ مِنْ يقظتِه … مِنْ مناهُ مِنْ أغانيه الحِسَانْ
صاغكَ الله سَنَاءً وسَنَى … صَانَك الله وأعطاكَ الأمانْ !!
صَانَكَ الله . فَإنَّا أُمَّةٌ … تَقْدِرُ المُحْسنَ فى غير امتنانْ
كلّ يوم أنت فيه مِهرجان … عاش فاروقٌ ، ودام المهرجانْ !!

* * *

---

(١) نشرت فى ١٩٣٨
(٢) تسكب : تصب
(٣) جنان : قلب
(٤) راودته : خادعته وراوغته
(٥) وزان : من الزينة .

أنت في مِصر قُوًى كامنةٌ ... منذ كانت مصرُ شعباً ذا كيانْ
يُسلِمُ الجيلُ إلى تابعهِ ... هذه القوةَ تَذْكُو وتُصانْ
والليالي مُرهِصَاتٌ (٧) والدُّنى ... تَرْقُبُ الميلادَ آناً بعدَ آنْ
ثُمَّ شَبَّ الشَّعْبُ في نهضتِه ... ناضجَ الفِكْرَةِ مشبوبَ الجَنَانْ
فإذا فاروقُ في طَلْعَتِه ... تهتفُ البشرىٰ على كلِّ لِسانْ
ثم كان اليومُ يومُ المِهرجان ... عاش فاروقٌ ، ودام المِهْرَجانْ !

* * *

أنت صِنْوُ الشعبِ في تاريخِه ... كنتَ منه في الأماني يومَ كانْ
قد تَوَافَى(٨) مولِدُ النهضةِ والـ ... ـمولِدُ الضَّاحِي ، فوافى مولِدانْ
وتوافى عَهْدُ الاستقلالِ والـ ... ـمرتقىٰ السَّامي ، فوافت بُشْرَيانْ
حِكْمةٌ هَذا التَّوافِي عَجَبٌ ... شَاءها اللهُ فجاءتْ في الأوانْ
ثم وَافىٰ اليومُ ، يومُ المهرجان ... عاشَ فاروق ، ودام المهرجانْ

* * *

يا صديقَ الشعبِ قُدْ نهضتَه ... في سباقِ الكونِ يَظْفَرْ بالرهانْ
وله مِنك شبابٌ طَامِحٌ ... يبعثُ الجَرأةَ في قَلبِ الجَبانْ
كلُّ قلبٍ حينَ تدعُو هاتفٌ : ... إيه لبيكَ ، إلى شَطِّ الأمانْ
إيه لبيكَ ، وفيه نَشْوةٌ ... وله مِنْ وَجْهِكَ السَّمْحِ ضَمانْ
إيه لبيكَ ، وقد طَهّره ... حُبُّك السَّامِي وروّاه الحَنانْ
كلُّ قلبٍ خافقٌ بالمهرجان ... عاشَ فاروقٌ ، ودامَ المِهرجانْ

* * *

شَعْشَعْ(٩) النَغْمَةَ في قِيثَارتي ... وحيُك العَذْبُ فجوَّدتُ البيانْ
وجَرىٰ الشِّعْرِ وفي نَكْهَتِهِ ... من معانيك شذَى عَرْفَ (١٠) الجِنَانْ
فأنا الشَّادِي وفي رُوحي هوىً ... عَبْقَرِيٌّ الوَحِي ذَاكِي الافتنانْ
وأنا الشاعرُ آفاقي سَمَتْ ... فَسَمَا مِنِّي بيانٌ ومَعَانْ
وأنا الغريدُ يومَ المِهرجان ... عاشَ فاروقٌ ، ودامَ المِهْرَجَانْ

---

(٦) تذكو : تنمو
(٧) مرهصات : من أرْهَصَ الشيء : أثبته وأسسه
(٨) توافى : أتى
(٩) شعشع : انشر : امْزج
(١٠) عَرْف : رائحة .

وختاماً .. مع الخالدين

أخـــى إنْ نمُـــتْ نَلْــقَ أحْبَـابنَا

فروْضـــاتُ ربِّـــى أُعــدّتْ لَنَـا

وأطيارُهـــــا رفـــرفت حَوْلَنـــا

فطوبى لنـــا فى ديـــار الخُلــود

سيد قطب


Twitter: @brahemGH

هُبَلٌ .. هُبَلْ[1]

هُبَلٌ ... هُبَلْ رَمْزُ السَّخافَةِ والدَّجَل
مِنْ بَعْدِ ما انْدَثَرتْ[2] على أيدى الأُباةْ
عادَتْ إلينا اليَوْمَ في ثَوْبِ الطُّغاة
تَتَنَشَّقُ البَخُورَ تحرقُهُ أساطيرُ النِّفاق
مَنْ قُيِّدَتْ بالأَسْرِ في قَيْدِ الخَنا[3] والارْتِزاق
وَثَنٌ يقودُ جُموعَهُمْ ... يا لَلْخَجَل

* * *

هُبَلٌ ... هُبَلْ
رمزُ السَّخَافَةِ والجَهالَةِ والدَّجَل
لاتَسْأَلَنْ يا صاحبي تلك الجُموع
لِمَن التَّعَبُّدُ والمثوبَةُ[4] والخُضوع
دَعْها فما هي غيرُ خِرْفانٍ ... القطيع
معبودُها صَنَمٌ يَراهُ ... العَمُّ سام
وتكَفَّلَ الدُّولارُ كي يُضْفي عَلَيْهِ الاحتِرام
وَسَعى القطيعُ غباوَةً ... يا لَلْبَطَل

* * *

(١) من مجموعة شعرية صدرت في عمان تحت عنوان « لحن الكفاح » ، ونقلها أحمد عبد اللطيف الجدع ، وحسنى أدهم جرار فى كتابهما (شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث) صـ ٤١ جـ ٤ ، هُبَلٌ : صنم كان بالكعبة .

(٢) دَثَرَ الشيءُ ويَدْثُر : قدم ، ويقال دَثَرَ المنزل : بَلِىَ وتهدَّم .

(٣) الخنا : الفُحْشُ فى الكلام

(٤) المثوبة : الجزاء

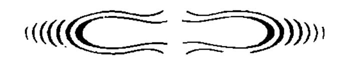
هُبَلٌ ... هُبَلْ

رمزُ الخيانَةِ والجهالَةِ والسَّخافَةِ والدَّجَل
هُتَّافَـةُ التَّهريـجِ ما ملُّـوا الثَّنـاء
زعمـوا لَهُ ما ليس ... عِنْـدَ الأنبيـاء
مَلكٌ تَجَلْبَبَ بالضِّياءِ وجاء من كَبِد السَّماء
هو فاتِـحٌ ... هُوَ عَبْقَـرِيٌّ مُلْهَـمُ
هو مُرْسَلٌ ... هو عالِـمٌ ومُعُلِّـمُ
ومن الجهالَةِ ماقَتَلْ

* * *

هُبَلٌ ... هُبَلْ

رمـزُ الخِيانَـةِ والعَمالَـةِ والدَّجَـل
صيغَتْ له الأمجادُ زائفَةً فَصَدّقَها الغبي
واسْتَنْكَرَ الكَذِبَ الصُّراحَ(٥) وَرَدَّهُ الحُرُّ الأبِي
لكنَّما الأحرار في هذا الزَّمانِ هُمُ القليلْ
فليَدْخُلوا السِّجْنَ الرَّهيبَ ويَصْبِروا الصَّبْرَ الجَميل
وَلْيَشْهَدوا أقْسَى رِوايَةْ ... فَلِكُلِّ طاغِيَةٍ نِهايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أجَلْ ... هُبَلٌ ... هُبَلْ
هُبَلٌ ... هُبَلْ



(٥) الصراح : الخالص الذى لايشوبه شيء .

أخي [1]

أخي أنتَ حُرٌّ وراء السُّدود | أخي أنتَ حُرٌّ بتلكَ القُيودْ
إذا كُنْتَ بالله مُستعصِماً[2] | فماذا يَضيرُكَ كيدُ العبيد

أخي سَتبيدُ[3] جُيوشُ الظَّلام | ويُشرِقُ في الكَوْنِ فجرٌ جديد
فأطلِقْ لرُوحِكَ إشراقَها | تَرى الفَجْرَ يرمُقُنا[4] من بعيد

* * *

أخي قد أصابَكَ سهمٌ ذليل | وغَدْراً رَماكَ ذِراعٌ كَليل[5]
سَتُبْتَرُ[6] يَوْماً فَصَبْرٌ جميل | ولم يَدْمَ[7] بعدُ عرينُ الأُسود

* * *

أخي قد سَرَتْ من يَديْكَ الدِّماء | أبَتْ أن تُشَلَّ بِقَيْدِ الإماء[8]
سَتَرْفَعُ قُربانها ... للسَّماء | مُخَضَّبَةً بوسامِ الخُلود

* * *

أخي هل تُراكَ سَئِمْتَ الكِفاح | وأَلْقَيْتَ عن كاهِلَيْكَ السَّلاح

---

(١) الكفاح الإسلامي الأردنية ــ العدد ٢٩ ــ الصادر في ٢٨ / ١٢ / ١٣٧٦هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ١٩٥٧ م .
(٢) عَصَمَ إليه : لَجأ ، عَصَمَ الله فلاناً : حفظه من الشر ، اعتصم بالله : امتنع به واستمسك .
(٣) ستبيد : بَادَ يَبيدُ بَيْداً : هَلَكَ
(٤) يرمقنا : ينظر إلينا
(٥) كليل : ضعيف
(٦) ستبتر : بَتَرَه يَبْتُر : قطعه مستأصلا
(٧) يَدْمَى : الجُرح : ينزف دما
(٨) الإماء : مفردها أمَة وهي المرأة المملوكة (العبدة)

فَمَنْ للضّحايا يواسي ... الجِراح ويرفــعُ رايتها مِن جديـــد

* * *

أخي هل سمعتَ أنينَ التُّراب تَدُكُّ حَصاهُ جيوشُ الخَراب
تُمَــزِّق أحشاءه بالحِـــراب وتَصْفَعُهُ وهوَ صلبٌ عنيــد

* * *

أخي إنني اليومَ صَلبُ المِراس(٩) أدُكُّ صُخورَ الجبال الرَواس
غَداً سأشيحُ بفأس الخَلاصِ رءوس الأفاعي إلى أنْ تبيد

* * *

أخي إنْ ذَرَفْتَ عليَّ الدُّموع وَبَلَّلْتَ قَبري بها في خُشوع
فأوْقِدْ لَهُمْ من رُفاتي الشُّموع وسيروا بها نحو مَجْدٍ تليد

* * *

أخي إن نَمُتْ نَلْقَ أحبابَنا فَروضاتُ ربـيّ أُعِدَّت لَنــا
وأطْيارُهـــا رَفـــرَفَتْ حَوْلَنـــا فَطوبى لنا في ديارِ الخُلود

* * *

أخي إنّني ما سَئِمْتُ الكِفاح ولا أنا ألقَيْتُ عني السِّلاح
وإن طَوَّقَتْنـــي جُيـــوشُ الظَّـــلام فَإنِّـــى على ثِقَـــةٍ ... بالصَّبـــاح

وإنّي على ثِقَةٍ مِنْ طريقي إلى الله رَبِّ السَّنا والشروق
فإنْ عافَني السَّوْقُ أوْ عَقَّني فإنّي أمينٌ لعهدي الوثيـــق

* * *

أخـــي أخَـــذُوكَ على إثْرِنـــا وَفَوْجٌ على إثْرِ فوجٍ جَديد

---

(٩) المراس : مَرِسَ فلان يمْرس : كان شديدا فى معالجة الأشياء وذو مراس : ذو جلد وقوة وممارسة للأمور .

فإنْ أنـا مُتُّ فإنّـي شهيـد   وأنْتَ سَتَمْضِي بنصرٍ جديـد

* * *

قَدِ اختارَنـا اللهُ في دعوتِـه   وإنّـا سنــمضِي على سُنَّتِــه
فَمِنَّـا الذيـن قَضَوْا نَحْبَهُـــم   ومنّـــا الحفيـــظُ على ذِمَّتِــه

* * *

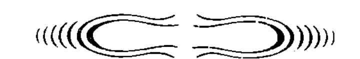
أخي فَامْضِ لا تَلْتَفِتْ للوراء   طريـقُكَ قد خَضَّبْتـهُ الدِّمـاء
ولا تَلْتَفِتْ هَهنـا أو هُنـاك   ولا تَتَطَلَّـــعْ لغيـــرِ السَّمـــاء

* * *

فلسنا بطيرٍ مَهيض الجَنَاح   ولـن نُسْتَـذَلَّ ولـن نُسْتَبَـــاح
وإنّـي لأسْمَـعُ صوتَ الدِّمـاء   قَويًّا يُنـادي الْكِفَـاحَ الكِفَـاح

* * *

سَأْثْـــأرُ لكـــنْ لِرَبٍّ وديـــن   وأمْضي على سُنَّتي في يَقين
فإمّا إلى النَّصرِ فَوْقَ الأنَام   وإمَـا إلى اللهِ في الخالِديـنْ




Twitter: @brahemGH

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٧٩٦ / ٨٨

الترقيم الدولى ٦ ـ ٧٨ ـ ١٤٢١ ـ ٩٧٧

مطابع الوفاء ـ المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٢٧٧٢١ ـ ص.ب : ٢٣٠

تلكس : ٢٤٠٠٤ DWFA UN